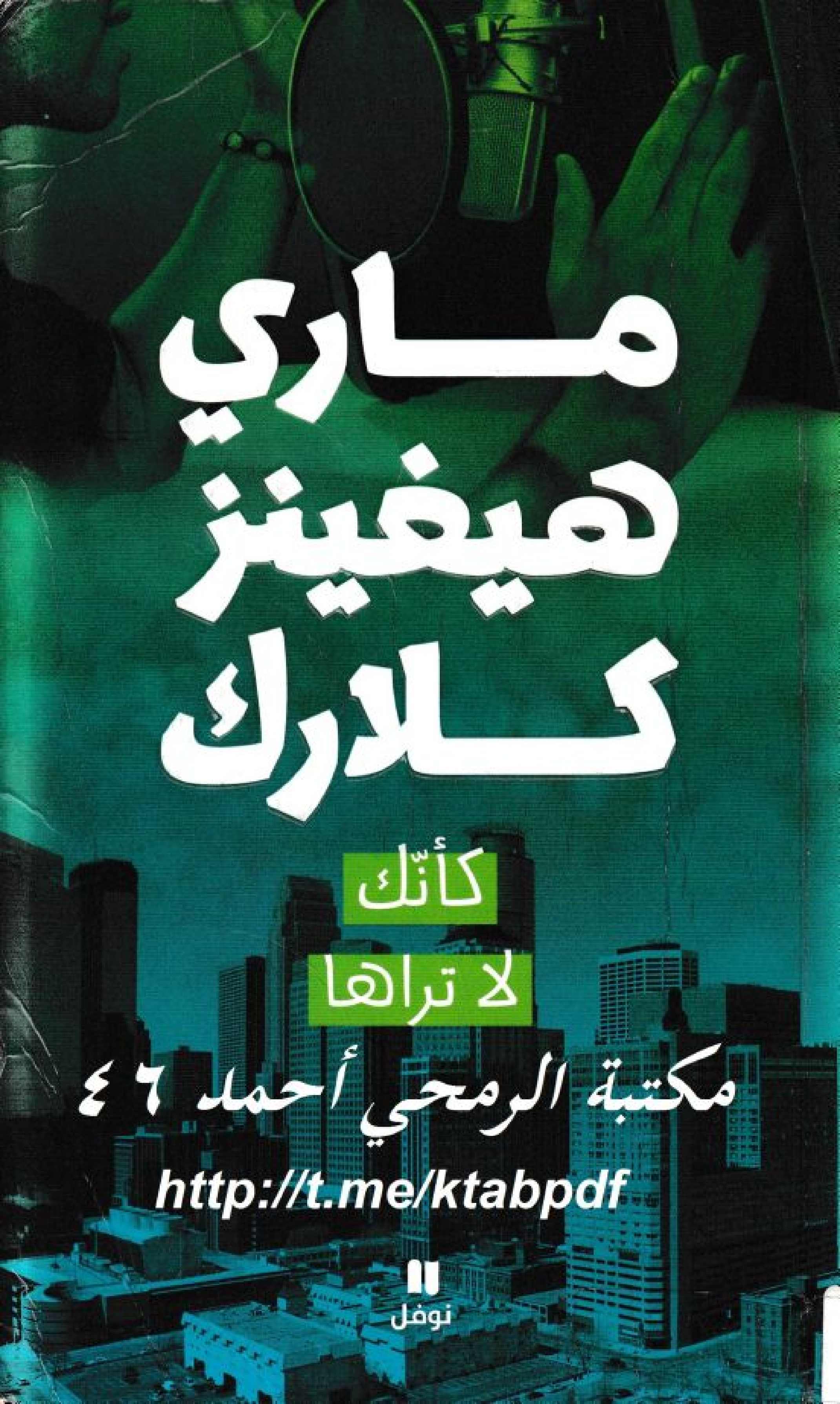

ماري
هيغينز
كلارك
كأنّك
لا تراها
مكتبة الرمحي أحمد ٤٦
http://t.me/ktabpdf
نوفل





نقلته من الإنكليزيّة دانيال صالح



حاولت لايسي لاحقًا أن تعزّي نفسها بأنّها، حتّى لو كانت قد وصلت قبل لحظات، لم تكن لتتمكّن من إسعاف إيزابيل، بل ربّما كانت قُتِلَت معها.

لكنّ الأمر لم يجرِ على هذا النحو. فهي دخلت الشقّة الدوبلكس الواقعة شرق الشارع السبعين مستخدمةً المفتاح الذي سُلّم إليها بصفتها وكيلة عقارية. وفي اللحظة التي نادت فيها إيزابيل، سمعتها تصرخ «لا، لا...!»، ثمّ تردّد دويّ طلقة نارية.

كان يتحتّم على لايسي أن تتصرّف بلمحة بصر: إمّا أن تهرب أو تختبئ. صفقت باب الشقّة وانسلّت بسرعة داخل خزانة الردهة. لم يكن قد تسنّى لها بعد إغلاق الباب بالكامل، عندما اندفع رجل أشقر الشعر، أنيق الملبس، نازلاً على السلالم الداخلية للشقة. تمكّنت من رؤية وجهه بوضوح من خلال الشق الضيق، وجه بقي مطبوعًا في ذهنها. الواقع أنّها كانت قد التقته من قبل، قبل بضع ساعات فقط. ملامحه تعكس الآن برودة شرسة، إلّا أنّها واثقة من أنّه الرجل نفسه الذي اصطحبته في جولة على الشقّة في وقت سابق من النهار: كورتيس كالدويل، السيّد اللبق الودود القادم من تكساس.

راقبته من مخبئها وهو يعبر أمامها ممسكًا بيده اليمنى مسدّسًا ومتأبّطًا حافظة أوراق جلدية تحت ذراعه اليسرى. فتح باب المدخل بعنف وهرع خارج الشقّة.

المصعد وسلّم الطوارئ كانا في الطرف الآخر من الرواق. كانت لايسي على يقين بأنّ كالدويل سيدرك على الفور أنّ من دخل الشقّة لا يزال فيها. وثبت خارجة من الخزانة، مستسلمة لغريزة بدائية، ودفعت الباب بقوة لتغلقه خلفه. انتفض ملتفتًا، وللحظة رهيبة التقت نظراتهما. عينان زرقاوان شاحبتان قاسيتان كالجليد تحملقان فيها. انقض على الباب، لكنّه انغلق قبل أن يصل، فأوصدت المزلاج في اللحظة التي سمعت فيها طقطقة مفتاح في القفل.

اتّكأت على الباب ودقّات قلبها تتسارع بجنون. كانت ترتعد فيما مقبض الباب يـدور، راجية ألّا يجد كالدويل سبيلًا للدخول مجدّدًا إلى الشقّة.

ينبغي الاتّصال بالشرطة.

ينبغي طلب المساعدة.

إيزابيل! فكّرت في إيزابيل. لا بدّ أنّها هي من أطلق الصرخة التي سمعتها. هل لا تزال على قيد الحياة؟

أسرعت لايسي متسلّقة السلالم المكسوّة بسجادة سميكة، ويدها تنزلق على الدرابزين. عبرت غرفة الجلوس المطلية باللونين العاجي والخوخي، تلك الغرفة حيث جلست مرارًا مع إيزابيل، تنصت إلى الأمّ الثكلى وهي تردد مرارًا وتكرارًا أنّها لا تصدّق أنّ وفاة ابنتها هيذر كانت مجرد حادث.

اندفعت إلى غرفة النوم، متوجسة ممّا قد ترى فيها. وجدت إيزابيل مرتمية في عرض السرير، جسدها منكمش على نفسه، عيناها

مشرّعتان، ويدها المضرجة بالدماء تشد بقوة على رزمة أوراق كانت تحت الوسادة بجانبها، فيما إحدى الأوراق تتطاير وحيدة في الغرفة، تحملها نسمات تهبّ من النافذة المفتوحة.

جثت لايسي على ركبتيها. نادت «إيزابيل!». أمور كثيرة كانت تود قولها لها، أنّها ستطلب سيّارة إسعاف، أن إيزابيل ستكون بخير... لكن الكلمات أبت الخروج من بين شفتيها. فات الأوان، بدا ذلك جليًّا للايسي. إيزابيل كانت تحتضر.

عاودها هذا المشهد مرارًا في ما بعد. كابوس راح يراودها بوتيرة متزايدة. الحلم نفسه على الدوام: ترى نفسها راكعة إلى جانب جسد إيزابيل، تتلقف آخر كلمات تتفوّه بها المرأة قبل أن تلفظ أنفاسها. تحدّثها إيزابيل عن دفتر اليوميّات، تناشدها أن تأخذ الصفحات. ثمّ تحسّ بيد تلامس كتفها، وحين ترفع رأسها، تفاجَأ بالقاتل يحدّق بها بعينيه الباردتين المتجهمتين، يصوّب مسدسه إلى جبينها ويضغط على الزناد.

1

كان ذلك أسبوع ما بعد عيد العمّال، وقد انتهى خمول الصيف أخيرًا. بدا ذلك واضحًا للايسي من رنين الهاتف المتواصل في مكاتب شركة باركر وباركر للعقارات. فبعدما سجّلت سوق العقارات والمساكن في مانهاتن تباطؤًا غير معهود خلال الشهر الماضي، ستبدأ الأمور أخيرًا بالتحرّك من جديد.

بادرت ريك باركر وهو يضع كوبًا من القهوة السوداء على مكتبها قائلة «آن الأوان. لم أوفّق بصفقة بيع واحدة جديرة بهذا الاسم منذ يونيو. جميع الزبائن الذين كنت أتولّى ملفاتهم غادروا إلى هامتونز أو كايب. لكنهم، والحمد لله، يعودون الآن إلى المدينة. أنا أيضًا استمتعت بشهر عطلة، لكن حان الوقت الآن لمعاودة العمل».

مدّت يدها لتناول القهوة. «شكرًا. أمر رائع أن يعتني بي الإبن الوريث.»

«على الرحب والسعة. تبدين رائعة، لايسي.»

حاولت لايسي تجاهل التعبير على وجه ريك. لطالما شعرت وكأنّه يعرّيها بنظراته. ذلك الشاب المدلّل الوسيم الذي يمتلك فتنة

زائفة جاهزة رهن الطلب، يبعث لديها إحساسًا غير مريح إطلاقًا. كانت لايسي تتحسّر على الفترة التي كان فيها في مكتب غرب نيويورك، متمنّية لو لم ينقله والده من هناك. لم تكن ترغب في تعريض وظيفتها للخطر، لكن إبقاءه على مسافة بات في الآونة الأخيرة أشبه بالسير على حبل مشدود لما يتطلّبه من مهارة وحذاقة.

رنّ هاتفها فسارعت إلى التقاطه. قالت في نفسها إنّ هذا الرنين أنقذها من ورطة. أجابت «لايسي فاريل».

«آنسة فاريل، معك إيزابيل وارينغ. التقيتك الربيع الماضي حين قمت ببيع شقّة في المبنى الذي أقطنه.»

لا بدّ أنّها فرصة ثمينة تسنح لها. حدست أن السيدة وارينغ تريد عرض شقّتها للبيع.

باشر ذهنها على الفور بمراجعة ملفاتها الماضية. فهي باعت في مايو شقتين شرق الشارع السبعين، إحداهما صفقة بيع تركة لم تتحدث خلالها إلى أي كان باستثناء وكيل المبنى، والثانية في مبنى سكني في شارع مؤدّ إلى الجادة الخامسة. لا شك أنّ الأمر يتعلّق بشقّة آل نورستروم. تذكّر بشكل مبهم أنّها دردشت قليلًا مع سيدة خمسينية صهباء ظريفة في المصعد طلبت منها بطاقة عملها.

قالت آملة أن تكون أصابت «دوبلكس آل نورستروم؟ التقينا في المصعد، صحّ؟»

بدت السيدة وارينغ مسرورة. «تمامًا! أريد طرح شقّة ابنتي للبيع، وأودّ أن تتولّي أنت الأمر، إن كان هذا يناسبك.»

«سيكون ذلك من دواعي سروري، سيدة وارينغ.»

حدّدت لايسي موعدًا معها في صباح اليوم التالي، أقفلت الهاتف والتفتت إلى ريك.

«الحظ يبتسم لي! الرقم ثلاثة شرق الشارع السبعين. إنّه مبنى رائع فعلًا.»

«ثلاثة، شرق الشارع السبعين، أي شقّة؟» سأل باهتمام.

«العاشرة بي. هل تعرف الشقّة؟»

«كيف لي أن أعرفها؟» ردّ بنقمة، «خصوصًا بعدما جعلني والدي بسبب حكمته العظيمة أعمل على عقارات غرب نيويورك على مدى خمس سنوات.»

غير أنّ ريك استدرك، وأضاف باذلًا جهدًا جليًا للتودد إليها: «يتهيّأ لي ممّا فهمته حتّى الآن أنّ أحدًا ما التقاك واستلطفك ويريد أن يعهد إليك بعرض حصري. ألم أردّد أمامك مبدأ جدي في هذا العمل؟ إن يذكرك الناس، فهذه نعمة».

«ربّما»، قالت لايسي، «ولو أنّني لست واثقة من أنّ ذلك نعمة فعلًا»، آملة أن يتوقّف الحديث عند هذا الحدّ. تمنّت أن يأتي يوم قريب حيث لا يعود ريك يعتبرها سوى موظفة كسواها في إمبراطورية عائلته.

هز كتفيه وتوجه إلى مكتبه المطل على شرق الشارع الثاني والستين. نوافذ مكتب لايسي كانت تطل على جادة ماديسون، وكانت تجد متعة على الدوام في تأمّل الزحمة المتواصلة على الجادة، بين حركة السير التي لا تتوقف والسياح العابرين جماعات جماعات، والنساء الأنيقات اللواتي يترددن على محلات الأزياء.

«بعضنا وُلد نيويوركيًا في الصميم، والبعض الآخر يأتي إلى هنا مكرهًا، لكن سرعان ما يكتشف أنّ هذا المكان، بالرغم من كلّ مشاكله، يبقى الأجمل والأكثر إثارة في العالم.» هذا ما كانت تقوله لزوجات

المدراء الذين ينتقلون إلى مكاتب مانهاتن، حين تلمس لديهن أحيانًا تخوّفًا.

وحين يستفسرن، تقول «نشأت في مانهاتن، وباستثناء سنوات دراستي الجامعية، لطالما عشت هنا. إنّها مدينتي، المكان الذي أنتمي إليه».

الإحساس ذاته كان يربط والدها جاك فاريل بهذه المدينة. كان يصطحبها منذ أن كانت طفلة في جولات لاستكشاف نيويورك فيقول لها «لايس، إنّنا رفيقان. أنت تشبهينني، إنك زهرة لا تتفتح إلّا في المدينة. والدتك على العكس، أعانها الله، تتوق للانتقال إلى الضواحي. أكنّ لها الكثير من الامتنان لبقائها هنا، لأنّها على يقين بأنّني سوف أفقد روحي هناك».

لم ترث لايسي عن جاك ولعه بهذه المدينة فحسب، بل ورثت عنه أيضًا ملامحه الإيرلندية: لون بشرتها البيضاء، وعينيها المتماوجتين بين الزرقة والخضرة، وشعرها الكستنائي الداكن. أمّا شقيقتها كيت، فورثت عن والدتهما سيماءها الإنكليزية: عينين زرقاوين بزرقة الخزف، وشعراً بلون سنابل القمح.

جاك فاريل كان موسيقيًا عمل في المسرح، وتحديدًا في مقدّمة المسرح، في الركن المخصَّص للأوركسترا عادة، ولو أنّه عزف أحيانًا في نواد، وفي بعض المناسبات في حفلات موسيقية. حين كانت صغيرة، لم يكن هناك لحن واحد من ألحان مسرحيات برودواي الموسيقية إلّا وكانت تعرفه عن ظهر قلب وتغنيه مع والدها. كانت وفاته المباغتة، ما إن أنهت دراستها الجامعية، بمثابة صدمة كبيرة لا تزال تشعر بوطأتها. الواقع أنّها لم تكن واثقة من أنّها ستتخطّاها ذات

يوم. أحيانًا تجد نفسها، وهي في منطقة المسارح متوقّعةً أن تصادفه عند إحدى النواصي.

بعد انتهاء مراسم الدفن، قالت والدتها بحسرة وحزن «لن أبقى في المدينة، تمامًا مثلما كان والدكما يتوقّع». اشترت شقّة في نيو جيرسي حتّى تظلّ قريبة من كيت وعائلتها. وبعدما استقرّت هناك وجدت وظيفة في مستشفى محلّي، فهي أساسًا ممرضة أطفال.

حين تخرّجت من الجامعة، وجدت لايسي لنفسها شقّة صغيرة في جادة إيست إند، وحصلت على وظيفة لدى شركة باركر وباركر العقارية. ثماني سنوات مضت على ذلك، وها هي اليوم بين كبار وكلائهم.

أخرجت ملف الرقم الثالث شرق الشارع السبعين وهي تدندن، وباشرت دراسته. تذكّرت أنّ الشقّة الدوبلكس التي باعتها كانت في الطبقة الثانية. غرف فسيحة، سقف عال. المطبخ كان بحاجة إلى بعض التجديد. والآن يتعيّن جمع معلومات عن شقّة السيدة وارينغ.

تحاول لايسي قدر المستطاع التمهيد لملفاتها بعمل استقصائي أولي لجمع ما أمكنها من معلومات. تعلّمت في هذا السياق أنّه من المفيد للغاية التقرب من الموظفين العاملين في مختلف المباني التي تتولاها شركة باركر وباركر. ومن حسن حظها في هذه الصفقة بالذات أنّها على علاقة جيدة مع تيم باورز، المسؤول عن صيانة الرقم الثالث شرق الشارع السبعين. اتّصلت به، وبعد الاستماع إليه يسرد لها على مدى عشرين دقيقة تقريرًا مفصلًا عن عطلته الصيفية، وهي تصبّر نفسها على ثرثرة الرجل الذي لم تعهده إلّا مسهبًا في الكلام، تمكّنت أخيرًا من توجيه الحديث إلى شقّة السيدة وارينغ.

علمت من تيم أنّ إيزابيل وارينغ هي والدة هيذر لاندي، المغنية والممثلة الشابة، إبنة صاحب المطعم الشهير جيمي لاندي، والتي توفّيت في حادث سير مطلع الشتاء الماضي. كانت هيذر بدأت تُعرف في أوساط المسرح الغنائي حين انحرفت سيّارتها عن الطريق وتهورت أثناء عودتها إلى منزلها بعد قضاء نهاية أسبوع في منتجع تزلج في فيرمونت. الشقّة كانت ملكاً لهيذر، ويبدو الآن أنّ والدتها تودّ بيعها.

قال تيم: «السيدة وارينغ غير مقتنعة بأنّ وفاة هيذر كانت مجرّد حادث.»

حين أغلقت لايسي الخطّ أخيرًا، جلست مطرقة لوقت طويل. تذكر أنّها شاهدت هيذر لاندي العام الماضي في مسرحية غنائية صغيرة ناجحة جدًّا خارج برودواي. الحقيقة أنّها كانت تذكرها هي تحديدًا.

قالت لنفسها إنّ تلك المغنّية الشابة كانت لديها كلّ المؤهّلات للنجاح: الجمال، الحضور على الخشبة، وذلك الصوت السوبرانو الرخيم. لكان والدها قال عنها «لؤلؤة». لا عجب أن ترفض والدتها تقبّل وفاتها.

ارتعشت لايسي، نهضت وتوجّهت إلى مكيّف الهواء لخفض برودته.

قامت إيزابيل وارينغ صباح الثلاثاء بالكشف على شقّة ابنتها، متفحّصة أدق تفاصيلها بنظرة الوسيط العقاري الحادة. كانت سعيدة لاحتفاظها ببطاقة لايسي فاريل. زوجها السابق جيمي، والد هيذر، طلب منها عرض الشقّة للبيع، وعليها أن تقرّ بأنّه أمهلها متّسعًا من الوقت لإنجاز ذلك.

لقد أعجبتها لايسي فاريل للوهلة الأولى يوم التقتها في المصعد. ذكّرتها بهيذر.

الحقيقة أنّ لايسي لم تكن تشبه ابنتها. هيذر كان شعرها قصيرًا مجعّدًا، لونه كستنائي فاتح ذو تموّجات ذهبية، وعيناها داكنتان. كانت قصيرة القامة بالكاد تصل إلى متر وستين سنتم، جسدها مكتنز وطري. كانت تلقّب نفسها «قزمة المنزل». أمّا لايسي، فهي أطول قامة وأهيف قدًا. عيناها ما بين الخضرة والزرقة، وشعرها الداكن أملس وأطول. لكن ثمّة في ابتسامتها وسلوكها وحركاتها ما يذكّر بشكل واضح، بل صارخ، بهيذر.

جالت إيزابيل بنظرها من حولها. التلبيسة الخشبية الفاتحة اللون على جدران ردهة المدخل والأرضية الرخامية المتوهّجة اللتان كانت هيذر تعشقهما قد لا تناسبان أذواق الجميع، لكن من السهل تبديلهما. وفي المقابل، فإن المطبخ وغرفتي الحمام التي جددت كلها مؤخّرًا هي بالتأكيد مواصفات ترغّب الزبائن.

بعد كلّ الرحلات السريعة التي قامت بها من كليفلاند إلى نيويورك في الأشهر الأخيرة، وجهودها لتوضيب محتوى خزائن الشقّة الخمس الضخمة وأدراجها الكثيرة، وبعد لقاء أصدقاء هيذر مرارًا وتكرارًا، باتت إيزابيل على يقين بأنّه يتحتم عليها طي الصفحة. عليها أن تتوقّف عن البحث عن أسباب ومبررات وتدع حياتها تعود إلى مجراها الطبيعي.

لكنّ الواقع أنّها كانت لا تزال، رغم كلّ شيء، على قناعتها بأنّ وفاة هيذر لم تكن مجرد حادث عرضي. فهي تعرف ابنتها جيّدًا، لم تكن متهوّرة إلى حدّ قيادة سيّارتها من ستوي للعودة إلى المنزل وسط عاصفة ثلجية، ولا سيما في مثل هذا الوقت المتأخر من الليل. غير أنّ

الطبيب الشرعي وجد تبريرات الحادث مرضية، كما رضي بها جيمي أيضًا، وإلا لما كان ترك زاوية في مانهاتن إلّا وقلّبها بحثًا عن الحقيقة. إيزابيل واثقة من ذلك.

خلال آخر لقاءاتهما النادرة حول مائدة غداء، حاول مرة جديدة إقناع إيزابيل بالتخلي عن بحثها والمضي في حياتها. جادلها بأنّ هيذر عانت على الأرجح من الأرق في تلك الليلة، كانت قلقة بسبب توقعات الأرصاد التي حذرت من هطول ثلوج غزيرة، وكان عليها أن تعود في اليوم التالي لحضور تمرين لمسرحية لا يمكنها التأخر عنه. كان يرفض بكلّ بساطة أن يرى أي شيء شاذًا أو مريبًا في وفاتها. أمّا إيزابيل، فلم يكن بوسعها تقبل الأمر. أخبرته عن مكالمة هاتفية أجرتها مع ابنتها قبل الحادث بقليل، مكالمة مثيرة للحيرة. قالت له «جيمي، هيذر لم تكن كعادتها حين كلمتها على الهاتف. كان ثمّة أمر ما يشغل بالها، يكدّرها إلى حدّ فظيع. لمست ذلك في صوتها.»

كان الغداء انتهى حين صاح بها جيمي وقد ضاق ذرعًا تمامًا «إيزابيل، كفى! توقّفي، أرجوك! الوضع مؤلم بما يكفي، ولا حاجة لأن تزيدي الأمور صعوبة بنبش التفاصيل على هذا النحو باستمرار ومطاردة أصدقائها لاستجوابهم. أتوسّل إليك أن تدعي ابنتنا ترقد بسلام».

هزّت إيزابيل رأسها حين تذكّرت هذه الكلمات. لقد أحب جيمي لاندي ابنته أكثر من كلّ ما في العالم. فكّرت بمرارة أنّ حبّه الثاني بعد هيذر كان للسلطة، وهذا ما قضى على زواجهما. كان لديه مطعمه الشهير، استثماراته، والآن الفندق والكازينو في أتلانتيك سيتي. قالت لنفسها «لم يعد هناك مكان لي. ربّما لو اتخذ شريكًا قبل سنوات، مثلما فعل اليوم مع ستيف أبوت، لما كان زواجنا وصل

إلى طريق مسدود». تنبّهت فجأة إلى أنّها كانت تذرع الغرف بدون ان تراها حقًا، فتسمّرت أمام نافذة تطل على الجادة الخامسة.

كم هي رائعة نيويورك في أيلول، قالت لنفسها وهي تتأمل العدّائين يجوبون ممرات سنترال بارك، والمربيات يدفعن أمّامهن عربات الأطفال، والمسنين يجلسون متكاسلين على مقاعد المنتزه في الشمس. تذكّرت «في أيام مشمسة كهذه، كنت أصطحب هيذر وهي طفلة في عربتها إلى المنتزه. انتظرت عشر سنوات وأجهضت ثلاث مرّات قبل أن أرزق بها، وكانت تستحق فعلًا كلّ العناء. كانت طفلة مميّزة حقًا. كان المارة في الشارع يتوقفون دائماً للنظر إليها وإبداء إعجابهم بها. وكانت تدرك ذلك بالطبع. كانت تحبّ أن تجلس وتستكشف كلّ ما يحيط بها. كم كانت طفلة متّقدة الذكاء وشديدة الموهبة. وكم كانت تبدي ثقة كبيرة...».

«لماذا أهدرت كلّ شيء، هيذر؟» راودتها من جديد تلك الأسئلة الأليمة التي تطاردها منذ وفاة ابنتها. «بعد ذاك الحادث حين كنت طفلة، حين رأيت تلك السيّارة تنزلق خارج الطريق وتتحطم، ظل الجليد طوال حياتك يرعبك. حتّى أنّك طرحت فكرة الانتقال إلى كاليفورنيا، لمجرد تفادي طقس الشتاء. لماذا إذًا قرّرت أن تقودي سيارتك على طريق جبلية مكسوة بالثلج في الساعة الثانية صباحًا؟ كنت لا تزالين في الرابعة والعشرين من العمر، في زهرة شبابك، والحياة تبتسم لك. ما الذي حصل في تلك الليلة؟ ما الذي جعلك تسلكين ذلك الطريق أو بالأحرى من جعلك تسلكينه؟»

رنّ جرس الهاتف الداخلي في المبنى فانتشلها من دوّامة حسرتها اليائسة. كان ذلك البواب يعلمها بوصول الآنسة فاريل لموعدها في الساعة العاشرة.

لم تكن لايسي مهيّأة لفيض الحفاوة والانفعال الذي استقبلتها به إيزابيل. بادرتها بحرارة «يا إلهي! تبدين أصغر سنًا ممّا أذكر. كم تبلغين من العمر في الحقيقة؟ ثلاثين؟ تعلمين، كانت ابنتي ستبلغ الخامسة والعشرين الأسبوع المقبل. كانت تقيم هنا. هذه شقّتها. والدها اشتراها لها. إنّه انقلاب رهيب في الأدوار، أليس كذلك؟ كان مجرى الحياة الطبيعي يحتّم أن أرحل قبلها، وأن تقوم هي بتوضيب أغراضي وفرزها».

أجابتها لايسي «أنا خالة لصبيّين وفتاة، ولا يمكنني أن أتصوّر أن يحصل لأيّ منهم أيّ مكروه. أفهم قليلًا ما تعانينه».

راحت إيزابيل تتبع لايسي فيما الوسيطة العقارية تتفقّد الغرف وتقدّر بنظرتها المحنّكة مساحتها. الطبقة الأولى مؤلّفة من المدخل، وصالون وغرفة طعام فسيحين، ومكتبة صغيرة ومطبخ وحمّام صغير. وفي الطبقة الثانية التي يقود إليها درج حلزوني غرفة نوم شاسعة تضمّ غرفة جلوس وحجرة ملابس وحمّامًا.

قالت إيزابيل بغصّة «كانت الشقّة أوسع ممّا تحتاج إليه امرأة شابة. أترين، والد هيذر اشتراها لها. لم يكن يدخر جهدًا من أجلها. لكن هذا لا يعني أنّها تحولت إلى طفلة مدللة. الواقع أنّها حين انتقلت للعيش في نيويورك بعد إتمام دراستها، كانت تنوي استئجار شقّة صغيرة في غرب المدينة. جنّ جنون جيمي. أصرّ على أن تقيم في مبنى يحرسه بواب. كان حريصًا على أن تكون بأمان. وها هو الآن يطلب منّي أن أبيع الشقّة وأحتفظ بثمنها. يقول إنّ هيذر لكانت أرادت ذلك. يقول إنّ عليّ أن أتخطّى حزني وأمضي في حياتي. لكنّني أجد أنّه من الصعب للغاية أن أنسى. أحاول، لكنّني لست واثقة من أنّ ذلك في مقدوري...»

طرحت عليها لايسي السؤال الجوهري الذي تحتاج إلى جواب واضح عليه «هل أنت واثقة من أنّك تريدين بيع الشقّة؟»

وقفت عاجزة تشاهد التعبير الشجاع على وجه إيزابيل وارينغ ينهار ويتبدد وعينيها تمتلئان بالدموع. «أردت أن أعرف ما الذي تسبّب بمقتل ابنتي. ما الذي جعلها في تلك الليلة تهرع إلى مغادرة منتجع التزلّج. لماذا لم تنتظر لتعود مع أصدقائها في صباح اليوم التالي كما كان مقرّرًا أساسًا. ما الذي بدّل رأيها؟ أنا واثقة من أنّ أحدًا ما لديه الأجوبة. إنّني بحاجة إلى مبرر ما. أعرف أنّ أمرًا ما كان يكدّرها إلى حدّ فظيع، لكنّها لم تشأ أن تبوح لي به. ظننت أنّني قد أجد جوابًا هنا، سواء في الشقّة أو لدى أحد أصدقائها، لكن والدها يريدني أن أتوقّف عن مطاردة الجميع، وأظن أنّه على حقّ، الحياة يجب أن تستمرّ. إذًا جوابي لايسي هو نعم، أظنّ أنّ عليّ أن أبيع الشقّة.»

وضعت لايسي يدها على يد المرأة وقالت لها برفق «أعتقد أنّ هيذر لكانت أرادت أن تفعلي ذلك».

في تلك الليلة، قطعت لايسي خمسة وعشرين ميلًا خلف مقود سيّارتها لزيارة شقيقتها كيت ووالدتها في ويكوف، نيو جيرسي. لم تكن قد رأتهما منذ مطلع أغسطس حين غادرت المدينة لقضاء شهر عطلة في هامتون. كانت كيت تملك مع زوجها جاي منزلًا صيفيًا في نانتوكت، ولطالما ألحت على لايسي لقضاء عطلتها معهما.

مع عبورها جسر جورج واشنطن، بدأت لايسي تستعدّ لوابل اللوم الذي ستستقبلها به حتمًا شقيقتها ووالدتها. صهرها لن يغفل بالتأكيد عن القول «قضيت ثلاثة أيام فقط معنا. ما الذي يتميّز به شرق هامتون عن نانتوكت؟»

بداية، لن أجدك أنت هناك، فكّرت لايسي وعلى شفتيها ابتسامة ساخرة. لم يكن صهرها جاي تايلور، الذي يملك مؤسسة كبيرة لتجهيز المطاعم، من أحبّ الناس إليها، لكن من الواضح أنّ كيت مولعة به، وقد أنجبا ثلاثة أطفال رائعين، فبأي حق تنتقده؟ كانت تتمنّى فقط لو لم يكن معتدًا بنفسه إلى هذا الحد. فهو يتكلّم أحيانًا بنبرة رصينة وقورة وكأنّه يصدر مرسومًا بابويًا.

حين انعطفت لسلوك الطريق الرابعة، أدركت كم أنّها متلهفة لرؤية عائلتها: والدتها، كيت، والأولاد، تود في الثانية عشرة من العمر، آندي في العاشرة، ومحبوبتها بوني، الطفلة الرقيقة الخجولة التي تبلغ الرابعة من العمر. تنبّهت وهي تفكّر في ابنة شقيقتها إلى أنّ المسكينة إيزابيل وارينغ لم تغب عن ذهنها لحظة طوال النهار. أسى تلك المرأة كان عميقًا وطاغيًا إلى حدّ كان من الممكن لمسه. أصرت في ذلك النهار على استبقاء لايسي لتناول القهوة معها وواصلت الكلام طوال الوقت عن ابنتها. «انتقلت إلى كليفلاند بعد طلاقي. لقد نشأت هناك. كانت هيذر في الخامسة من العمر آنذاك. كانت تتنقل باستمرار في صغرها ثمّ في صباها بيني وبين والدها، وكانت الأمور تسير على ما يرام. تزوّجت مجدّدًا. كان بيل وارينغ أكبر سنًّا منّي بكثير، لكنّه كان رجلًا طيّبًا جدًّا. توفّي قبل ثلاث سنوات. كنت آمل أن تلتقي هيذر رجل حياتها، أن ترزق أولادًا، لكنّها كانت مصممة على إعطاء الأولوية لحياتها المهنية. مع أنّه بدا لي قبل وفاتها بقليل أنّها ربّما التقت رجلًا. قد أكون مخطئة، لكنّني لمست ذلك في صوتها». ثمّ سألتها بنبرة أم تكلّم ابنتها «ماذا عنك أنت لايسي؟ هل هناك رجل عزيز عليك في حياتك؟»

حين تذكّرت لايسي هذا السؤال، ابتسمت بشيء من الخيبة، كمن فقد أوهامه. لا يمكن القول حقًا إنّ لديّ رجلًا مميزًا في حياتي، فكّرت. منذ أن بلغت سن الثلاثين، تلك العتبة السحرية، صرت مدركة تمامًا بأنّ ساعتي البيولوجية أخذت تدور. حسنًا، لا يهم! فأنا مولعة بعملي، مولعة بشقّتي، مولعة بعائلتي وأصدقائي. كما أنّني أستمتع كثيرًا بحياتي، ولا يحق لي بالتالي التبرّم. سوف يحصل ما هو مقدّر لي.

فتحت أمّها الباب وبعد معانقتها بحنان، قالت لها «كيت في المطبخ. جاي خرج لجلب الأطفال. وهناك شخص في الداخل أريدك أن تتعرّفي عليه».

فوجئت لايسي، بل صدمت إلى حدّ ما، حين رأت رجلًا لا تعرفه واقفًا قرب الموقد الضخم في غرفة الجلوس يحتسي كأسًا. علت الحمرة وجه والدتها وهي تقدّم لها أليكس كاربين وتشرح لها أنّهما كانا يعرفان بعضهما قبل سنوات وقد التقيا من جديد مؤخّرًا بفضل جاي الذي باعه القسم الأكبر من التجهيزات لمطعم جديد افتتحه في غرب الشارع السادس والأربعين في المدينة.

تفحّصت لايسي الرجل بسرعة وهي تصافحه، ساعية لتقييمه. عمره يقارب الستّين، من عمر والدتي، فكّرت. رجل وسيم، قوي البنية. ووالدتي تبدو في غاية الانفعال. ما الذي يجري؟ انتهزت أوّل فرصة سنحت لها لتعتذر وتتوجه إلى المطبخ العصري حيث كانت كيت تخلط السلطة. سألت شقيقتها «كم من الوقت مضى على هذه القصّة؟»

بادرتها كيت بابتسامة عريضة. بدت أشبه بمارثا ستيوارت في أحد إعلاناتها بشعرها الأشقر المربوط خلف عنقها. قالت «حوالى

شهر. إنّه لطيف جدًّا. دعاه جاي للعشاء ذات ليلة وكانت والدتي هنا. أليكس أرمل. عمل طوال حياته في مجال المطاعم، لكن أعتقد أنّه أوّل مطعم يملكه بنفسه. لقد زرنا المكان. إنّه مطعم جميل.»

انتفضتا عند سماع صفقة باب عند مدخل المنزل وحذّرتها كيت «استعدّي! ها قد عاد جاي والأولاد».

أخذت لايسي تصطحب تود منذ أن بلغ الخامسة من العمر إلى مانهاتن، وكذلك الطفلين الآخرين لاحقًا. أرادت أن تعرّفهم على المدينة مثلما فعل والدها معها في الماضي. كانوا يطلقون على هذه الرحلات اسم «أيّام جاك فاريل» وكان تجوالهم في تلك الأيّام يشمل جميع معالم المدينة، من مسارح برودواي حيث شاهدت إستعراض «كاتس» خمس مرات حتّى الآن، إلى متاحفها، وأحبّها إلى الأطفال كان بالتأكيد متحف التاريخ الطبيعي وما يحويه من هياكل عظمية لديناصورات. كما استكشفوا حي غرينيتش فيلاج، واستقلوا الترامواي إلى جزيرة روزفلت، والعبّارة إلى جزيرة إيليس، وتناولوا الغداء في أعلى برج مركز التجارة العالمي، وتزلّجوا في مركز روكفيلر.

احتفى الصبيّان بخالتهما باندفاعهما المعهود، فيما لاذت بوني بها بخجل وأسرّت لها «اشتقت إليك كثيرًا». أثنى جاي على لايسي وقال إنّها متألقة وإن الشهر الذي قضته في شرق هامتون كان مفيدًا لها على ما يبدو.

ردّت لايسي «الواقع أنّني أمضيت هناك وقتًا لذيذًا»، مبتهجة بالتكشيرة التي ظهرت على وجهه. كان جاي يبدي نفورًا يلامس الادّعاء حيال التعابير العامية الرائجة.

خلال العشاء، راح تود، الذي يبدي اهتمامًا بعمل خالته وبالأملاك، يسأل لايسي عن السوق العقارية في نيويورك.

أجابت «إنّها تستعيد نشاطها. الحقيقة أنّني تسلمت اليوم بالذات ملفًا جديدًا واعـدًا». وشرعت تخبرهم عن إيزابيل وارينغ حين لاحظت أنّ أليكس كاربين أخذ يستمع باهتمام، فسألته لايسي «هل تعرفها؟»

«لا، لكنّني أعرف جيمي لاندي، وقد التقيت ابنتهما هيذر. فتاة رائعة. كان ذلك الحادث مأساة فظيعة. جاي، أنت تعاملت مع لاندي، أليس كذلك؟ لا بدّ أنّك التقيت هيذر أيضًا. كانت غالبًا ما تتردّد على المطعم.»

دهشت لايسي حين رأت وجه صهرها يحمرّ بشدّة.

«لا، لم يصدف أن قابلتها إطلاقًا» أجاب بنبرة جافة تفضح شيئًا من الغضب. «قمت ببعض صفقات العمل مع جيمي لانـدي. من يرغب بشريحة أخرى من لحم الغنم؟»

كانت الساعة السابعة، وكان البار مكتظًّا، وقد بدأ الزبائن بالتوافد إلى المطعم لتناول العشاء. كان جيمي لاندي يدرك أن عليه النزول لاستقبال القادمين، لكنّه لم يكن يشعر بمطلق رغبة في ذلك. قضى يومًا رديئًا، بل يومًا من الكرب والإحباط بعدما تلقّى اتصالًا من إيزابيل. استحضرت زوجته السابقة صورة هيذر عالقة في سيّارتها المقلوبة تلتهمها النيران. مضت ساعات على مكالمتها وهو لا يزال يهجس بهذه الصورة.

كانت أشعّة الشمس الغاربة تتسرّب مائلة من خلال النوافذ العالية وتدخل مترنّحة مكتبه المكسوّ بتلبيسة خشبية في المبنى الحجري الداكن غرب الشارع السادس والخمسين، حيث مطعم «البندقية» الذي فتحه جيمي قبل ثلاثين عامًا.

أقام مطعمه هذا في الموقع الذي فشلت فيه من قبل ثلاثة مطاعم على التوالي. كانا هو وإيزابيل، آنذاك، عروسين، وقد استأجرا شقّة مفروشة في الطبقة الثانية من المبنى ذاته. أمّا اليوم، فهو يملك المبنى بكامله ومطعمه «البندقية» من المطاعم الأكثر رواجًا في مانهاتن، يقصده الجميع لتناول العشاء.

كان جيمي جالسًا خلف مكتبه المهيب، مكتب ضخم من التحف القديمة، يحاول أن يفهم لم كان يصعب عليه إلى هذا الحد النزول إلى الدور السفلي. لم يكن الأمر يقتصر على اتصال إيزابيل. صالة المطعم كانت مزينة بالجداريّات، فكرة نسخها عن مطعم منافس يدعى «لا كوت باسك». تلك اللوحات تصور مشاهد من البندقية رسمت فيها هيذر في أعمار مختلفة. ففي إحدى اللوحات، رسم الفنان وجهها طفلة في الثانية من العمر تطل من إحدى نوافذ قصر دوجي. وفي لوحة أخرى تجلس فتاة في جندول فيما الجندولي ينشد لها أغنية عاطفية. وفي العشرين، رُسِمَت شابةً تعبر جسر التنهّدات وفي يدها ورقة عليها نوتات معزوفة موسيقية.

كان جيمي على يقين بأنّ قلبه لن يستكين ما لم يمحُ صور ابنته عن هذه الجداريات. لكن، على غرار إيزابيل التي كانت متشبثة بفكرة أنّ أحدًا ما تسبّب بمقتل هيذر، لم يكن بوسعه تخطّي تلك الحاجة المتواصلة إلى حضور ابنته، إلى عينيها تحدّقان به فيما يعبر قاعة المطعم، وإلى وجودها بقربه، هناك، يومًا بعد يوم.

كان رجلًا أسمر البشرة في السابعة والستين من العمر، شعره ما زال على لونه الداكن، وعيناه القلقتان المطرقتان تحت حاجبين كثّين أشعثين تضفيان على وجهه تعبيرًا متهكّمًا مشكّكًا. كان معتدل القامة وجسده القوي البنية المشدود العضلات يوحي بقوة بهيمية. كان

يدرك أنّ بدلاته المصنوعة خصّيصًا على مقاسه تثير سخرية الذمّامين الذين يرون أنّها إهدار للمال وأنّه مهما فعل ومهما حاول، فمظهره يبقى مظهر عامل مياوم. انفرجت ملامحه حين تذكّر كيف ثارت ثائرة هيذر أوّل مرة سمعت هذه الملاحظة.

قلت لها ألّا تكترث، فكّر جيمي وهو يبتسم لنفسه. قلت لها إنّ بوسعي شراءهم جميعًا بالجملة وبيعهم إن شئت، وإن هذا ما يهمّ وحسب.

هزّ رأسه وهو يستحضر تلك الذكريات. بات اليوم يعرف أكثر من أيّ وقت مضى أنّ هذا ليس كلّ ما يهمّ في الحياة، لكنّه يعطيه حافزًا للنهوض كلّ صباح وبدء نهاره. إن كان تخطى محنة الأشهر الماضية، فبفضل التركيز على أشغال الكازينو والفندق اللذين كان يشيدهما في أتلانتيك سيتي. صاحت به هيذر يوم عرض عليها مجسّم مشروعه «دونالد ترامب، يمكنك التقاعد! ما رأيك لو نطلق عليه اسم فندق هيذر، وسوف أغنّي فيه حصريًا من أجلك بابي!»

اختارت له اسم التحبّب «بابي» أثناء رحلة إلى إيطاليا حين كانت في العاشرة، ومنذ ذلك الحين لم يسمع منها مرة كلمة أبي.

ما زال جيمي يذكر ردّه «لو كان الأمر يتوقف عليّ، لكنت جعلتك في الحال نجمة برنامجنا الاستعراضي، تعرفين ذلك جيّدًا. لكن ينبغي قبل ذلك أن نستشير ستيف، فقد استثمر هو أيضا مبلغًا طائلًا في أتلانتيك سيتي، وأنا أعهد إليه بقسم كبير من القرارات. مهما يكن، ما رأيك لو تتخلين عن هذه الطموحات المهنية وكل ما يرافقها، لتتزوّجي وتنجبي لي أحفادًا؟»

راحت هيذر تضحك. «آه بابي! أمهلني سنتين، إنّني سعيدة جدًّا بحياتي.»

انتزعت أصداء تلك الضحكة منه تنهيدة. لن يرزق الآن بأيّ أحفاد، لا اليوم ولا غدًا. لا فتاة صغيرة بشعر ذهبي وعينين كستنائيتين، ولا فتى يتولى ذات يوم أعماله.

أيقظته من تأمّلاته طرقة خفيفة على الباب.

قال «تفضّل، ستيف».

من حسن حظّه أنّ لديه ستيف. كان ذلك الرجل الأشقر الوسيم لا يزال طالبًا حين تخلى قبل خمس وعشرين سنة عن دروسه في كورنيل وجاء يطرق باب المطعم حتّى قبل افتتاحه. قال «أريد أن أعمل لحسابك سيد لاندي. يمكنني أن أتعلم منك أكثر بكثير ممّا أتعلم في أي صفوف جامعية».

أحسّ جيمي حياله بمزيج من الطرافة والامتعاض. عمد إلى تقييم الشاب في ذهنه. كان فتى جريئًا من الصنف الذي يخال أنّه يعرف كلّ شيء. أجابه «تريد أن تعمل لحسابي؟»، وتابع مشيرًا إلى المطبخ «حسنًا، أنا بدأت العمل هناك».

كان ذلك يومًا مباركًا، قال جيمي لنفسه. قد يكون ستيف بدا فتى مدلّلًا متأنّقًا، غير أنّه كان في الحقيقة شابًّا أيرلنديًّا عملت والدته نادلة لتربّيه، وقد أثبت عن القدر ذاته من الطاقة والمكابدة. فكّرت آنذاك أنّه من الحماقة أن يتخلّى عن دراسته، لكنّني كنت مخطئًا، فهو ولد لمزاولة هذه المهنة.

فتح ستيف أبوت الباب وأشعل أقرب مصباح إليه عند دخوله الغرفة. «لماذا تبقى في العتمة، جيمي؟ هل تخاطب الأرواح؟»

التفت لاندي إليه بابتسامة حزينة، فقرأ الحنوّ في عينيه.

«كنت شارد الذهن.»

«حضر رئيس البلدية للتوّ برفقة أربعة أشخاص.»

دفع جيمي مقعده إلى الخلف ونهض.

«لم يبلغني أحد بأنّه حجز طاولة.»

«لم يفعل، أعتقد أنّ فخامته لم يقو على مقاومة الهوت دوغ الذي نعدّه...» عبر أبوت الغرفة بخطى واسعة ووضع يده على كتف لاندي. «يوم شاق، أليس كذلك؟»

«نعم»، أجاب جيمي. «اتّصلت إيزابيل هذا الصباح لتقول إنّ الوسيطة العقارية زارت شقّة هيذر وتعتقد أنّها ستبيعها بسرعة. وبالطبع، كما في كلّ مرة تكالمني، عادت إلى طرح المسألة ذاتها من جديد، إنّها لا تصدّق أنّ هيذر يمكن أن تقود سيّارتها إلى المنزل على طرقات مكسوّة بالجليد، ولا تعتقد أنّ وفاتها كانت حادثًا. هي لا تستسلم. سوف تفقدني صوابي.»

كان يحملق بنظرته التائهة من دون أن يرى أبوت.

«حين التقيت إيزابيل، كانت فاتنة، صدّقني. ملكة جمال من كليفلاند. كانت مخطوبة وعلى وشك الزواج. انتزعت الخاتم الذي كان ذاك الشاب وضعه في إصبعها ورميته من نافذة السيّارة.» ضحك ضحكة خافتة. «اضطررت إلى اقتراض مبلغ من المال لتسديد ثمن الخاتم للشاب الآخر، لكنّني فزت بالفتاة. إيزابيل تزوجتني».

كان أبوت يعرف القصّة ويعرف لماذا كان جيمي يستحضرها.

«قد لا يكون زواجكما دام طويلًا، لكنك رزقت بهيذر.»

«اعذرني ستيف، أشعر أحيانًا وكأنّني رجل هرم يكرر نفسه طوال الوقت. سبق وسمعتَ القصّة مرارًا. إيزابيل لم تحب يومًا نيويورك ولا هذه الحياة. ما كان يجدر بها أن تغادر كليفلاند أساسًا.»

«لكنّها فعلت، والتقيتها. هيّا جيمي، رئيس البلدية في انتظارك.»

2

أحضرت لايسي خلال الأسابيع التالية ثمانية زبائن محتملين لمعاينة الشقّة. بدا واضحًا أن اثنين منهم كانا من المتسكعين، من الصنف الذي يجد متعة في إهدار وقت الوسطاء العقاريين.

قالت لريك باركر معلقة على المسألة حين توقّف عند مكتبها ذات مساء فيما كانت تستعد للعودة إلى منزلها «في مطلق الأحوال، لا يمكن التكهّن بأي شيء. أحيانًا تصطحب أحدًا ما على مدى سنة في جولات على شقق في جميع أنحاء المدينة، وتصل إلى مرحلة أنّك تفضّل الموت على أن تقوم بجولة واحدة جديدة معه، ثمّ ماذا يحصل؟ يوقّع الشخص الذي تكون على وشك التخلّي عنه فجأة شيكًا لشقّة بسعر مليون دولار».

«أنت أقوى جلدًا منّي»، أجابها ريك وملامحه المتناسقة الموروثة عن أجداده الأرستقراطيين تعكس الازدراء. «أنا لا أحتمل الأشخاص الذين يهدرون وقتي. ار. جي. بي. يسأل إن كانت لديك عروض جدية على شقّة وارينغ.»

كان ريك يشير إلى والده بأحرف ار. جي. بي.

«لا أعتقد ذلك فعلًا، لكنّه ملف جديد وغدًا يوم آخر.»

«شكرًا، سكارليت أوهارا. سوف أوصل الرسالة إليه. أراك في الغد.»

وجّهت إليه لايسي تكشيرة بعدما أدار ظهره للخروج. كان ريك عكر المزاج متهكّمًا اليوم. ما الذي يمكن أن يشغل باله؟ وكيف يكترث لشقة وارينغ في حين يخوض والده مفاوضات لبيع فندق بلازا؟ فليدعني وشأني.

أغلقت درج مكتبها وفركت جبينها حيث بدأت تشعر ببوادر صداع. أحسّت فجأة بالإعياء. فهي تعيش في دوامة منذ أن عادت من إجازتها، بين إعادة تحريك ملفات قديمة وتسلم عروض بيع جديدة ومعاودة الاتصال بأصدقائها واستقبال أولاد كيت لعطلة نهاية اسبوع، فضلًا عن تخصيص قسط وافر من وقتها لإيزابيل وارينغ.

اعتادت المرأة الاتصال بها يوميًا، وغالبًا ما كانت تدعوها بإصرار لملاقاتها في الشقّة. كانت تبادرها «لايسي، يجدر بك تناول الغداء معي. لا بدّ أن تتناولي وجبة طعام، أليس كذلك؟» أو تكتفي بالقول «لايسي، مرّي بي على طريق عودتك إلى منزلك لنتناول كأس نبيذ معًا، موافقة؟ أتعلمين أن المهاجرين إلى نيو إنغلاند كانوا يطلقون على الغسق اسم «النور الباهت»؟ من بين كلّ أوقات النهار، هذا هو وقت الوحشة».

تأمّلت لايسي الشارع. كانت ظلال متطاولة تتمدّد عبر جادة ماديسون، مشيرة إلى أنّ النهارات بدأت تتقلّص. إنّه فعلًا وقت موحش. فكّرت في إيزابيل. إنّها غارقة في حزن عميق، وهي الآن تصارع نفسها لتفحّص كلّ ما في الشقّة ولتوزيع ملابس ابنتها وأغراضها الشخصية. إنّها مهمّة شاقّة، لا سيّما أنّ هيذر كانت على ما يبدو من النوع الذي يكدّس شتّى المقتنيات.

قالت لايسي لنفسها إن قضاء بعض الوقت مع إيزابيل والاستماع إليها ليس بالأمر المجهد، ولا مانع لديّ على الإطلاق، بل إنّني في الواقع أكنّ لها الكثير من المودّة، وقد أضحت صديقة لي. لكن عليّ أن أقرّ بأنّ مشاطرتها أساها يحيي فيّ كلّ ما عانيته أنا نفسي عند وفاة والدي.

نهضت.

سوف أذهب إلى المنزل وأنهار كليًا. أنا بحاجة ماسّة إلى ذلك.

بعد ساعتين، في تمام التاسعة، كانت لايسي تعدّ لنفسها شطيرة شهية من البايكون والخسّ والطماطم، وقد انتعشت واستعادت حيويتها بعد قضاء عشرين دقيقة في مياه الجاكوزي. كانت هذه شطيرة والدها المفضلة. كان يقول إنّها الوجبة السريعة بامتياز لأي نيويوركي أصيل.

رنّ الهاتف غير أنّها تركت الاتّصال للمجيب الآلي، فسمعت صوت إيزابيل وارينغ الأليف. لن أجيب، قالت لنفسها بتصميم: بكلّ بساطة، لا رغبة لديّ في الوقت الحاضر للتحدّث إليها لثلث ساعة.

تصاعد صوت إيزابيل وارينغ المتردد بنبرته العذبة والمتوترة في آن. «لايسي، أعتقد أنّك لست في المنزل. ثمّة أمر لا بدّ أن أخبر أحدًا ما به. عثرت على يوميّات هيذر في الخزانة الكبيرة. ثمّة فيها ما يجعلني أعتقد أنّني لست مجنونة وأنّني على حقّ باعتباري أنّ وفاتها لم تكن عرضية. أعتقد أنّ في وسعي الآن ربّما أن أثبت أن أحدًا ما أراد تصفيتها. لن أبوح بالمزيد الآن، سوف أكلمك غدًا.»

هـزّت لايسي رأسها وهـي تستمع، ثـمّ قامت تلقائيًا بإطفاء المجيب الآلي وقطع رنين الهاتف. لم ترغب حتّى في معرفة ما إذا

كان آخرون يحاولون الاتّصال بها. جلّ ما كانت تريده أن تُترك لشأنها طوال ما تبقى من الليل.

سهرة هادئة. شطيرة، كأس نبيذ وكتاب. إنّني أستحق ذلك!

ما إن وصلت لايسي إلى المكتب في الصباح حتّى دفعت ثمن إطفائها المجيب الآلي في الليلة السابقة. فقد تلقت اتصالًا هاتفيًا من والدتها، تلاه بعد لحظة اتصال من كيت، كلاهما تسأل عن حالها وقد قلقتا لعدم تلقيهما ردًا حين اتّصلتا بشقتها في الليلة السابقة. وفيما كانت تسعى لطمأنة شقيقتها، دخل ريك المكتب في حالة من الاستياء الشديد وقال «إيزابيل وارينغ تريد التحدث إليك. حوّلوا الاتّصال لي».

«كيت، لا بدّ لي أن أنصرف لعملي.» أغلقت لايسي الخطّ وهرعت إلى مكتب ريك وتناولت السماعة.

«آسفة إيزابيل، لم أتمكن من معاودة الاتصال بك بالأمس.»

«لا يهمّ. لا يجدر بي في مطلق الأحوال التحدث في هذا الموضوع على الهاتف. هل تعتزمين جلب أحد ما اليوم؟»

«ليس لديّ أيّ موعد حتّى الآن.»

ما إن أنهت جملتها حتّى دفع ريك ورقة صغيرة نحوها عبر مكتبه دوّن عليها «كورتيس كالدويل، محام لدى مكتب كيلر، رولاند وسميث. ينتقل الشهر المقبل من تكساس. يبحث عن شقّة بغرفة نوم واحدة في المنطقة ما بين الشارع الخامس والستين والشارع الثاني والسبعين على الجادة الخامسة. يمكنه زيارة شقق اليوم».

أومأت لايسي «شكرًا» بشفتيها لريك وقالت لإيزابيل «قد أجلب شخصًا اليوم. تفاءلي بالخير. لست أدري السبب، لكنّ حدسي يقول لي إن هذا قد يكون زبوننا».

بادرها باتريك البواب وهي تترجل من سيّارة أجرة «ثمّة شخص يدعى السيد كالدويل في انتظارك، آنسة فاريل».

لمحت من خلال الباب الزجاجي المزخرف رجلًا نحيلًا ينقر بأصابعه على منضدة ردهة المدخل. قالت لنفسها: الحمد لله أنّني وصلت قبل عشر دقائق من الموعد.

هم باتريك بفتح الباب لها ونبّهها مطلقًا تنهيدة «ثمّة مشكلة ينبغي إبلاغك بها، فنظام تكييف الهواء معطل. إنهم يعملون حاليًا على إصلاحه، لكن الحر خانق في الداخل. صدقيني، سوف أتقاعد في اليوم الأوّل من السنة المقبلة، وأتطلع إلى ذلك بفارغ الصبر. أربعون عامًا في هذا العمل، يكفي».

يا للحظ السيّء، فكّرت لايسي. لا مكيّف هواء في أحد الأيام الأكثر حرًا من السنة. لا عجب أن يفقد الرجل صبره. هذا لا يبشر بالخير بالنسبة للصفقة.

لم تتمكّن، خلال الوقت الذي استغرقته لعبور الردهة نحو كالدويل، من تشكيل انطباع واضح عن الرجل ببشرته الملوّحة في الشمس وشعره الأشقر الفاتح وعينيه الزرقاوين الشاحبتين. كانت تتوقع منه أن يبدأ الحديث بالقول إنّه لا يحب الانتظار.

لكنّها حين عرّفت كورتيس كالدويل عن نفسها، قابلها بابتسامة مشرقة، بل مازحها قائلًا «قولي لي الحقيقة منذ البداية آنسة فاريل، ما هو مدى مزاجية نظام التكييف في هذا المبنى؟»

حين اتّصلت لايسي بإيزابيل وارينغ للتأكيد على الموعد، بدت المرأة شاردة الذهن وقالت لها إنّها ستكون منشغلة في المكتبة وبوسع لايسي بالتالي أن تستخدم مفتاحها للدخول.

كانت لايسي تمسك بالمفتاح حين خرجت مع كالدويل من المصعد. فتحت الباب وصاحت «إيزابيل، لقد جئت» متوجّهة إلى المكتبة، يتبعها كالدويل.

وجدت إيزابيل جالسة إلى المكتب في الغرفة الصغيرة، وقد أدارت ظهرها للباب، وإلى جانبها حافظة جلدية مفتوحة فلشت عددًا من أوراقها أمّامها على المكتب. لم ترفع إيزابيل رأسها ولم تحوّل نظرها عن الأوراق لتلتفت حين كلّمتها لايسي، بل قالت بصوت خافت «أرجوك أن تتصرفي وكأنّني غير موجودة».

شرحت لايسي لكالدويل بشكل موجز وهي تجول به على الشقّة، أنّها معروضة للبيع لأنها كانت لابنة إيزابيل وارينغ التي توفيت الشتاء الماضي في حادث.

لم يبد كالدويل أي اهتمام بقصة الشقّة. كان من الواضح أنّها أعجبته ولم يعترض إطلاقًا على السعر المطروح بستمئة ألف دولار. وبعدما تفحص الطبقة الثانية بشكل دقيق، ألقى نظرة من نافذة غرفة الجلوس ثمّ التفت إلى لايسي. «تقولين إنّها ستكون خالية الشهر المقبل؟»

«تمامًا»، أجابته وهي تقول لنفسها إن لحظة الحسم حانت وإنه سيقدّم عرضًا.

«لن أجادل آنسة فاريل. أنا على استعداد لدفع الثمن المطلوب، بشرط أن يكون في وسعي بالتأكيد الانتقال إلى الشقّة في أوّل يوم من الشهر.»

«دعنا نذهب ونكلّم السيدة وارينغ»، أجابت لايسي وهي تحاول إخفاء ذهولها لهذا العرض، غير أنّها هدّأت من حماستها مرددة

لنفسها ما كانت تقوله في اليوم السابق لريك، بأنّ الأمور تحصل على هذا النحو المفاجئ.

لم تردّ إيزابيل وارينغ حين دقت لايسي على باب المكتبة. التفتت لايسي إلى الزبون قائلة «سيد كالدويل، هل تمانع إن انتظرتني لبرهة في غرفة الجلوس؟ سأتكلّم قليلًا مع السيدة وارينغ وأعود إليك حالًا».

«طبعًا.»

فتحت لايسي الباب وألقت نظرة داخل الغرفة. كانت إيزابيل وارينغ لا تزال جالسة إلى المكتب، لكنّها الآن تحني رأسها إلى حدّ كان جبينها يلامس الصفحات أمامها، وكتفاها ترتعدان. تمتمت «ارحلي، لا يمكنني الاهتمام بهذه المسألة الآن».

كانت يدها اليمنى مطبقة على قلم أخضر مزخرف. طرقت به على المكتب مردّدة «ارحلي».

ردّت لايسي برفق «إيزابيل، الأمر في غاية الأهمية. لدينا عرض على الشقّة، لكن، هناك شرط عليّ أن أناقشه معك مسبقًا».

«انسي الأمر! لن أبيع الشقّة، إنّني بحاجة إلى المزيد من الوقت هنا.» ارتفع صوتها في أنين. «آسفة لايسي، لكنّني لا أرغب في الكلام الآن. عودي لاحقًا.»

نظرت لايسي إلى ساعتها. كان الوقت يقارب الرابعة. قالت «سوف أعود في الساعة السابعة»، حرصًا منها على تفادي أزمة. كانت قلقة على المرأة وقد بدت على وشك الانهيار بالبكاء.

أغلقت الباب واستدارت. كان كورتيس كالدويل واقفًا في البهو ما بين المكتبة وغرفة الجلوس. سألها بنبرة مذهولة «ألا تريد بيع الشقّة؟ ظننت أنّها...».

قاطعته لايسي بصوت خفيض «لِمَ لا ننزل إلى الطابق السفلي؟».

جلسا في الصالون دقائق. قالت له «إنّني واثقة من أنّ الأمور ستسير على ما يرام. سوف أعود وأكلمها في المساء. لقد عاشت تجربة أليمة، لكنّها ستتخطى محنتها. أعطني رقمًا يمكنني الاتصال بك عليه لاحقًا».

«نزلت في فندق والدورف تاورز، في الجناح الخاص بشركة كيلر، رولاند وسميث.»

وعدته فيما نهضا للانصراف «لا تقلق، ستعود الأمور إلى مجراها الطبيعي، سوف ترى».

ابتسم لها بود وثقة قائلًا «إنّني واثق من ذلك. سأترك المسألة في عهدتك آنسة فاريل».

غادر المبنى وتوجّه سيرًا على الأقدام من الشارع السبعين إلى فندق إيسيكس هاوس على جادة جنوب سنترال بارك، وهناك دخل مباشرة إلى كشك للهاتف. اتصل برقم وقال «كنت على حق. لقد عثرَت على اليوميّات. إنّها في الحافظة الجلدية، مثلما وصفتها تمامًا. من جهة أخرى، يبدو أنّها بدّلت رأيها بشأن بيع الشقّة، غير ان الوسيطة ستعود في المساء لتحاول إقناعها».

استمع قليلًا ثمّ قال «سوف أهتم بالمسألة» وأقفل الخطّ. دخل ساندي سافارانو الذي كان يعرّف عن نفسه باسم كورتيس كالدويل، بعدها إحدى الحانات وطلب كأسًا من الويسكي.

3

اتّصلت لايسي بإيزابيل وارينغ في الساعة السادسة، وهي متخوّفة بعض الشيء، غير أنّها شعرت بالارتياح حين بدا لها أن المرأة استعادت هدوءها.

قالت لها «تعالي إلى الشقّة لايسي وسوف نناقش الأمر. لكن لا يمكنني مغادرة الشقّة الآن، حتّى لو كان ذلك يعني التضحية بالصفقة. ثمّة في يوميّات هيذر معلومات قد تكون بالغة الأهمية باعتقادي».

«سوف أحضر في الساعة السابعة»، أجابت لايسي.

«أرجوك أن تحضري. أريدك أن تري أنت أيضًا ما عثرت عليه. سوف تدركين ما أعنيه. استخدمي مفتاحك للدخول. سوف تجدينني في الطابق الأعلى، في غرفة الجلوس.»

كان ريك باركر يعبر أمام مكتب لايسي حين رأى الاضطراب الظاهر على وجهها، فدخل وجلس أمّامها سائلًا «هل من مشكلة؟».

«مشكلة كبرى»، أجابته.

أخبرته عن سلوك إيزابيل وارينغ الغريب وعن احتمال تبديد فرصة البيع.

سألها ريك محتدًا «ألا يمكنك إقناعها بتبديل رأيها؟»

رأت لايسي وجهه يتجهّم. القلق الذي عكسته ملامحه لم يكن من باب الحرص عليها ولا على إيزابيل وارينغ، كانت واثقة من ذلك. فشركة باركر وباركر سوف تخسر عمولة ضخمة في حال رفض عرض كالدويل، وهذا ما كان يزعجه.

نهضت وتناولت سترتها. كانت ما بعد الظهيرة دافئة، غير أنّ الأرصاد الجوية تتوقع هبوطًا حادًا في الحرارة في المساء. قالت «سوف نرى ما يحصل.»

«تغادرين الآن؟ ظننتك ستوافينها في الساعة السابعة. أليس هذا ما قلته؟»

«أعتقد أنّني سأمشي إلى هناك. وسأتوقف في طريقي على الأرجح لتناول فنجان قهوة، هكذا أستجمع أفكاري وأحكم حججي. إلى اللقاء ريك.»

لا تزال عشرون دقيقة تفصلها عن موعدها، غير أنّها قرّرت التوجّه إلى الشقّة في مطلق الأحوال. وجدت باتريك البواب منهمكًا في تسليم طلبية، غير أنّه استقبلها بابتسامة، مشيرًا لها في اتجاه المصعد.

في اللحظة التي فتحت فيها الباب ونادت إيزابيل، سمعت الصرخة والطلقة النارية. تسمّرت في أرضها لثانية، ثمّ صفقت الباب بسرعة، مدفوعة بغريزتها، واختبأت داخل الخزانة قبل أن ينزل كالدويل السلالم مسرعًا ويندفع خارجًا إلى الرواق، شاهرًا مسدسًا ومتأبطًا حافظة جلدية.

تساءلت في ما بعد إن كان صوت والدها من نسج خيالها، غير أنّها سمعته بوضوح يخاطبها في زاوية ما من رأسها قائلًا لها «هيّا

لايسي، أغلقي الباب! لا تدعيه يدخل!» هل كانت رعايته الأبوية هي التي اعطتها القوة للضغط على الباب وإغلاقه ثمّ إقفال المزلاج فيما كان كالدويل يدفعه؟

اتكأت إلى الباب وسمعت المفتاح يدور في القفل فيما كان يحاول دخول الشقّة مجدّدًا، متذكرة الوميض الضاري المفترس في عينيه الزرقاوين الشاحبتين لحظة حدّق كلّ منهما في الآخر.

إيزابيل!

ينبغي الاتصال بالشرطة... طلب المساعدة!

تعثّرت وهي تصعد السلالم الحلزونية مسرعة، ثمّ عبرت غرفة الجلوس العاجية والخوخية وصولًا إلى غرفة النوم حيث وجدت إيزابيل ممدّدة في عرض السرير. دماؤها تسيل بغزارة، وتقطر على الأرض.

كانت إيزابيل لا تزال تتحرّك، تشد على رزمة أوراق محاولة انتشالها من تحت الوسادة. كانت الأوراق أيضًا ملطخة بالدماء.

ودّت لايسي أن تقول لإيزابيل إنّها ستطلب المساعدة... إن الأمور ستكون على ما يرام، لكن إيزابيل كانت تجاهد للتكلّم إليها. «لايسي... أعطي يوميّات... هيذر... إلى والدها». كادت تختنق، حاولت التقاط أنفاسها. «إليه وحده... أقسمي... هو... وحده.. اقرئيها... أنت... أشيري له... إلى». وهن صوتها. أخذت نفسًا طويلًا متقطعًا وكأنها تستمهل الموت، تاه نظرها. جثت لايسي على ركبتيها إلى جانبها. استجمعت إيزابيل آخر ما تبقى لها من قوة وضغطت على يدها. «أقسمي... أرجوك... مان...!»

قالت لايسي بصوت متهدّج «أعدك إيزابيل، أقسم لك».

تراخت فجأة اليد التي كانت تضغط على يدها. فأدركت أنّ إيزابيل فارقت الحياة.

«هل أنت بخير لايسي؟»

«أظنّ ذلك.»

كانت في المكتبة في شقّة إيزابيل، جالسة في مقعد جلدي مواجه للمكتب الذي كانت إيزابيل خلفه قبل بضع ساعات فقط، تقرأ محتوى حافظة الأوراق الجلدية.

كورتيس كالدويل كان يحمل تلك الحافظة. لا بدّ أنّه انتشلها حين سمعني أدخل، بدون أن ينتبه إلى أن إيزابيل انتزعت منها بعض الأوراق. لم تتمكن لايسي من رؤية الحافظة عن كثب، لكنّها بدت ثقيلة إلى حدّ ما.

الصفحات التي أخذتها لايسي من غرفة إيزابيل باتت الآن في محفظتها. فهي أقسمت لإيزابيل أن تعطيها لوالد هيذر وحده ولا أحد سواه. أرادت منها أن تشير له إلى أمر ما تحتوي عليه. لكنّها تساءلت ماذا عساه يكون؟ ألا يجدر بها أن تصرح عنها للشرطة؟

«لايسي، اشربي بعض القهوة، أنت بحاجة إلى ذلك.»

انحنى ريك ليناولها كوبًا يتصاعد منه البخار. كان شرح للتوّ للمفتشين أنّه لم يجد ما يدعو إلى التشكيك في اتصال رجل ادعى أنّه محام لدى مكتب كيلر، رولاند وسميث ينتقل من تكساس للإقامة في نيويورك. قال موضحًا «إنّنا نتعامل كثيرًا مع هذه الشركة، ولم أجد ما يدعو للاتصال بهم لتأكيد الأمر».

«هل أنت واثقة آنسة فاريل أن ذلك الرجل الذي يدعو نفسه كالدويل هو نفسه الذي رأيته يهرع خارجًا من هنا؟»

كان الأكبر سنًّا بين المفتّشين الإثنين خمسينيًّا مربوع القامة، لكن لايسي وجدت أنّه يتحرك بخفة. كانت أفكارها مشتتة. إنّه يشبه ذلك الممثل الذي كان صديقًا لوالدي، ذاك الذي لعب دور الوالد في

إعادة مسرحيّة «سيدتي الجميلة». كان يؤدّي أغنية «أحضروني إلى الكنيسة في الموعد». ما كان اسمه؟

«آنسة فاريل؟» بدا من صوت المفتّش أنّه بدأ يفقد صبره.

نظرت لايسي إليه. المفتّش إيد سلون، هذا هو اسم الرجل. لكنّها لا تزال عاجزة عن تذكر اسم الممثّل. ماذا سألها سلون؟ آه أجل، هل كان كورتيس كالدويل فعلًا الرجل الذي رأته يهرع على السلالم خارجًا من غرفة إيزابيل.

قالت «إنّني واثقة تمامًا من أنّه هو نفسه. كان يحمل مسدسًا والحافظة الجلدية».

ودّت لو تصفع نفسها صفعة شديدة! لم تكن ترغب في الكلام عن اليوميّات. عليها أن تفكر مليًّا في المسألة قبل التكلّم عنها.

«حافظة جلدية؟»، سأل المفتّش سلون بنبرة حادة. «أي حافظة جلديّة؟ إنّها أوّل مرة تذكرينها».

«لست أدري تمامًا»، أجابت لايسي وهي تطلق تنهيدة. «كانت مفتوحة على مكتب إيزابيل بعد ظهر اليوم. إنّها من الحافظات الجلدية التي تغلق بواسطة سحاب. كانت إيزابيل تقرأ صفحاتها حين كنا هنا في وقت سابق من اليوم.»

كان يجدر بها أن تخبرهم عن الصفحات التي لم تكن داخل الحافظة حين سلبها كالدويل. لماذا كانت تلزم الصمت بشأنها؟ لأنها أقسمت لإيزابيل بأنّها ستعطيها لوالد هيذر. قاومت إيزابيل الموت إلى أن انتزعت الوعد من لايسي. لا يمكنها أن تنكث بكلمتها...

أحسّت لايسي فجأة بساقيها ترتجفان. راحت تضغط على ركبتيها، محاولة تثبيتهما، لكنّ الرجفة استمرّت.

«أعتقد أنّه يجدر بنا إحضار طبيب لك، آنسة فاريل»، قال سلون.

«كلّ ما أريده هو العودة إلى المنزل»، همهمت. «أرجوك دعني أذهب إلى البيت.»

كانت على يقين بـأنّ ريـك يـقـول أمـرًا ما للمفتش بصوت منخفض، أمر لم يكن بوسعها سماعه، ولم تكن ترغب فعلًا في سماعه. فركت يديها. كانت أصابعها دبقة. نظرت إلى يديها فأحسّت بأنفاسها تنقطع. لم تكن تنبهت إلى أنّهما ملطختان بدماء إيزابيل.

سمعت المفتّش يقول لها «آنسة فاريل، سوف يصطحبك السيد باركر الآن إلى منزلك. يمكننا التحدث مجدّدًا غدًا، بعدما تستريحي». بدا للايسي أنّه يتكلّم بصوت عال جدًّا. هل كان صوته حقًا عاليًا؟ لا، بل كانت هذه إيزابيل تصرخ «لا! لا...!».

هل لا تزال جثّة إيزابيل ممدّدة في عرض السرير، منكمشة على نفسها؟ راودها هذا السؤال.

أحسّت لايسي بذراعين تنتشلانها من تحت إبطيها، تساندانها للنهوض. كان ريك يقول لها «تعالي لايسي».

امتثلت ونهضت، مستسلمة للذراعين اللتين قادتاها صوب الباب ثمّ نزولًا إلى ردهة المدخل. هناك وقف كورتيس كالدويل بعد الظهر. سمع ما قالته إيزابيل لها عن عدم رغبتها في بيع الشقّة.

قالت «لم ينتظر في غرفة الجلوس.»

«من لم ينتظر في غرفة الجلوس؟» سأل ريك.

لم تجب لايسي. تـذكّـرت فجأة حقيبة أوراقـهـا. فيها أخفت صفحات اليوميّات. عـاودهـا ذلـك الإحـسـاس حين أمسكت بيدها الأوراق وكانت مدعوكة وملطخة بالدماء. سألها المفتّش سلون إن كانت لمست إيزابيل.

ردّت أنّها أمسكت بيدها وهي تحتضر.

لا بدّ أنّه لاحظ الدماء على أصابعها. هناك على الأرجح آثار دماء على حقيبتها أيضًا. مرت لايسي بلحظة مفاجئة من الجلاء التام. إن طلبت من ريك أن يجلب الحقيبة لها من الخزانة، فسوف يلاحظ الدماء على قبضتها. لا بدّ لها أن تجلب الحقيبة بنفسها، وتمنعهم من رؤيتها إلى أن يتسنى لها مسح آثار الدماء عنها.

كان المكان يغص برجال الشرطة. أضواء الفلاشات تومض بدون انقطاع. كانوا يلتقطون صورًا، يبحثون عن بصمات، ينشرون مسحوقًا على الطاولات. خطر للايسي أن إيزابيل لما كانت رضيت عن الأمر. كانت في غاية النظافة والترتيب.

توقّفت لايسي لوهلة عند أسفل السلالم، عيناها مسمرتان إلى الطبقة العليا. هل لا تزال إيزابيل ممدّدة هناك؟ هل غطّوا جثتها؟

كان ريك يحيطها بذراعه ويسندها بقوة. قال لها «هيّا لايسي» وهو يدفعها نحو الباب.

عبرا أمام الخزانة حيث كانت وضعت حقيبة أوراقها.

قالت لايسي لنفسها: لا يمكنني أن أطلب منه أن يناولني إيّاها. تفلّتت من ذراعه، فتحت باب الخزانة وانتشلت الحقيبة بيدها اليسرى.

قال ريك مندفعًا «دعيني أحملها عنك».

انهارت عليه متهاوية وتشبثت بذراعه بيدها اليمنى، محكمة قبضتها اليسرى على الحقيبة.

قال ريك «سوف أرافقك إلى البيت لايسي».

تهيّأ لها أن الجميع يحدّقون فيها، يحدقون في الحقيبة الملطخة بالدماء. تساءلت إن كان هذا الإحساس الذي يعتري السارق. ارتفع

صوت في داخلها راح ينهرها بإصرار «عودي أدراجك، أعطيهم اليوميّات. إنّها لا تخصك ولا يحق لك أخذها».

لكن هذه الأوراق ملطخة بدماء إيزابيل. فكّرت يائسة «ليست ملكًا لي حتّى أسلمها».

عند وصولهما إلى ردهة المبنى، اقترب منهما ضابط شاب في الشرطة وقال «سوف أقلك آنسة فاريل. المفتّش سلون يريد التثبت من وصولك بسلامة إلى منزلك».

كانت لايسي تسكن شقّة على جادة إيست إند عند مستوى الشارع التاسع والسبعين. همّ ريك لدى وصولهم بالصعود معها، غير أنّها رفضت قائلة «كلّ ما ارغب فيه هو الخلود إلى النوم». أصرت على رفض كلّ احتجاجاته وتأكيداته بأنّه لا ينبغي أن تبقى وحيدة، هازّة رأسها بشكل متواصل ازاء إلحاحه.

استسلم في نهاية الأمر قائلًا «إذًا سوف أتصل بك باكرًا في الصباح».

كانت تقيم في الطابق الثامن. استقلّت المصعد وحيدة واستغرق بها وقتًا بدا لها مديدًا وكأنه لن ينتهي قبل أن يتوقّف. خرجت إلى الرواق، فذكرها بالرواق أمام باب شقّة إيزابيل. تملّكها خوف شديد وراحت تقلّب النظر بهلع من حولها وهي تعبره مسرعة.

ما إن دخلت شقّتها حتّى سارعت إلى إخفاء حقيبة الأوراق تحت الأريكة. نوافذ غرفة الجلوس كانت تطل على النهر الشرقي. وقفت لايسي مطرقة دقائق طويلة عند إحدى النوافذ، تراقب الأضواء تتلألأ على صفحة المياه. ثمّ فتحت النافذة رغم أنّها كانت ترتعش، واستنشقت بنهم هواء الليل البارد العذب. بدأ ذلك الإحساس الذي

سيطر عليها خلال الساعات الأخيرة بأنّ ما تعيشه غير حقيقي يتبدّد ليحلّ محلّه شعور أليم بالإرهاق إلى حدّ لم تعرفه من قبل. استدارت ونظرت إلى الساعة.

كانت العاشرة والنصف. قبل ما يزيد بقليل على أربع وعشرين ساعة، أبت أن ترفع سماعة الهاتف للرد على إيزابيل. لن تتلقى أي اتصال من إيزابيل بعد الآن.

تسمّرت لايسي فجأة. الباب! هل أقفلت الباب بإحكام؟ هرعت للتحقّق من الأمر.

أجل، كانت أغلقته بإحكام، غير أنّها أوصدته المزلاج الآن وسندت القبضة بكرسي لتثبيتها. عادت ترتعد فجأة. فكّرت «إنّني خائفة، ويداي دبقتان، ملطختان بدماء إيزابيل وارينغ».

كان حمّامها واسعًا نسبة إلى شقق نيويورك. جهّزته قبل سنتين بالجاكوزي الضخمة العميقة، عندما قامت بتحديث المكان برمّته. في تلك الليلة بالذات لم تكن آسفة إطلاقًا على المجهود المكلف الذي بذلته، فيما البخار المتصاعد من المياه الساخنة يغشّي المرآة.

خلعت ملابسها ورمتها أرضًا. غاصت في مياه الجاكوزي، مطلقة تنهيدة ارتياح وهي تغرق في دفئها. مدت يديها تحت المغسلة وراحت تفركهما. ثمّ ضغطت الزر لتشغيل فوارات المياه التي انبجست من حول جسدها.

بعد ذلك فقط، حين جلست مدثّرة بمئزر حمام دافئ مريح، عادت إلى ذهنها الصفحات الملطخة بالدم في محفظتها.

ليس الآن، فكّرت، ليس الآن.

كانت لا تزال عاجزة عن التخلّص من ذلك الإحساس بالذعر الذي لم يفارقها طوال المساء. تذكّرت أن لديها زجاجة ويسكي

في صوان الكحول. أخرجتها، سكبت لنفسها قليلًا في كوب، ملأت الكوب بالماء ووضعته في فرن المايكروويف. كان والدها يقول إن الشراب الساخن خير علاج لاستعادة الحيوية ورفع المعنويات، ولو أن وصفته هو كانت أكثر تطوّرًا إذ كان يطيّبها بكبوش القرنفل وبعض السكر وعود من القرفة.

لكنّ الأكيد أنّ هذا المشروب أتى بمفعوله حتّى بدون هذه المطيّبات، أحسّت بالسكينة تغمرها شيئًا فشيئًا وهي تحتسي الكأس في سريرها، فهدأ روعها وغلبها النعاس ما إن أطفأت الضوء.

لكنّها لم تكد تغفو حتّى أيقظتها صرخة مدوّية. كانت تفتح باب شقّة إيزابيل، تنحني فوق جثّة المرأة. كورتيس كالدويل يصوب المسدس إلى رأسها. تلك الصورة كانت واضحة وحية أمّامها.

استغرق الأمر عدة لحظات قبل أن تدرك أن الصيحة الحادة التي سمعتها كانت رنين الهاتف. رفعت السماعة وهي لا تزال ترتجف. كان ذلك صهرها جاي يتصل بها. قال لها «عدنا للتو من العشاء وسمعنا في نشرة الأخبار نبأ مقتل إيزابيل وارينغ. قالوا إن هناك شاهدة، امرأة شابة يمكنها التعرف إلى القاتل. لايسي، آمل ألّا تكوني أنت الشاهدة».

وجدت عزاء في القلق الذي لمسته في صوت جاي. أجابت «بلى، أنا الشاهدة».

خيّم صمت لبرهة. ثمّ قال بهدوء «ليس من الجيد في مطلق ظرف أن يكون الواحد شاهدًا».

«أؤكد لك أنّني لم أسع يومًا إلى ذلك»، ردّت غاضبة.

« كيت تريد أن تكلّمك.»

«لا يمكنني التكلّم الآن»، قالت وهي واثقة من أنّ كيت سوف تنهال عليها بالأسئلة من شدة حبها لها وقلقها عليها، وسترغمها على معاودة سرد القصّة برمّتها منذ اللحظة التي دخلت فيها الشقّة، ثمّ كيف سمعت الصرخة ولمحت بعدها قاتل إيزابيل.

قالت متوسّلة «جاي، لا يمكنني التكلّم الآن! سوف تتفهّم كيت الأمر».

أقفلت الخطّ وتمدّدت في العتمة، محاولة استعادة هدوئها والنوم مجدّدًا، لكنّها راحت ترهف السمع خشية أن تصل اذنيها صرخة أخرى يليها صوت خطى تقترب منها مسرعة. خطى كالدويل.

آخر ما راودها وهي تغرق في النوم كان أمرًا قاله جاي أثناء مكالمتهما. قال إنّه ليس من الجيّد في مطلق الظروف أن يكون الواحد شاهدًا. ترى، ما الذي دفعه لقول ذلك؟

حين ترك ريك باركر لايسي في مدخل المبنى الذي تسكنه، استقل سيّارة أجرة وتوجه مباشرة إلى شقته عند زاوية غرب سنترال بارك والشارع السابع والستين. كان يعرف جيّدًا ما الذي ينتظره هناك. فلا بد أن تكون جميع وسائل الإعلام الآن تناقلت خبر مقتل إيزابيل وارينغ. كان هناك صحافيون خارج المبنى حين خرج منه مع لايسي، ولا بد أن تكون إحدى الكاميرات التقطت صورته وهما يدخلان سيّارة الشرطة. وفي هذه الحال، سيكون والده شاهده بالتأكيد على نشرة أخبار الساعة العاشرة التي يتابعها يوميًا. نظر ريك إلى ساعته، كانت الحادية عشرة إلّا ربعًا.

كان ضوء المجيب الآلي على الهاتف يومض حين دخل شقته المظلمة، تمامًا كما توقع. ضغط زر التشغيل فوجد رسالة واحدة. كانت

من والده يقول فيها «اتصل بي فور وصولك مهما كانت الساعة!».

كانت راحتا يدي ريك متعرّقتين إلى حدّ اضطرّ إلى مسحهما بمحرمته قبل أن يرفع سماعة الهاتف للاتصال بوالده. رد بعد الرنّة الأولى.

بادره ريك بصوت متقطع وعالي الطبقة على غير عادته «قبل أن تسألني، دعني أقول لك إنّه لم يكن أمّامي أي خيار. اضطررت للذهاب إلى هناك لأن لايسي قالت للشرطة إنّني أنا من أعطاها رقم كالدويل، فاستدعوني».

أنصت ريك دقيقة لوالده يكلّمه بنبرة حانقة قبل أن ينجح أخيراً بالردّ عليه. «أبي، قلت لك ألّا تقلق. كلّ شيء على ما يرام. لا أحد يعلم أنّني كنت على علاقة بهيذر لاندي.»

4

قرّ ساندي سافارانو، الرجل الذي كانت لايسي تعرفه باسم كورتيس كالدويل، من شقّة إيزابيل وارينغ سالكًا سلالم النجاة إلى الطابق تحت الأرض قبل أن يخرج من المدخل الجانبي. كان ذلك ينطوي على مجازفة، لكن لا بدّ من المجازفة أحيانًا.

توجّه مسرعًا إلى جادة ماديسون، متأبّطًا حافظة الأوراق الجلدية. استقل سيّارة أجرة إلى الفندق الصغير الذي نزل فيه على الشارع التاسع والعشرين. وعند دخول غرفته، رمى الحافظة على السرير وسارع إلى صب قدر سخي من الويسكي في كوب ماء، ابتلع نصفه دفعة واحدة، على أن يحتسي النصف الثاني على مهل. كان ذلك طقسًا يتبعه بعد إتمام مهمّة من هذا النوع.

حمل كأسه، تناول الحافظة وجلس مسترخيًا في المقعد الوحيد المريح في غرفة الفندق. جرت مهمّته على نحو سهل وسلس حتّى ذلك الحادث في اللحظة الأخيرة. فهو تمكّن من العودة إلى المبنى من دون أن يرصده أحد، في وقت كان البواب على الرصيف منهمكًا في مساعدة امرأة مسنّة على الصعود في سيّارة أجرة. ثمّ دخل الشقّة

مستخدمًا المفتاح الذي انتشله عن الطاولة في المدخل حين كانت لايسي فاريل في المكتبة مع إيزابيل وارينغ.

وجد المرأة في غرفة النوم، مستلقية على السرير ساندة ظهرها ومغمضة عينيها، وقربها الحافظة الجلدية موضوعة على الطاولة الجانبية. حين تنبّهت إلى وجوده، وثبت عن السرير محاولة الفرار، غير أنّه اعترض الباب.

لم تطلق أي صرخة. لم تفعل، كان الفزع يشلّها. كان هذا أكثر ما يهواه: الرعب المطلق في عيني الضحية، اليقين بأنّ لا مفر، وبأنّها ستموت لا محال. استمتع بتلك اللحظة، تلذّذ بها. كان يحب دائمًا أن يخرج مسدسه ببطء، محدقًا في عيني ضحيته من دون أن يحوّل نظره لحظة، فيما يصوّب نحوها بدقة. كان ذلك التواصل بينه وبين ضحيته في اللحظة التي تسبق الضغط على الزناد يثيره إلى أقصى حدّ.

استعاد مشهد إيزابيل وهي تسعى في بادئ الأمر للإفلات منه، ثمّ تعود إلى السرير، تسند ظهرها إلى اللوح عند مقدمه، جاهدة للتلفظ بكلمة. ثمّ تلك الصرخة اليتيمة في النهاية «لا!»، تمتزج بصوت أحد ما ينادي فجأة من الطابق السلفي في اللحظة التي أطلق فيها النار عليها.

راح سافارانو ينقر بأصابعه بغضب على الحافظة الجلدية. تلك المرأة فاريل وصلت في هذه اللحظة بالذات. لولا ذلك، لكان كلّ شيء تم على أفضل وجه. لام نفسه، لأن تصرّفه نمّ عن حماقة! كيف دعاها تغلق عليه الباب وترغمه على الفرار؟ لكنّه، في المقابل، حصل على الحافظة وقتل إيزابيل وارينغ، وهي المهمّة التي أوكلت إليه بالأساس. وإن طرحت فاريل له أي مشكلة، فسوف يجد وسيلة لقتلها هي أيضًا. سوف يفعل ما يترتّب عليه، كلّ ذلك جزء من المهمّة.

فتح سافارانو ببطء سحاب الحافظة ونظر إلى داخلها. كانت الأوراق جميعها مثبتة بعناية وترتيب في حلقات الحافظة، لكن حين دقّق فيها، وجد أنّها مجرّد أوراق بيضاء. بقي مشدوهًا، محدقًا في الأوراق. راح يقلّبها بسرعة بحثًا عن أي كتابات، لكن عبثًا، كانت كلّها بيضاء. لا بدّ أن الصفحات الحقيقية لا تزال في الشقّة. ما العمل؟ عليه أن يفكّر في الأمر مليًّا، أن يخرج بحلّ.

فات الأوان الآن لاستعادة الصفحات. فالشقة مكتظّة بالتأكيد برجال الشرطة في الوقت الحاضر. عليه أن يجد طريقة أخرى للحصول عليها.

في المقابل، لم يفت الأوان للتثبّت من أنّ لايسي فاريل لن تحظى بفرصة التعرّف إليه في المحكمة. الواقع أنّ هذه مهمّة قد يستمتع بتنفيذها.

5

كان الفجر أوشك على البزوغ حين غفت لايسي أخيرًا، غارقة في نوم عسير تملأه أحلام مضطربة، أحلام تسكنها ظلال تتحرك متباطئة عبر ممرات طويلة وتسمع فيها صيحات مذعورة ترتفع من خلف أبواب موصدة.

شعرت بالفرج حين استيقظت في السابعة إلّا ربعًا، ولو أنّها كانت متوجسة ممّا ينتظرها في هذا اليوم. فقد طلب منها المفتّش سلون التوجّه إلى مركز الشرطة والتعاون مع رسام من أجل وضع صورة تقريبية لوجه كورتيس كالدويل.

لكنّها كانت على يقين، وهي جالسة مدثرة بمبذلها قرب النافذة تتناول قهوتها وتتأمّل الزوارق تصعد ببطء على طول النهر الشرقي، أن عليها قبل أي شيء اتخاذ قرار بالنسبة لليوميّات.

ماذا أفعل بها؟ تساءلت. كانت إيزابيل واثقة من أنّها تحتوي على أمر يثبت أن هيذر لم تقتل في حادث. وقد سلب كورتيس كالدويل الحافظة الجلدية بعدما قتل إيزابيل.

هل قتلها بدافع الخوف ممّا عثرت عليه في اليوميّات؟ هل سرق ما ظنه اليوميّات حتّى لا يقرأها أحد؟

التفتت وألقت نظرة إلى الغرفة. حقيبتها لا تزال هناك تحت الأريكة. الحقيبة التي أخفت فيها الأوراق الملطخة بالدم.

عليّ أن أسلمها للشرطة، فكّرت. لكن أعتقد أنّ ثمّة وسيلة للقيام بذلك والوفاء بوعدي لإيزابيل في الوقت نفسه.

في الساعة الثانية، كانت لايسي جالسة في مكتب ضيق في مركز الشرطة خلف طاولة وأمّامها من الجهة المقابلة المفتّش إيد سلون ومساعده المفتّش نيك مارس. بدا المفتّش سلون لاهثًا قليلًا، وكأنه كان يهرول. أو ربّما كان يدخن بإسراف، قالت لايسي لنفسها. كان طرف علبة سجائر مفتوحة يظهر من الجيب على صدره.

نيك مارس، من جهته، كان من طينة مختلفة تمامًا. يذكّرها بلاعب كرة قدم شاب في السنة الأولى في الجامعة أغرمت به حين كانت في الثامنة عشرة. مارس كان لا يزال في العشرينات، وجهه يذكّر بوجوه الأطفال بوجنتيه العريضتين وعينيه الزرقاوين البريئتين وابتسامته العفوية. فضلًا عن ذلك، كان ودودًا. قدّرت أنّه يقوم بدور الشرطي اللطيف في لعبة الشرطي اللطيف ضد الشرطي الشرير التي تحكم جلسات الاستجواب. سلون يحتد مطلقًا التهديد والوعيد، وصولًا أحيانًا إلى الدخول في نوبات غضب، فيما نيك مارس يلطّف الأجواء ويخفض من حدّة النبرة من دون أن يخرج أبدًا عن سلوكه الهادئ وأسلوبه المليء بالمراعاة.

مضت على وجود لايسي في مركز الشرطة حوالى ثلاث ساعات تركت لها متسعًا من الوقت للتفكير مليًا في السيناريو الذي أعدّاه لها. وفيما كانت تحاول وصف وجه كورتيس كالدويل لرسام الشرطة،

كان سلون يبدي علامات استياء واضحة لعدم اعطائها وصفًا أكثر تفصيلًا.

شرحت للرسّام «لم يكن لديه أي ندبة أو شامة أو وشم، أو على الأقلّ لم أر أي علامة فارقة. كلّ ما يمكنني قوله إن وجهه نحيل، عينيه زرقاوان باهتتان، بشرته ملوّحة وشعره أشقر ذهبي. لم تكن أي من قسمات وجهه ملفتة. كانت متسقة، باستثناء شفتيه ربّما. كانتا نحيفتين بعض الشيء».

لكن حين رأت الرسم، قالت متردّدة «لم يكن وجهه كهذا تمامًا».

«وكيف كان إذًا بربّك؟» سأل سلون فاقدًا صبره.

«مهلًا إيد، لايسي عاشت تجربة عصيبة.» نظر نيك مارس إليها وعلى وجهه ابتسامة مطمئنة.

بعدما فشل الرسّام في الخروج بصورة تجدها مشابهة للرجل الذي رأته، عُرضت على لايسي مجموعة من الصور الجنائية لموقوفين، غير أنّ أيًا منها لم تذكّرها بالرجل الذي عرفته باسم كورتيس كالدويل، ما زاد بشكل واضح من استياء سلون.

سحب سلون في نهاية الأمر سيجارة من علبته وأشعلها، في مؤشر جلي إلى سخطه.

«حسنًا آنسة فاريل»، قال بخشونة، «دعينا نسترجع إفادتك مرّة جديدة للتدقيق فيها».

«لايسي، هل تودّين فنجان قهوة؟» سأل مارس.

«أجل، شكرًا»، أجابت وهي تبتسم له بامتنان، غير أنّها عادت وضبطت نفسها: احترسي، تذكّري لعبة الشرطي اللطيف والشرطي الشرير. بدا واضحًا أن المفتّش سلون كان يمسك بخيط جديد.

«آنسة فاريل، أريد فقط مراجعة بعض الأمور بشأن هذه الجريمة. كنت مضطربة جدًّا حين اتّصلت بالشرطة الليلة الماضية.»

رفعت حاجبيها مستغربة وردّت وهي تهزّ رأسها «أعتقد أنّ الظروف حكمت بذلك».

«تمامًا. بل أذهب أبعد من ذلك وأقول إنك كنت عمليًا في حال صدمة حين كلّمتُك بعدما وصلنا إلى هناك.»

«أعتقد ذلك.» الواقع أنّ معظم أحداث الليلة الماضية كانت ضبابية في ذهنها.

«لم أرافقك إلى الباب حين غادرت، لكن قيل لي أنّك أظهرت ما يكفي من اليقظة لتتذكّري أنّك تركت حقيبتك في خزانة المدخل قرب باب شقّة وارينغ.»

«تذكّرتها وأنا أمر أمام الخزانة، هذا صحيح.»

«هل تذكرين أن المصوّرين كانوا يلتقطون صورًا في هذه الأثناء؟»

استجمعت أفكارها. طبقة المسحوق الرقيقة المنثورة على قطع الأثاث. وميض الفلاشات.

«نعم، أذكر»، أجابت.

«تفضّلي إذًا وألقي نظرة على هذه الصورة، أرجوك.» دفع سلون نحوها عبر الطاولة صورة من القياس الكبير موضحًا «ما ترينه في الواقع هو توسيع لجزء من صورة روتينية التقطت في ردهة المدخل». ثمّ أشار برأسه إلى مساعده الشاب «المفتّش مارس تنبه إلى هذا التفصيل الصغير».

نظرت لايسي إلى الصورة. كانت تظهر فيها في لقطة جانبية تقبض على حقيبتها وتبعدها عن متناول ريك باركر فيما هو يمدّ يده لالتقاطها.

«إذًا لـم تتنبهي إلـى حقيبتك فحسـب، بـل أصـررت على حملها بنفسك.»

«لنقل أنّ ذلك من طباعي بشكل أساسي»، شرحت لايسي بصوت منخفض هادئ. «أعتبر من المهمّ جدًا في عملي أن أكون مستقلّة ولا أعتمد على زملائي. لكن في الحقيقة كنت أتصرف على الأرجح بشكل تلقائي من دون تفكير. الواقع أنّني لا أذكر حتّى ما كان يجول في بالي في تلك اللحظة.»

«بل أعتقد أنّك تعرفين»، ردّ المفتّش سلون. «أعتقد أنّك كنت تتصرفين بشكل متعمد تمامًا. أترين آنسة فاريل، كانت هناك آثار دم في تلك الخزانة، دم إيزابيل وارينغ. اشرحي لي الآن أرجوك كيف تعتقدين أنّها وصلت إلى هناك؟»

يوميّات هيذر، فكّرت لايسي. الأوراق الملطخة بالدماء. لا بدّ أن اثنتين أو ثلاثًا منها سقطت على الموكيت وهي تزجّ بها داخل الحقيبة. كما أن يديها كانتا ملطّختين بالدماء. لكن لم يكن بوسعها أن تقول ذلك للمفتش، ليس في الوقت الحاضر على كلّ حال. لا تزال بحاجة إلى بعض الوقت للتدقيق في الصفحات. نظرت إلى يديها المستكينتين في حضنها. عليها أن تقول شيئًا، لكن ما الذي يمكنها قوله؟

انحنى سلون من فوق المكتب، بدا أكثر عدائية حيالها، وكأنه يتهمها. «آنسة فاريل، لا أعرف أي لعبة تلعبين، ولا أعرف ما الذي لا تقولينه لنا، لكن من الواضح أنّ عملية القتل هذه لم تكن جريمة عادية. الرجل الـذي يعرّف عن نفسه باسم كورتيس كالدويل لم يسرق الشقّة ولم يقتل إيزابيل وارينغ بالصدفة. تم التخطيط للجريمة بكاملها وتنفيذها بشكل دقيق جدًّا. ظهورك في مسرح الجريمة كان على الأرجح العنصر الوحيد الذي لم يجر وفق الخطة». صمت لبرهة

ثمّ تابع بصوت جاف يكشف امتعاضه «قلت لنا إنّه كان يحمل حافظة أوراق السيدة وارينغ. صفيها لي مرّة جديدة».

«وصفي لها لن يتغيّر. كانت بحجم حافظة أوراق عادية ويلفها سحاب بحيث لا تسقط أي ورقة حين تكون مغلقة.»

«آنسة فاريل، هل سبق أن رأيت هذه من قبل؟» سألها سلون وهو يدفع نحوها ورقة من فوق الطاولة.

نظرت لايسي إليها، كانت ورقة وحيدة تحمل كتابات بخطّ اليد. «لست أكيدة»، قالت.

«اقرأيها من فضلك.»

استعرضتها بقراءة سريعة. كانت مؤرّخة من ثلاث سنوات. تبدأ كالتالي «حضر بابي لمشاهدة العرض مرة جديدة ثمّ اصطحبنا جميعاً إلى المطعم لتناول العشاء...».

إنّها يوميّات هيذر. لا بدّ أنّني غفلت عن هذه الصفحة. تساءلت فجأة كم صفحة أخرى سهت عنها.

«هل سبق أن رأيت هذه الصفحة من قبل؟» سألها سلون مجدّدًا.

«أمس بعد الظهر حين اصطحبت الرجل الذي عرّف عن نفسه باسم كورتيس كالدويل لمعاينة الشقّة، كانت إيزابيل جالسة خلف المكتب في المكتبة. كانت الحافظة الجلدية مفتوحة وقد أخرجت منها أوراقًا تقرأها. لا يمكنني أن أجزم، لكنّها على الأرجح من هذه الأوراق.»

اكتفت بهذا القدر، لكنّها فكّرت في نفسها أن ما قالته على الأقلّ كان الحقيقة. خطر لها فجأة أنّه كان يجدر بها تخصيص بعض الوقت في الصباح لطبع نسخ عن اليوميّات قبل التوجّه إلى مركز الشرطة.

هذا ما قرّرت أن تفعله. سوف تسلم الأوراق الأصلية إلى الشرطة وتعطي نسخة لجيمي لاندي وتحتفظ بنسخة ثانية. إيزابيل أرادت أن يقرأ جيمي اليوميّات. من الواضح أنّها كانت تشعر بأنّه قد يجد فيها عناصر هامة. لا فرق إن قرأ نسخة أو الأوراق الأصلية، كما يمكنها هي أيضًا الاكتفاء بنسخة، بما أن إيزابيل جعلتها لسبب تجهله تقسم بأنّها ستقرأ الأوراق أيضًا.

«وجدنا هذه الصفحة في غرفة النوم، تحت الكرسي»، قال سلون. «ربّما كانت هناك أوراق أخرى مبعثرة. أتظنين أن ذلك ممكن؟» غير أنّه لم ينتظر جوابها وتابع «دعينا نعود إلى آثار الدماء التي عثرنا عليها في خزانة الطابق السلفي. هل لديك أي تصوّر كيف وصلت إلى هناك؟»

«كانت دماء إيزابيل على يديّ، أنت تعلم ذلك.»

«أجل، بالطبع أعلم ذلك، لكن يديك لم تكونا تقطران دمًا حين انتشلت حقيبتك وأنت تغادرين الليلة الماضية. ما الذي حصل إذًا؟ هل أخفيت شيئًا في تلك الحقيبة قبل وصولنا، شيئًا أخذته من غرفة نوم إيزابيل وارينغ؟ هذا ما أظنه. لم لا تقولي لنا ما هو؟ كانت هناك ربّما في الغرفة أوراق أخرى مبعثرة كالورقة التي قرأتها للتوّ. هل أصبتُ؟»

«مهلًا إيدي، أعط لايسي فرصة للرد»، قال مارس متوسّطًا.

«يمكن إمهال لايسي ما تشاء من الوقت نيك»، ردّ سلون بنبرة لاذعة، «لكن الحقيقة لن تتغير. فهي سلبت شيئًا من هذه الغرفة، أنا واثق من ذلك تمامًا. ما الذي يمكن أن يدفع شخصًا هو مجرّد متفرّج محايد لأخذ غرض كهذا من منزل الضحيّة؟ هل يمكنك التكهّن بالسبب؟» سأل ملتفتًا إلى لايسي.

ودّت يائسة أن تعترف لهما بأنّ اليوميّات بحوزتها وأن تشرح لهما السبب.

لكنّني لو فعلت، سوف يطلبان منّي أن أسلمها على الفور. لن يسمحا لي بطبع نسخة لوالد هيذر. ولا يمكنني بالتأكيد أن أقول لهما إنّني أريد أن أطبع نسخة لي أيضًا. إنهما يتصرفان وكأن لي ضلعًا في قتل إيزابيل. سوف أعطيهما النسخة الأصلية غدًا.

نهضت عن مقعدها. «لا، لا يمكنني ذلك. هل تسمح لي بالانصراف حضرة المفتّش سلون؟»

«أجل آنسة فاريل، انتهيت لليوم. لكن أرجو منك أن تدركي جيّدًا أن التدخّل في الوقائع بعد حصولها في سياق تحقيق في جريمة قتل يعرّضك لعواقب خطيرة. عواقب جنائية»، قال بنبرة وعيد. «ثمّة أمر آخر أيضًا: إن كنت سلبت أيًا من تلك الأوراق، أتساءل إلى أي مدى يمكن اعتبارك متفرّجة بريئة. فأنت المسؤولة في نهاية الأمر عن جلب القاتل إلى منزل إيزابيل وارينغ».

خرجت لايسي من دون أن تردّ. عليها أن تذهب إلى الوكالة، لكنّها قرّرت قبل ذلك المرور بمنزلها لأخذ يوميّات هيذر لاندي. سوف تبقى في مكتبها هذا المساء إلى أن يغادر الجميع وتطبع النسختين اللتين تحتاج إليهما. وغدًا تسلّم المخطوطة الأصلية إلى سلون. سوف أحاول أن أشرح له لماذا اخذتها، قالت لنفسها بعصبية.

همّت بمناداة سيّارة أجرة، غير أنّها عادت وقررت المشي إلى منزلها. كانت شمس ما بعد الظهيرة تبعث إحساسًا طيّبًا. كانت لا تزال تشعر بقشعريرة الخوف تخترق عظامها. فيما كانت تعبر الجادة الثانية، أحسّت بأحد ما خلفها. استدارت في حركة مفاجئة لتجد نفسها وجهًا لوجه مع رجل مسنّ نظر إليها مستغربًا.

همهمت «عذرًا» وهي تندفع نحو حافة الرصيف.

توقّعت أن أرى كورتيس كالدويل، فكّرت لايسي. اضطربت حين لاحظت أنّها ترتجف. إن كانت اليوميّات هي ما يبحث عنه، فهو لم يحقق هدفه. أتراه يعود بحثًا عنها؟ إنّه يعلم أنّني رأيته وأنّ بوسعي التعرّف إليه بصفته القاتل. ستبقى بخطر ما لم تقبض الشرطة على كالدويل، هذا إن قبضت عليه. لايسي واثقة من ذلك. حاولت جاهدة طرد هذا الخاطر من رأسها.

وجدت ملاذًا آمنًا في مدخل المبنى. لكن حين وصلت إلى طابقها، بدا لها الرواق الطويل مخيفًا. أسرعت إلى بابها وهي تمسك المفتاح بيدها واندفعت داخل الشقّة.

أقسمت وهي تسحب الحقيبة من تحت الأريكة أنّها لن تستخدمها بعد ذلك اليوم. حملتها إلى غرفة النوم ووضعتها على مكتبها، متجنّبة لمس المقبض المكسو بالدم.

أخرجت صفحات اليوميّات بتأن من الحقيبة. جفلت أمام مشهد الأوراق الملطخة بالدم. وضعتها كلها داخل ظرف من ورق الكرافت وراحت تنقّب داخل خزانتها بحثًا عن حقيبة يد واسعة الحجم.

خرجت بعد عشر دقائق إلى الشارع وهي تحمل حقيبة اليد تحت ذراعها، ضاغطة عليها بقوّة. حاولت أن تقنع نفسها وهي تومئ إلى سيّارة أجرة بأنّه كائنًا من كان كالدويل وأيًا كان السبب الذي دفعه إلى قتل إيزابيل، لا بدّ أن يكون الآن فارًا على مسافة أميال.

6

اتخذ ساندي سافارانو، المعروف باسم كورتيس كالدويل، كلّ الاحتياطات الممكنة حتّى لا يتم التعرّف إليه حين استخدم هاتفًا عموميًا عند طرف الشارع الذي تقطن فيه لايسي فاريل. فكان شعر مستعار رمادي يغطّي شعره الأشقر، ولحية خفيفة ضاربة في الشيب تكسو وجنتيه وذقنه، وقد خلع بدلة المحامي الأنيقة ليرتدي كنزة بالية وسروال جينز باهت اللون. قال وهو يتفحّص الشارع من حوله «حين خرجت فاريل من مركز الشرطة، مشت إلى منزلها ودخلت إليه. لن أبقى في الجوار. ثمّة سيّارة شرطة مركونة قبالة مبناها. قد تكون هناك لحراستها.»

بدأ بالتوجّه غربًا، غير أنّه غيّر رأيه وعاد أدراجه. قرّر مراقبة سيّارة الشرطة لبعض الوقت للتثبت ممّا إذا كان الشرطيان مكلّفين فعلًا، كما يعتقد، حراسة لايسي فاريل. لم يضطر إلى الانتظار طويلًا. كان يراقب متمركزًا على بعد مفرق حين رأى امرأة شابة يعرفها جيّدًا تخرج من المبنى مرتدية تايورًا أسود وحاملة حقيبة يد واسعة، وتنادي سيّارة أجرة. حين ابتعدت السيّارة، نظر إلى الشرطيّين في

سيّارتهما ليرى ما سيفعلان. بعد برهة، تجاوزت سيّارة الضوء الأحمر عند المفرق، فخرجت سيّارة الشرطة من الصفّ المتوقّف الملاصق للرصيف واندفعت في إثرها مطلقة وميض أضوائها الدوّارة.

ممتاز، فكّر. هذه مشكلة زالت عن طريقي.

7

بعد عودتهما إلى المطعم إثر إتمام كلّ الترتيبات لحرق جثّة إيزابيل، توجه جيمي لاندي وستيف أبوت مباشرة إلى مكتب جيمي. سكب ستيف كمية وافية من الويسكي في كأسين وضع أحدهما أمام لاندي على مكتبه وهو يقول «أعتقد أنّ كلانا بحاجة لذلك».

تناول لاندي الكأس. «إنّني بحاجة فعلًا إلى كأس. كان يومًا مرهقًا.»

سوف يتمّ إحراق جثّة إيزابيل حين تسمح الشرطة بالتصرّف بها، وسيُنقل رمادها إلى المدفن العائلي في مقبرة «بوّابة الجنّة» في وستشستر.

قال «والداي، ابنتي وزوجتي السابقة، سيرقدون جميعهم معًا هناك». ثمّ رفع عينيه نحو أبوت «المسألة غير منطقية على الإطلاق، ألا تعتقد ستيف؟ يدعي رجل ما أنّه يبحث عن شقّة للبيع، ثمّ يعود ويقتل إيزابيل، امرأة عزلاء. لا يمكن القول إنّها كانت تتبختر بمجوهرات باهظة الثمن، بل لم تكن تملك أي قطعة حلي. لم تكترث يومًا لمثل هذه الأمور».

كان مزيج من الغضب والقلق يشدّ ملامح وجهه. «قلت لها مرارًا أن تتخلّص من الشقّة! كانت تتحدث باستمرار عن موت هيذر، مؤكدة أن وفاتها لم تكن حادثًا! كادت تفقد صوابها وتفقدني صوابي معها بسبب هذه المسألة، وإقامتها في تلك الشقّة زادت الأمور سوءًا. ثمّ أنّها كانت بحاجة إلى هذا المبلغ من المال. ذلك الرجل الذي تزوجته، وارينغ، لم يترك لها فلسًا. أردتها فقط أن تستعيد حياتها الطبيعية. وعوضًا عن ذلك، ها هي قد قتلت!» كانت الدموع تملأ عينيه. «حسنًا، إنّها مع هيذر الآن. ربّما كان هذا هو ما تريده، لست أدري.»

تنحنح أبوت وقال في محاولة واضحة لتغيير الموضوع «جيمي، ستأتي سينثيا في حوالى الساعة العاشرة للعشاء. ما رأيك لو تنضمّ إلينا؟»

«لا شكرًا، أقدّر لك ذلك ستيف، لكن لا. إنك تعتني بي منذ نحو سنة، منذ أن توفيت هيذر، لكن لا يمكن أن يستمر الوضع على هذا النحو. سوف أكون على ما يرام. لا تقلق بشأني بعد الآن واهتم بصديقتك. هل تنوي الزواج منها؟»

«لن أتسرّع وأتّخذ أيّ قرار»، ردّ أبوت وهو يبتسم. «يكفيني طلاقان.»

«أنت على حقّ. هذا ما جعلني أبقى أعزب طوال هذه السنوات. أمّا أنت، فلا تزال شابًا، والطريق أمّامك طويل.»

«لا، ليس كثيرًا. لا تنس أنّني بلغت الخامسة والأربعين الربيع الماضي.»

«أنت تمزح! ما رأيك لو قلت لك إنّني سوف أبلغ الثامنة والستين الشهر المقبل؟»، ردّ جيمي مغمغمًا. «لكن لا تخطئ وتعتبرني خارج

اللعبة. أحذّرك بأنّه ما زال أمّامي وقت مديد قبل أن ينتهي أمري. إيّاك أن تنسى ذلك!»

اختتم كلامه بطرفة عين لأبوت. تبادلا ابتسامة. ثمّ أفرغ أبوت آخر جرعة ويسكي في كأسه ونهض قائلًا «بالتأكيد، وأنا أعوّل على ذلك. حين نفتتح مطعمنا في أتلانتيك سيتي، لن يبقى أمام الآخرين سوى أن يعتزلوا، أليس كذلك؟»

لاحظ أبوت أن جيمي لاندي كان يسترق النظر إلى ساعته وقال «حسنًا، يجدر بي النزول والقيام ببعض المجاملات».

بعد قليل على خروجه، تلقى جيمي اتصالًا من عاملة الهاتف. قالت له «سيد لاندي، ثمّة سيدة تدعى الآنسة فاريل تود التحدث إليك. طلبت مني أن أقول لك إنّها الوسيطة العقارية التي كانت السيدة وارينغ تتعامل معها.»

«حوّليها لي»، أجاب باندفاع.

عند عودتها إلى المكتب، استقبل ريك باركر لايسي بسلسلة أسئلة حول لقائها مع المفتّش سلون، ردّت عليها بأجوبة مبهمة. «عرض عليّ صورًا، لم تكن أيّ منها تشبه كالدويل».

رفضت مرة جديدة دعوة منه للعشاء قائلة بابتسامة واهنة «أودّ إتمام بعض الأعمال المكتبية المتراكمة عليّ».

فكّرت في نفسها أنّ هذه الذريعة صحيحة.

انتظرت إلى أن غادر جميع موظفي قسم العقارات المحلية، ثمّ حملت حقيبة يدها إلى الآلة الناسخة وطبعت نسختين عن يوميّات هيذر، واحدة لوالدها والثانية لها هي نفسها. وبعد ذلك اتّصلت بمطعم لاندي.

لم تستغرق المكالمة طويلًا. قال لها لاندي إنّه بانتظارها.

كان من الصعب العثور على سيّارة أجرة في مثل هذا الوقت، مباشرة قبل بدء العروض المسرحية، غير أنّ الحظ حالفها. وجدت سيّارة أجرة متوقّفة أمام مبنى مكتبها تمامًا وقد أوصلت راكبًا للتو. هرعت عابرة الرصيف بأقصى سرعتها وقفزت داخل السيّارة قبل أن يسبقها راكب آخر. أعطت السائق عنوان مطعم البندقية غرب الشارع السادس والخمسين، أسندت ظهرها مسترخية وأغمضت عينيها. لم تتمكّن من فكّ قبضتها عن حقيبة اليد، ولو أنّها أبقتها بأمان تحت إبطها، إلّا بعدما انطلقت بها السيّارة. لماذا كانت متوتّرة إلى هذا الحدّ؟ ولماذا كانت تشعر وكأنّ أحدًا ما يراقبها؟ أسئلة كانت تراودها.

وجدت قاعة المطعم مكتظّة ولم يكن هناك أي مقعد شاغر عند البار. ما إن عرّفت عن نفسها حتّى أومأت موظفة الاستقبال إلى رئيس الخدم.

بادرها بالقول «السيد لاندي ينتظرك في الطابق الأوّل، آنسة فاريل».

كانت لايسي قد اكتفت بإخباره في اتّصالها الهاتفي أنّ إيزابيل عثرت على يوميّات هيذر وأرادت منها أن تسلّمها إليه.

حين وجدت نفسها في مكتبه، جالسة أمام ذلك الرجل الكئيب خلف مظهره القوي، أحسّت لايسي وكأنها تجهز على جريح. لكنّها كانت تعتقد رغم ذلك أن من واجبها أن تكون صريحة معه وأن تنقل له آخر كلمات تفوّهت بها إيزابيل وارينغ قبل أن تلفظ أنفاسها.

«وعدت بأنّ أسلّمك اليوميّات. ووعدت بقراءتها بنفسي. لست أعلم لماذا كانت إيزابيل تريد مني أن أقرأها. قالت لي حرفيًّا «أشيري... إليه... إلى». أرادت منّي أن أشير لك إلى مقطع محدّد في

اليوميّات. أعتقد أنّها فكّرت لسبب ما أنّني سوف أعثر على المقطع الذي أكد على ما يبدو شكوكها بأنّ وفاة ابنتك لم تكن مجرد حادث. إنّني أحاول تنفيذ رغبتها الأخيرة.»

فتحت حقيبة يدها وأخرجت منها رزمة الأوراق التي أحضرتها معها. ألقى لاندي نظرة إليها، ثمّ أشاح بوجهه.

كانت لايسي واثقة من أنّ رؤية خطّ ابنته كان اختبارًا أليمًا للغاية لهذا الرجل، لكنّ تعليقه الوحيد كان «هذه ليست الأوراق الأصلية»، قال بنبرة جافّة مستاءة.

«لا أحمل معي الأوراق الأصلية. سوف أسلّمها للشرطة في الصباح.»

«ليس هذا ما طلبت منك إيزابيل القيام به»، ردّ وقد احمرّ وجهه في نوبة غضب مفاجئة.

«سيّد لاندي، لا خيار لديّ»، قالت وهي تنهض. «إنّك تدرك بالطبع أنّني سأضطرّ إلى شرح الأمر مطوّلًا للشرطة حتّى يفهموا لماذا أزلت أدلّة من ساحة الجريمة. إنّني واثقة من أنّ الأوراق الأصلية سوف تعاد إليك، لكن أعتقد أنّك ستضطرّ في الوقت الحاضر للاكتفاء بنسخة.»

وهذا يسري عليّ أنا أيضًا، فكّرت وهي تغادر.

لم ينظر إليها حتّى وهي تخرج من المكتب.

حين وصلت لايسي إلى شقّتها، أشعلت ضوء المدخل وخطت بضع خطوات قبل أن تتنبّه للفوضى العارمة المخيّمة في المكان. كانت الأدراج قد قُلبَت ورُمِيَ محتواها أرضًا، الخزائن فُتِّشَت وقُلبَت رأسًا على عقب، بينما أُلقيَت وسائد المقاعد على الأرض. حتّى البرّاد أُفرِغ

وتُرِك مفتوحًا. وقفت لايسي تتأمّل الخراب مذهولة. عبرت الغرفة متعثّرة بالأغراض الملقاة في كلّ مكان، وتوجّهت إلى الهاتف الداخلي لمناداة حارس المبنى. سارع إلى استدعاء الشرطة، فيما اتّصلت هي برقم المفتّش سلون.

وصل بعد قليل من وصول شرطيّي المركز المحلي. قال لها بنبرة من يلاحظ أمرًا محض منطقي «تعلمين ما كانوا يبحثون عنه، أليس كذلك؟»

«نعم»، أجابت لايسي. «يوميّات هيذر لاندي. لكنّها ليست هنا. إنّها في مكتبي. أيًّا كان من حضر إلى هنا، آمل ألّا يكون قد قصد المكتب.»

تلا المفتّش سلون للايسي حقوقها في سيّارة الشرطة التي كانت تقلّهما إلى مكتبها. احتجت قائلة «كنت أفي بوعد قطعته لامرأة تحتضر. طلبت مني أن أقرأ اليوميّات ومن ثمّ أن أعطيها لوالد هيذر لاندي، وهذا ما فعلت. حملت إليه نسخة هذا المساء.»

حين وصلا إلى مكتبها، لازمها سلون ولم يفارقها لحظة فيما فتحت خزانة ملفاتها وأخرجت منها الظرف الذي وضعت فيه صفحات اليوميّات الأصليّة.

فتح الظرف، أخرج منه بعض الأوراق، تأمّلها مليًّا ثمّ نظر إليها.

«هل أنت واثقة من أنّ هذا كلّ ما لديك؟»

«هذا كلّ ما كان بين يدي إيزابيل وارينغ حين ماتت»، ردّت لايسي، آملة ألّا يلح عليها بأسئلته. تلك كانت الحقيقة، لكنّها لم تكن الحقيقة كاملة، إذ أنّ نسخة اليوميّات التي طبعتها لنفسها كانت داخل درج مكتبها المغلّق بالمفتاح.

«علينا أن نذهب إلى مركز الشرطة الرئيسي، آنسة فاريل. أظن أن علينا أن نناقش المسألة برمّتها بشكل معمّق.»

«لكن شقّتي»، أجابت معترضة. «أرجوك، عليّ أن أوضّب شقّتي.»

كم أبدو سخيفة، فكّرت وهي تقول ذلك. قد تكون إيزابيل قتلت بسبب يوميّات هيذر، وربّما كنت لقيت المصير نفسه لو كنت في المنزل هذا المساء، وكل ما يشغل بالي هو الفوضى في شقّتي. أحسّت بصداع أليم. كانت الساعة تخطت العاشرة ولم تتناول أي طعام منذ ساعات.

ردّ سلون بفظاظة «يمكن الانتظار لتنظيف شقتك. علينا في الوقت الحاضر أن نستوضح القضية حالًا».

لكنّه، عند وصولهما إلى المركز، أرسل المفتّش نيك مارس ليجلب لها سندويشًا وكوب قهوة. وبعدها قال «حسنًا، لنبدأ من البداية مرة جديدة آنسة فاريل».

الأسئلة ذاتها مرارًا وتكرارًا، فكّرت لايسي وهي تهز رأسها. هل سبق أن التقت هيذر لاندي؟ أليس من المستغرب أن تتّصل بها إيزابيل وارينغ لمجرّد أنّها التقتها بالصدفة قبل أشهر في المصعد، وأن تقدّم لها عرضًا حصريًّا بتولّي بيع الشقّة؟ كم مرّة التقت وارينغ خلال الأسابيع الماضية؟ هل التقتها حول غداء؟ هل تناولتا العشاء معا؟ أم كانت زيارات مسائية بعد انتهاء العمل؟

«كانت تسمي وقت العصر النور الباهت»، قالت لايسي بدون أن تفكّر. كانت تنقب في زوايا ذاكرتها، جاهدة لاستذكار أي شيء لم تكشفه بعد للمفتشين. «كانت تقول إنّ هذه التسمية أطلقها

المستوطنون الأوائل على هذا الوقت من المساء، كانت تقول إنّها تجد هذا الوقت من النهار شديد الوحشة.»

«ألم يكن لديها أصدقاء قدامى تتّصل بهم؟»

«كلّ ما أعرفه أنّها كانت تتّصل بي. ربّما اعتبرت أنّني قد أساعدها على فهم حياة ابنتها لكوني عزباء تقيم وحيدةً في مانهاتن.» ثمّ أضافت بعد التفكير «حياتها ووفاتها». كانت تستحضر وجه إيزابيل الحزين، وجنتيها العاليتين البارزتين وعينيها الواسعتين اللتين تشهدان على مدى جمالها حين كانت شابة. «أعتقد أنّها كانت تكلّمني كمن يكلّم سائق سيّارة أجرة أو ساقيًا إلى حدّ ما. أتعلم، يصبح البوح أسهل حين تعرف أنّ المستمع إليك لن يذكّرك بما قلته بعد انقضاء الأوقات العصيبة التي تمرّ بها».

تساءلت إن كان كلامها مترابطًا.

لم يكن سلوك سلون يعطي أيّ مؤشّر إلى ما يجول في باله. قال «دعينا نتحدّث الآن عن كورتيس كالدويل، كيف تمكّن من العودة إلى شقّة السيدة وارينغ؟ ليس هناك أثر لخلع الباب، ومن المؤكّد أن إيزابيل وارينغ لم تفتح له لتعود بعد ذلك إلى غرفتها وترتمي على السرير في حضوره. هل أعطيته مفتاحًا؟».

«لا، بالتأكيد لا. لكن مهلًا! كانت إيزابيل تترك على الدوام مفتاحًا داخل إناء في المدخل. قالت لي إنّها كانت تحتفظ به هناك حتّى لا تضطر لأخذ حمالة مفاتيحها معها إن توجّب عليها النزول بسرعة لجلب بريدها. ربّما لمحه كالدويل هناك وأخذه. لكن ماذا عن شقّتي؟» تذكرت فجأة مستهجنة. «كيف أمكنه الدخول إليها؟ ثمّة بوّاب في المبنى.»

«وكذلك مرآب خاصّ بالمبنى يشهد حركة نشطة ومدخل جانبي. آنسة فاريل، تلك المباني الآمنة كما يقولون ليست سوى مزحة كبرى. إنك تعملين في المجال العقاري، تعرفين ذلك جيّدًا.»

تراءى لها كورتيس كالدويل حاملًا مسدسًا يهرع بحثًا عنها لقتلها. «ليست مزحة موفّقة.» أدركت أنّها كانت على وشك الانهيار بالبكاء. قالت «أرجوك، أود العودة إلى منزلي».

ظنّت للحظة أنّهم سوف يبقونها هناك، لكنّ سلون نهض وقال «حسنًا، يمكنك الذهاب الآن آنسة فاريل، لكنّني أحذرك من أنّك قد تواجهين تهمًا رسمية بإزالة أدلة من ساحة جريمة وإخفائها».

فكّرت لايسي أنّه كان يجدر بها استشارة محام. كيف أمكنني التصرف بهذه الحماقة؟

كان رامون غارسيا المسؤول عن المبنى وزوجته صونيا منهمكين في ترتيب شقّة لايسي حين وصلت. قالت صونيا وهي تمسح الغبار عن المكتب في غرفة النوم «لم يكن من الممكن أن ندعك تعودين لتجدي الشقّة في هذا الوضع المزري. أعدنا أغراضك إلى الأدراج. بالطبع، لم نرتبها على طريقتك، لكنّها على الاقل لم تعد مبعثرة على الأرض».

«لا أدري كيف أشكركما.» كانت الشقّة تغصّ برجال الشرطة حين غادرت، وكانت تخشى أن تجدهم ما زالوا هناك عند عودتها.

كان رامون انتهى للتوّ من تبديل قفل الباب. قال لها «ذلك الباب فتحه خبير. وقد استخدم الأدوات المناسبة. من المدهش ألّا يكون سلب علبة مجوهراتك».

«أعتقد أنّ ذلك لم يكن ما يبحث عنه»، أجابت لايسي بصوت بدا لها منخفضًا ومتعبًا.

نظرت إليها صونيا باهتمام. «سوف أعود غدًا صباحًا. لا تقلقي، حين تعودين من العمل، ستجدين الشقّة على أفضل ما يكون.»

رافقتهما لايسي إلى الباب وسألت رامون «هل المزلاج ما زال يعمل؟»

جرّبه وقال لها «لن يتمكّن أحد من الدخول طالما أن الباب موصد بالمزلاج، إلّا إذا استخدم مدقًّا. لا تخافي، إنّك بأمان».

أغلقت الباب خلفهما وأقفلته. ثمّ جالت بنظرها في أرجاء الشقّة وانتابتها ارتعاشة. في أيّ مأزق أقحمت نفسي؟

8

لم تكن لايسي تسرف في استخدام مستحضرات التجميل، بل كانت تكتفي عادة بالكحل وقلم شفاه خفيف. لكن حين استيقظت ورأت في نور الصباح الظلال الداكنة تحت عينيها وبشرتها الشاحبة، أضافت طبقة من أحمر الخدود ولمسة من ظلّ العيون وراحت تبحث في الدرج عن أحمر شفاه. غير أنّ هذه المساحيق لم تعط النتيجة المرجوة ولم تحسّن مظهرها كثيرًا. حتّى سترتها البنّية المفضّلة ذات التموجات الذهبية لم تنجح في تبديد ذلك الانطباع الكئيب الذي كانت تبعثه. نظرت إلى نفسها مرة أخيرة في المرآة لتجد أنّها لا تزال تبدو واهنة منهكة.

عند وصولها إلى باب المكتب، توقفت قليلًا، أخذت نفسًا عميقًا وقوّمت كتفيها. عاودتها ذكرى مفاجئة طفت إلى ذهنها كأنما من لا مكان. حين كانت في الثانية عشرة، نمت دفعة واحدة ووجدت نفسها ذات يوم أطول قامة من فتيان صفّها، فأخذت تمشي متحدّبة.

لكن والدي قال لي إن القامة الطويلة فاتنة، تذكّرت، وابتكر لعبة حيث نتجوّل واضعين كتبًا على رأسينا. قال إن المشي مشية منتصبة عاليًا يجعل الواحد منّا يبدو للآخرين واثقًا من نفسه.

وأنا بحاجة حقًا لهذه الثقة في النفس، فكّرت بعد دقائق حين استدعاها ريك باركر الأب إلى مكتبه.

كان ريك في مكتب والده وبدا الغضب جليًا على باركر الأب. استرقت النظر إلى ريك. قالت لنفسها إنّها لن تجد أي تعاطف من هذه الجهة، إنهما حقًّا اليوم باركر وباركر.

دخل ريتشارد باركر الأب مباشرة في صلب الموضوع. «لايسي، يقول جهاز الأمن إنك حضرت إلى هنا ليلة أمس برفقة مفتش. ما معنى ذلك؟»

أجابت بأبسط ما أمكنها، موضحة أنّها قرّرت تسليم اليوميّات إلى الشرطة، لكنّها كانت بحاجة قبل ذلك إلى طبع نسخة لوالد هيذر.

استوضحها الأب رافعًا حاجبيه «أخفيت دليلًا في هذا المكتب؟»).

«كنت أنوي تسليمه اليوم إلى المفتّش سلون.» أخبرتهما عن سرقة شقّتها. «كلّ ما قمت به أنّني نفذت آخر رغبات إيزابيل وارينغ. ويبدو الآن أنّني ارتكبت جرمًا قد ألاحق عليه.»

«لا حاجة لأن يكون الواحد خبيرًا في القانون ليعرف ذلك»، قاطعها ريك. «لايسي، كان ذلك عملًا أحمق فعلًا.»

«كنت مشوّشة الذهن ولم أكن أفكر بشكل صحيح. إنّني آسفة، لكن...»

«أنا أيضًا آسف»، قال باركر الأب. «هل لديك مواعيد لليوم؟»

«موعدان بعد الظهر.»

«في وسع ليز أو آندرو توليهما عنك. ريك، قم بالترتيبات الضرورية. لايسي، سوف تكتفين في الوقت الحاضر بالعمل على الهاتف.»

عند سماع هذا الكلام، تبدّدت تلك البلادة التي كانت تسيطر على لايسي واستعادت يقظتها. قالت وقد سيطر عليها الغضب فجأة «هذا ليس عدلًا.»

«ليس من الحكمة أيضًا آنسة فاريل أن تورطي هذه الشركة في تحقيق بجريمة قتل.»

«آسف لايسي»، قال ريك.

أنت حقًّا هذه المرة ابن والدك المدلّل، فكّرت لايسي جاهدة لتمالك نفسها عن قول المزيد.

ما إن عادت إلى مكتبها حتّى دخلت غرايس ماكماهون، إحدى السكرتيرات الجديدات، حاملة فنجان قهوة. ناولتها إيّاه وقالت لها «بالصحة».

التفتت لايسي إليها لتشكرها، ورأتها تحاول أن تقول لها أمرًا ما بصوت منخفض حتّى لا يسمعها أحد. أرهفت لايسي السمع. «وصلت إلى هنا باكرًا اليوم. كان هناك مفتش يتكلّم مع السيد باركر. لم أسمع ما كان يقوله، لكن مفاد ما تناهى إليّ أن الأمر على علاقة بك.»

كان سلون يردّد دائمًا أن أيّ تحقيق جيّد ينطلق من حدس. ويمكن القول بعد خمسة وعشرين عامًا قضاها في السلك، أن في وسعه تقديم أدلّة وافية على ذلك، إذ غالبًا ما كان حدسه مصيبًا. هذا ما حمله على عرض نظريته بإسهاب على نيك مارس فيما كانا يدققان في أوراق يوميّات هيذر لاندي.

قال بنبرة استياء «إنّني واثق من أنّ لايسي فاريل لم تكشف لنا حتّى الآن الحقيقة كاملة. إنّها متورّطة في هذه القضية أكثر ممّا توحي

به. نعرف أنّها أخذت اليوميّات من الشقّة، ونعرف أنّها طبعت نسخة عنها وسلمتها إلى جيمي لاندي».

أشار إلى الصفحات الملطخة بالدماء.

«دعني أقول لك أمرًا آخر نيك، لا أعتقد أنّنا كنّا علمنا بوجود هذه اليوميّات لو لم أرهّبها بالأمس حين قلت لها إنّنا عثرنا على آثار لدم إيزابيل على أرضيّة الخزانة، في المكان الذي تركت فيه حقيبتها تمامًا.»

«وهل خطر لك أمر آخر إيدي»، قال مارس، «هذه الصفحات غير مرقّمة، فكيف نتثبت بالتالي من أنّ فاريل لم تدمّر تلك التي لم تشأ أن نقرأها؟ هذا ما يعرف بالتنقيح. أوافقك الرأي تمامًا. فاريل لم تترك بصماتها على هذه الصفحات فحسب، بل إن بصماتها على القضيّة برمّتها».

بعد ساعة، تلقّى المفتّش سلون اتصالًا من مات رايلي، الاختصاصي في قسم بصمات الأصابع في الغرفة 503. لقد دقق مات في بصمة عُثر عليها على مقبض الباب في شقّة لايسي، فبحث عنها في النظام الوطني الإلكتروني للتعرّف إلى البصمات ووجد أنّها تطابق بصمات ساندي سافارانو، مجرم من الصنف الوضيع اشتبه بضلوعه في أكثر من عشر جرائم قتل على علاقة بقضايا مخدّرات.

«ساندي سافارانو!»، قال سلون مستغربًا. «هذا لا يعقل مات، فقد انفجر مركب سافارانو وهو على متنه قبل سنتين. أرسلنا عناصر إلى دفنه في مقبرة وودلون.»

«أرسلنا عناصر إلى دفن أحد ما»، ردّ رايلي بنبرة قاطعة. «الموتى لا يقتحمون الشقق.»

قضت لايسي باقي النهار تتفرّج عاجزة فيما يتم تحويل الزبائن الذين لاحقت ملفاتهم بنفسها إلى وكلاء آخرين. كان يغيظها إلى أقصى حد أن تتولى هي إخراج الملفات وإجراء الاتصالات لمتابعة صفقات بيع محتملة، لتنقل بعدها المعطيات إلى زملائها. هذا ما كانت تقوم به حين كانت مجرد مبتدئة، قبل ثماني سنوات.

كما لازمها إحساس مزعج بأنّها قيد المراقبة. كان ريك يتردد باستمرار على قسم المبيعات حيث حجرتها. شعرت وكأنه يراقبها عن كثب.

باغتته أكثر من مرة يسترق النظر إليها وهي تخرج لإحضار ملف ما. بدا لها أنّه يتلصص عليها طوال الوقت. كان حدسها يقول لها إنهم سيطلبون منها في نهاية النهار أن تتوقف عن الحضور إلى المكتب إلى أن ينتهي التحقيق. وإذا كانت بالتالي تريد أخذ نسخة يوميّات هيذر معها، يجدر بها أن تغتنم لحظة لا يكون فيها ريك ينظر إليها، لإخراجها من مكتبها.

سنحت لها الفرصة أخيرًا لسحب صفحات اليوميّات في الساعة الخامسة إلّا عشر دقائق، عندما استدعي ريك إلى مكتب والده. بالكاد كانت قد دست الظرف في حقيبتها حتّى استدعاها ريتشارد باركر الأب إلى مكتبه ليبلغها تعليق مهامها.

9

«آمل ألّا تكون تتضوّر جوعًا، أليكس؟» سأل جاي تايلور وهو ينظر مرة جديدة إلى ساعته. «لا تتأخر لايسي عادة إلى هذا الحدّ.»

بدا واضحًا أنّه ضاق ذرعًا.

سارعت منى فاريل إلى الدفاع عن ابنتها. «زحمة السير تكون فظيعة في هذا الوقت من النهار. ربّما طرأ أمر ما أخّر لايسي قبل أن تغادر.»

رمقت كيت زوجها بنظرة تحذير. «أعتقد أنّه بعد كلّ ما عانته لايسي في الآونة الأخيرة، لا يجدر بأيّ كان أن يأخذ عليها بعض التأخير. تخيّلوا، كادت تقتل قبل يومين، ثمّ تعرضت شقّتها لعملية سرقة الليلة الماضية. إنّها بالتأكيد في غنى عن المزيد من المتاعب، جاي.»

«أوافقك الرأي»، قال أليكس كاربين باندفاع. «لقد أمضت يومين في غاية الصعوبة.»

نظرت منى فاريل إلى كاربين وأشرق وجهها بابتسامة امتنان. لم تشعر يومًا بارتياح كامل في حضور صهرها، لما يبديه من غرور في غالب الأحيان. كان نزق الطباع سريع الغضب ونادرًا ما يبدي صبرًا حيال أي كان. لكنّها لاحظت أنّه يعامل أليكس بكثير من الاحترام.

في تلك الليلة كانوا يتناولون كأسًا في الصالون فيما الولدان يشاهدان التلفزيون في غرفة الجلوس الصغيرة. أمّا بوني، فكانت جالسة مع البالغين بعدما توسلت والديها أن يسمحا لها بالسهر قليلًا لرؤية لايسي، وكانت واقفة عند النافذة تترقب وصولها.

تنبّهت منى إلى أنّ الساعة بلغت الثامنة والربع. كان يفترض أن تصل لايسي في السابعة والنصف، وليس من عادتها أن تتأخر عن موعد. ما الذي يمكن أن يؤخّرها حتّى الآن؟

لم تقدّر لايسي حقًا وطأة كلّ ما يحصل لها إلّا عندما وصلت إلى منزلها في الساعة الخامسة والنصف. أدركت أنّها باتت عمليًا بلا وظيفة. وعدها باركر الأب بأنّها ستستمر في تقاضي أجرها الأساسي، «أقله لفترة قصيرة من الوقت»، أضاف مصححًا.

فهمت أنّه يعتزم تسريحها. سيتذرّع بأنني عرّضت الشركة للخطر بنسخ أدلة وإخفائها هناك. عملت لحسابه ثماني سنوات، وأنا من أفضل وكلائه. كيف يمكن أصلًا أن يخطر له التخلص مني؟ إبنه هو الذي أعطاني اسم كورتيس كالدويل وطلب مني تحديد موعد معه. أراهن أنّه لا يعتزم دفع تعويضات لي بعد أن عملت في شركته طوال هذا الوقت. سيقول إنّه يسرّحني لسبب موجب. هل يمكن أن ينجو بفعلته؟ يتهيأ لي أنّني سأكون في مأزق على أكثر من جبهة. هزّت رأسها وهي تفكر كيف انقلب حظّها فجأة دفعة واحدة. عليّ أن أتكلّم إلى محام. لكن أي محام؟

حضر اسم إلى ذهنها: جاك ريغان!

كان جاك وزوجته مارغريت يقيمان في الطابق الخامس عشر من المبنى نفسه. التقت الزوجين الخمسينيين خلال حفل كوكتيل

في عيد الميلاد الماضي ولا تزال تذكر أن الجميع كان يسأله عن قضية جنائية كان كسبها للتوّ.

قرّرت أن تتصل به حالًا، لكن تبيّن لها أنّها لم تدوّن رقم هاتفهما.

قرّرت أن تذهب إليهما. حدّثت نفسها وهي تستقل المصعد إلى الطابق الخامس عشر، أن أسوأ ما يمكن أن يحصل لها هو أن يغلقا الباب في وجهها. تنبّهت وهي تقرع الجرس إلى أنّها تقلّب النظر بعصبية في أرجاء الرواق.

فوجئا برؤيتها عند الباب ورحّبا بها بحفاوة صادقة. كانا يتناولان كأس شيري قبل العشاء، وأصرا على أن تنضم إليهما. كانا على علم بعملية السرقة.

باشرت بالقول «هذا هو أحد أسباب وجودي هنا».

غادرت لايسي بعد ساعة وقد اتفقت مع ريغان على أن يمثّلها في حال وجهت إليها تهمة الاحتفاظ بأوراق اليوميّات.

قال لها ريغان «يمكنهم اتهامك كحد أدنى بعرقلة عمل العدالة. لكن إن كانوا على قناعة بأنّه كان لديك دافع خفي لسلب اليوميّات، فقد تصبح المسألة أكثر جدية بكثير».

«دافعي الوحيد كان الوفاء بوعد قطعته لامرأة تحتضر»، أجابت لايسي.

ابتسم ريغان غير أنّ نظرته بقيت جدّية. «لايسي، ليس المطلوب إقناعي أنا، لكن ينبغي الإقرار بأنّ ما فعلته لم يكن ضربًا من الذكاء».

كانت تركن سيّارتها في مرآب المبنى تحت الأرض، ترفٌ لن يعود بوسعها، على الأرجح، دفع ثمنه في حال ساءت الأمور على النحو

الذي تخشاه. هذه واحدة من الوقائع المريرة الكثيرة التي اضطرت إلى مواجهتها في ذلك اليوم.

كان وقت الزحمة انقضى، لكن حركة السير لا تزال رغم ذلك كثيفة. قالت لايسي لنفسها إنّها ستتأخّر ساعة وهي تتقدّم بسيّارتها ببطء شديد على جسر جورج واشنطن حيث تمّ إغلاق أحد الخطوط، ما أثار بلبلة عارمة. فكّرت بجاي. لا بدّ أنّه في مزاج رائع الآن، قالت لنفسها وهي تبتسم بأسف. الواقع أنّها كانت تشعر بالذنب لإبقاء عائلتها في انتظارها.

راحت تتساءل وهي تقود على الطريق الرابع إن كانت ستكشف لهم كلّ ما يحصل لها. أعتقد أنّني سأخبرهم كلّ شيء، قرّرت في نهاية الأمر. إن اتّصلت أمي أو كيت بي في المكتب ولم تجدني هناك، فلا بد أن تعرف السبب.

جاك ريغان محام جيد، قالت لنفسها بثقة وهي تنعطف عند مفرق الطريق السابع عشر. سوف يسوّي المسألة.

ألقت نظرة في المرآة العاكسة وهي تسلك جادة شيريدان. هل السيّارة التي تسير خلفها تتعقبها؟ تمالكت نفسها. توقّفي، إنك تصابين بالهذيان.

كانت كيت تقيم مع جاي في شارع هادئ في أحد الأحياء الميسورة. أوقفت لايسي السيّارة أمام المنزل، خرجت منها وسلكت الممرّ.

صاحت بوني مبتهجة «إنّها هنا! وصلت لايسي!» وهرعت لفتح الباب لها.

«أخيرًا!» غمغم جاي متذمّرًا.

«الحمد للّه»، همست منى فاريل. كانت على يقين بأنّ جاي على وشك الانفجار غضبًا رغم وجود أليكس كاربين.

شدّت بوني الباب بقوة وفتحته. وفي اللحظة التي رفعت ذراعيها نحو لايسي لتعانقها، دوّت طلقات نارية وأزّت رصاصات من حولهما. شعرت لايسي بوميض ألم يعبر رأسها وألقت بنفسها إلى الأمّام، مغطّية بوني بجسدها. بدا وكأن الصرخات كانت قادمة من داخل المنزل، لكن لايسي أحسّت وكأن كيانها بكامله يصرخ.

خيم هدوء فجأة عقب إطلاق النار، استعرضت خلاله لايسي الوضع بشكل سريع. الألم الذي أحسّت به كان حقيقيًا، لكن الفزع عصر قلبها حين أدركت أن الدماء المنسابة على رقبتها كانت تسيل من جسد بوني الصغير.

10

توجّه طبيب نحو لايسي في قاعة الانتظار في قسم الأطفال من مركز هاكنساك الطبي، وابتسم لها مطمئنًا. «نجت بوني بأعجوبة، وهي ستتعافى. إنّها تطالب بك بإصرار آنسة فاريل، تريد أن تراك».

كانت لايسي برفقة أليكس كاربين. حين أخرجوا بوني على سرير نقال من غرفة العمليات، تبعتها منى وكيت وجاي إلى غرفتها. أمّا لايسي، فلم تشأ مرافقتهما.

«إنّه ذنبي! إنّه ذنبي!» كانت هذه الفكرة الوحيدة التي راودتها. كانت تشعر بشكل مبهم بالألم في رأسها بسبب الرصاصة التي خدشت جمجمتها. الواقع أنّ ذهنها وجسدها كانا خدرين، يطفوان في مساحة غير حقيقية منفصلة عن الواقع. لم تكن تدرك بالكامل فظاعة ما حدث.

قال الطبيب، وهو يدرك قلقها ويخمّن أنّها تلوم نفسها عمّا حصل «صدقيني آنسة فاريل، إنّها بحاجة إلى بعض الوقت حتّى تشفى ذراعها وكتفها بشكل تام، لكن في نهاية الأمر لن يبقى أي أثر لإصابتها. الأطفال يتعافون بسرعة، وينسون بسرعة أيضا».

لن يبقى أيّ أثر، فكّرت لايسي بمرارة وهي تحدق في الفراغ أمّامها. كانت تسرع لتفتح لي الباب، هذا ذنبها الوحيد. كانت بوني تنتظرني بفارغ الصبر، هذا كلّ ما في الأمر. وكاد ذلك يكلفها حياتها. هل يمكن بعد ذلك أن لا يبقى أيّ أثر إطلاقًا؟

حثّها أليكس كاربين «هيّا لايسي، اذهبي لرؤية بوني».

التفتت لايسي إليه، تذكّرت بامتنان كيف اتصل أليكس بالشرطة فيما كانت والدتها تحاول جاهدة وقف النزيف من كتف بوني.

دخلت لايسي غرفة بوني ووجدت جاي وكيت جالسين إلى جانبي السرير الصغير. كانت والدتها واقفة عند أسفل السرير، وقد بردت أعصابها تمامًا، تراقب بعيني الممرضة المحترفتين.

كانت ضمادات سميكة تلفّ كتف بوني وأعلى ذراعها وكانت تتذمر بصوت نعس ضعيف «لست طفلة، لا أريد أن أنام في سرير أطفال». حين لمحت لايسي انشرح وجهها ونادتها «لايسي!».

حاولت لايسي أن تبتسم لها ومازحتها. «ضمادك آخر صيحات الموضة يا صغيرتي. أين يمكنني أن أوقّع عليه؟»

بادلتها بوني الابتسامة. «هل تألّمت أنت أيضًا؟»

انحنت لايسي فوق السرير. كانت وسادة تسند ذراع بوني.

كانت إيزابيل وارينغ قبل أن تلفظ أنفاسها الأخيرة تمدّ ذراعها محاولة انتشال شيء ما من تحت الوسادة. سحبت الصفحات الملطخة بالدم. بوني هنا هذا المساء لأنني كنت أنا هناك قبل يومين. كان يمكن أن نكون في هذه اللحظة نعدّ الترتيبات لدفنها.

قالت كيت برفق «سوف تتعافى، لايسي. ستكون بخير».

«ألم تلاحظي أنّ أحدًا ما يتعقّبك؟» سألها جاي.

قاطعته كيت مستهجنة «بحق اللّه جاي، هل جننت؟ بالطبع لم تلاحظ.»

فكّرت لايسي أن بوني مصابة، وها هما يتشاجران بسببي. لا يمكن أن أدع ذلك يحصل.

كانت بوني تغمض عينيها. انحنت لايسي وقبّلتها على خدّها.

«عودي غدًا، أرجوك»، قالت بوني متوسلة.

«ثمّة أمر عليّ أن أهتم به أولًا، لكنّني سأعود، لن أتأخّر.»

بقيت شفتاها للحظة على و جنة الطفلة. لن أعرّضك أبدًا للخطر بعد اليوم، أقسمت.

عندما عـادت لايسي إلـى قاعة الانـتـظـار، وجـدت مفتّشين من مكتب مدّعي منطقة بيرغن ينتظرانها. قالا لها «تلقّينا اتصالًا من نيويورك».

«المفتّش سلون؟» سألت.

«لا آنسة فاريل، مكتب المدعي العام الفدرالي. طلب منّا أن نتثبّت من عودتك إلى منزلك بأمان.»

11

كان غاري بولدوين، المدعي العام الفدرالي لمنطقة جنوب الولاية يوحي في الحياة اليومية بالطيبة والرقة، ما يثير استغراب كلّ من رآه ولو مرة يرافع في محكمة. وجهه النحيل يكشف عن معرفة واسعة واطّلاع كبير، انطباع تعزّزه نظّارتان بلا إطار. كان متوسط القامة رشيقًا، عذبًا في كلامه، معتدلًا في سلوكه، غير أنّ في وسعه القضاء تمامًا على شاهد أثناء استجوابه، حتّى بدون أن يرفع نبرته. لم يكن الرجل البالغ من العمر خمسة وأربعين عامًا يخفي طموحاته السياسية على الصعيد الوطني، وكان ينتظر قضية كبرى تثير صخبًا إعلاميًا، يكلّل بها مساره كمدّع عام فدرالي.

وقد يكون وجد هذه القضية المنشودة. فالمسألة المطروحة عليه تتضمّن كلّ العناصر المطلوبة لذلك: فتاة شابة تصل بالصدفة إلى مسرح جريمة في إحدى الشقق الفخمة في أعلى الطرف الشرقي من مانهاتن، الضحية هي الزوجة السابقة لصاحب مطعم شهير. والأهمّ في المسألة أن الشابة رأت المجرم ويمكنها التعرّف إليه.

كان بولدوين واثقًا من أنّ ساندي سافارانو ما كان خرج من مخبئه وعرّض نفسه للخطر لينجز هذه المهمّة، لو لم تكن على علاقة

أكيدة بالمخدرات. فهذا الرجل الذي اعتبر منذ سنتين في عداد الأموات، قاتل مأجور تخصص في تصفية كلّ من يعترض طريق عصابة تهريب المخدرات التي كان يعمل لحسابها. وهو في عمله هذا من الصنف الذي لا يرحم.

لكن حين عرضت الشرطة على لايسي فاريل الصور الجنائية التي التقطت لسافارانو، لم تتعرّف إليه. إما أن تكون ذاكرتها خانتها، أو أن سافارانو خضع لما يكفي من عمليات التجميل لتبديل مظهره وبالتالي تمويه هويته. وهذا الاحتمال الثاني هو المرجح، فكر بولدوين. وإن صحّ الأمر، فهذا يعني أن لايسي فاريل قد تكون عمليًا الشخص الوحيد الذي يمكنه التعرّف إليه.

كان غاري بولدوين يحلم بتوقيف سافارانو ومقاضاته، أو حتّى، في ما لو حالفه الحظ، التوصل إلى ترتيب معه على تخفيض عقوبته لقاء كشفه أدلّة تدين قادة العصابة الحقيقيين.

غير أنّ الاتصال الذي تلقّاه للتوّ من المفتّش إيد سلون جعله يغلي غضبًا. فاليوميّات التي تشكل على ما يبدو عنصرًا أساسيًا في القضية سرقت من داخل مركز الشرطة. أوضح له سلون «كنت أحتفظ بها في خزانتي المقفلة بالمفتاح بالطبع داخل قاعة رجال الشرطة، وقد باشرنا أنا ونيك مارس قراءتها بحثًا عن أي عنصر قد يفيدنا في تحقيقنا. اختفت خلال الليل الماضي. إنّنا نقلب المركز رأسًا على عقب بحثًا عن الفاعل».

ثمّ أضاف سلون «جيمي لاندي لديه نسخة أعطته إياها فاريل. سأتوجّه إلى منزله للحصول عليها».

أجاب بولدوين «عليك أن تحصل عليها قبل أن تختفي بدورها».

ثمّ أقفل الخطّ بخشونة. كان استدعى لايسي فاريل للحضور إلى مكتبه وقد أعدّ لها أسئلة كثيرة يودّ أن تجيب عليها.

كانت لايسي على يقين بأنّه من السذاجة الاعتقاد بأنّ أي صلة تربطها بالقضية ستنتهي بمجرد تسليمها يوميّات هيذر لاندي إلى الشرطة. كان الفجر بات وشيكًا حين وصلت أخيرًا إلى منزلها الليل الماضي عائدة من نيو جيرسي، غير أنّه لم يغمض لها جفن وهي تلوم نفسها على تعريض بوني للخطر، وفي الوقت نفسه تفكر بذهول كيف أن حياتها برمّتها تتهاوى أمّامها. شعرت وكأنها منبوذة. فهي الوحيدة التي يمكنها التعرف إلى المدعو كورتيس كالدويل، وهذا الأمر لا يشكل خطرًا عليها فحسب، بل على جميع المقربين منها.

لم يعد بوسعي زيارة والدتي أو كيت وأطفالها، فكّرت، كما لا يمكنهم كذلك زيارتي. أخشى الخروج إلى الشارع. إلى متى سيستمر الوضع على هذه الحال؟ وما الذي يمكن أن يضع حدًّا له؟

انضمّ إليها جاك ريغان في قاعة الانتظار خارج مكتب المدعي العام الفدرالي وابتسم لها مطَمئنًا حين أبلغتها السكرتيرة «يمكنك الدخول الآن».

كان من عادة بولدوين أن يدع الوافدين ينتظرون بعد دخولهم إلى مكتبه ريثما ينتهي من تدوين ملاحظات في ملف ما، متجاهلًا وجودهم. تفحّص لايسي ومحاميها مسترقًا النظر من تحت جفنيه المسدلين فيما كانا يجلسان أمّامه. بدت له لايسي تحت وطأة ضغط نفسي شديد. ولا عجب في ذلك بعدما استهدفها رشق من الرصاص

الليلة الماضية خدش جمجمتها وألحق إصابة بالغة بطفلة في الرابعة من العمر. قال بولدوين لنفسه إنّها أعجوبة ألّا يكون أحد قتل في الحادث، وهو يتظاهر بالتنبه أخيرًا إلى وجودهما.

لم يدوّر الزوايا مع لايسي. قال لها «آنسة فاريل، آسف للمشكلات التي تواجهينها، لكن الواقع أنّك عطلت بشكل خطير تحقيقًا جنائيًا هامًا جدًا بإزالتك أدلة من مسرح الجريمة. ما الذي يثبت لنا أنّك لم تدمري بعض هذه الأدلة؟ وما وافقت في نهاية المطاف على تسليمه اختفى الآن، ما يشير بشكل واضح إلى أهمّيته».

ردّت لايسي محتدة «لم أدمّر...» قبل أن يقاطعها جاك ريغان بنبرة جافة «لا يحقّ لك إطلاقًا اتّهام موكّلتي».

رفع بولدوين يده طالبًا منهما التزام الصمت. تابع بصوت بارد، متجاهلًا ريغان «آنسة فاريل، كلّ ما لدينا لإثبات ذلك هو كلامك. لكنّني أؤكد لك أمرًا: الرجل الذي تعرفينه باسم كورتيس كالدويل هو قاتل بلا رحمة ولا ضمير. إنّنا بحاجة إلى شهادتك لمحاكمته وإدانته، ونحن مصممون على منع حصول أي شيء يحول دون ذلك».

توقف قليلا وحدّق بها. «آنسة فاريل، القانون يخوّلني توقيفك بصفتك شاهدة أساسية. وأؤكد لك أنّك لن تجدي أيّ متعة في الأمر. هذا الإجراء يعني إبقاءك تحت الحراسة أربعًا وعشرين ساعة في اليوم في منشأة خاصة.»

«لأيّ فترة من الزمن؟» استفهمت لايسي.

«لا نعرف آنسة فاريل. إلى أن يتم اعتقال القاتل وإدانته بمساعدتك. ما أعرفه في المقابل أن حياتك لا تساوي أي شيء طالما أنّ قاتل إيزابيل وارينغ حرّ طليق. لم يسبق أن كانت لنا مرّة قضية متينة ضدّه تسمح لنا بمقاضاته بنجاح.»

«هل سأكون بأمان بعدما أشهد ضدّه؟» سألت لايسي. تهيّأ لها فجأة وهي جالسة أمام المدّعي العام الفدرالي أنّها في سيّارة تنحدر بسرعة جنونية خارج أيّ سيطرة على سفح وعر.

«لا، لن تكوني بأمان»، ردّ جاك ريغان بحزم.

«بل على العكس»، قال بولدوين. «فهو يعاني من رهاب الأمّاكن المغلقة وسيبذل كلّ ما بوسعه لتفادي الذهاب إلى السجن. الآن وقد أصبح بامكاننا ربطه بجريمة قتل، قد نتمكّن من إقناعه بعدما نقبض عليه بأنّ يشهد في المحكمة ضد شركائه. وفي هذه الحالة، لن نحاكمه حتّى. لكن علينا الحفاظ على سلامتك آنسة فاريل، إلى أن يتمّ ذلك.»

بقي صامتًا برهة. «هل سمعت ببرنامج حماية الشهود؟»

12

جالسًا في صمت مكتبه بعدما أقفل الباب، تفحّص مرة جديدة يوميّات هيذر. كلّ شيء هنا، مدوّن في صفحاتها. لكنّه عالج المشكلة. الشرطة تدقّق الآن في جميع الأسماء التي في حوزتها. حسنًا، حظًّا سعيدًا لهم! إنّهم يطاردون طواحين الهواء.

بقي مطرقًا لبرهة، ثمّ راح يقلّب الصفحات. بقع الدم عليها جفّت منذ وقت طويل، على الأرجح بعدما سالت بدقائق قليلة. غير أنّه شعر رغم ذلك بيديه دبقتين. مسحهما بمحرمة بلّلها ببعض الماء من الإبريق الذي يبقيه دائمًا بجانبه. ثمّ تسمّر في كرسيه ولم يعد يحرك ساكنًا، باستثناء أصابعه التي كان يمدّدها ويقبضها، كاشفًا بذلك اضطرابه.

لم تظهر لايسي فاريل منذ ثلاثة أشهر. إما أن يكونوا يحتجزونها كشاهدة أساسية، أو أنّها في مأمن ضمن برنامج حماية الشهود. يبدو أنّها طبعت نسخة عن اليوميّات أعطتها لجيمي لاندي، لكن ليس من المستبعد أن تكون طبعت نسخة ثانية لنفسها، ما الذي يمكن أن يمنعها من ذلك؟

لا شيء.

لا بدّ أن تكون أدركت، أيًا كان مكان وجودها، أنّه إن كان أحد ما على استعداد للقتل من أجل اليوميّات، فهذا يعني أنّها تحتوي على معلومات مهمّة. كانت إيزابيل تثرثر كثيرًا مع فاريل وتبوح لها بكلّ ما يجول في ذهنها. يعلم الله ما الذي روته لها.

لقد عاد ساندي سافارانو إلى الاختباء من جديد. بدا الشخص المثالي لتولي مهمّة استعادة اليوميّات والاهتمام بإيزابيل وارينغ، غير أنّه كشف عن إهمال. إهمال غبيّ، ولمرتين. فقد سمح أولًا لفاريل أن ترى وجهه في شقّة وارينغ عند ارتكاب عملية القتل، والآن يمكنها التعرّف إليه (وهذا ما ستفعله إن قبضت عليه الشرطة الفدرالية). ثمّ ترك بصمة في شقّة فاريل قادت إلى ربطه بالسرقة. ساندي قد يعترف بكلّ شيء في لحظة حتّى لا يذهب إلى السجن، إنّه واثق من ذلك.

ينبغي العثور على فاريل وإرسال سافارانو لتصفيتها.

عندها، ربّما، وربّما فقط، يصبح بأمان أخيرًا...

13

الاسم المدوّن على الجرس في المبنى السكني الصغير على جادة هينيبين في مينيابوليس كان «أليس كارول». كانت في نظر جيرانها مجرد امرأة شابة جميلة في أواخر العشرينات من العمر، لا تعمل، ولا تخالط كثيرًا.

كانت لايسي على يقين بأنّهم يصفونها على هذا النحو. وهم على حق بالقول إنّني لا أخالط كثيرًا. بعد مضي ثلاثة أشهر، بدأ الإحساس بالخدر يتبدّد ليحل محله شعور هائل بالعزلة.

لم يكن لديّ خيار آخر. هذا ما كانت تقوله لنفسها حين تعجز عن النوم، فتتذكّر كيف طلبوا منها أن تعدّ نفسها للرحيل وأن تأخذ معها ملابس دافئة، وأوصوها بألا تحمل معها أي صور عائلية أو أغراض تحمل اسمها أو حتّى الأحرف الأولى منه.

قدّمت كيت ووالدتها لمساعدتها على حزم حقائبها وتوديعها. كنّا نظنّ جميعنا أنّ الأمر مؤقت، أشبه بعطلة قسرية.

أرادت والدتها في اللحظة الأخيرة أن ترافقها. قالت مجادلة «لا يمكنك الذهاب وحيدة لايسي، كيت وجاي يساندان بعضهما ولديهما الأولاد».

«أمّـي، سوف تضيعين من دون الأولاد، فلا تفكري حتّى في الأمر»، أجابتها لايسي.

وعدتها كيت «لايـسي، جـاي سيواصل دفـع نفقات صيانة شقّتك».

أجابت تلقائيًا «يمكنني القيام بذلك لفترة من الوقت»، غير أنّ رد فعلها هذا كان مجرد غرور فـارغ. أدركـت ما إن لفظت هذه الكلمات أنّها حين تنتقّل وتتّخذ هويّتها الجديدة، لن تتمكّن من البقاء على مطلق ارتباط بأيّ شخص أو أيّ شيء من حياتها في نيويورك. حتّى شيك موقع باسم مستعار لتغطية نفقات الصيانة يمكن تعقّب أثره والوصول إليها.

تمّت العمليّة بسرعة وفاعليّة. فقد أخرجها شرطيّان بالزيّ الرسمي من شقّتها إلى سيّارة شرطة وكأنّهما يرافقانها إلى مركز الشرطة لاستجوابها. أمّا حقائبها، فقد أنزلت إلى المرآب حيث كانت سيّارة فان مدنية متوقّفة. بعد ذلك، نقلت من السيّارة إلى سيّارة فان مصفّحة أقلّتها إلى ما يعرف بـ «موقع آمن» ومركز توجيه في محيط واشنطن.

شبّهت لايسي نفسها بأليس في بلاد العجائب، وهي ترى هويّتها تتلاشى يومًا بعد يوم في هذا المكان المغلق. عملت خلال تلك الأسابيع مع مدرّب لاكتساب خلفيّة وماض جديدين لنفسها. كلّ ما كانت من قبل تبدّد. بالطبع، كان ماضيها ما زال ماثلًا في ذاكرتها، لكنّها أخذت بعد فترة تشكّك حتّى في هذه الحقيقة. كلّ ما تبقّى منه الآن اتصالات هاتفية أسبوعية عبر خطوط خاصة، ورسائل موجّهة من خلال قنوات آمنة. لا أحد. لا شيء. فقط هذه الوحدة الكاسحة.

واقعها الوحيد الأوحد بات هويّتها الجديدة. وضعها مدرّبها

أمام مرآة وقال لها «انظري إلى نفسك، لايسي. أترين هذه المرأة الشابة؟ كلّ ما تعتقدين أنّك تعرفينه عنها غير موجود. انسخيها من ذاكرتك. انسي كلّ ما يمتّ إليها. سيكون الأمر شاقًا لفترة، سوف تشعرين وكأنّها لعبة غريبة تلعبينها، وكأنّك تدّعين الأمر. ثمّة أغنية قديمة لجيري فال تعبر تمامًا عن هذا الإحساس. لا يمكنني أن أغنّي، لكنّني أعرف كلماتها. تقول: ادَّعِ أنّك لا تراها إطلاقًا... فات الأوان للهروب... لا تدع عينيك تقعان عليها... كأنّك لا تراها...»

في تلك اللحظة اختارت لايسي اسمها الجديد أليس كارول، تيمّنًا ببطلة «مغامرات أليس في بلاد العجائب» و«عبر المرآة» للكاتب لويس كارول.

كان الاسم يتلاءم تمامًا مع وضعها.

14

صمّت جلبة أشغال الترميم الجارية في الشقّة الملاصقة لشقة هيذر لاندي سابقًا أذنَي ريك باركر، ما إن خرج من المصعد في المبنى الواقع على الجادة الخامسة عند مفرق الشارع السبعين. من عساه يكون مقاول هذه الورشة؟ تساءل بانزعاج شديد. خبير في عمليات الهدم؟

في الخارج كانت السماء ملبدة بغيوم تنذر بالثلج. الأرصاد الجوية تتوقع تساقط ندف الثلج بحلول المساء. داخل الشقّة، حتّى النور الخافت الذي كان يلج من نوافذ شقّة هيذر لاندي كان يكشف عن مظهر الإهمال المخيم في المدخل وغرفة الجلوس.

تنشّق ريك الهواء. كان عفنًا بعض الشيء كما في كلّ الأمّاكن المغلقة، جافًا ومغبرًا. أشعل الضوء ورأى طبقة كثيفة من الغبار الأبيض تكسو سطح الطاولات ورفوف الكتب والخزائن.

راح يشتم بصمت. اللعنة على مسؤول صيانة المبنى! من واجباته التثبّت من أنّ المقاول يغلق بإحكام الموقع الذي يعمل على ترميمه.

انتشل سمّاعة الهاتف الداخلي وصاح بالحارس «قل لمسؤول الصيانة العديم الفائدة أن يصعد. حالًا!».

كان تيم باورز مسؤولًا منذ ثلاثين عامًا عن صيانة المبنى الواقع في الرقم ثلاثة شرق الشارع السبعين. كان ذلك الرجل الطويل القامة والطيب الطينة يعرف حق المعرفة انه، في عالم الملاكين والمستأجرين، تقع الملامة دائمًا على مسؤول الصيانة، مهما حصل. لكن كما كان يردد لزوجته بحكمة في نهاية كلّ يوم رديء، «إن كنت لا تحتمل الحر، اخرج من المطبخ». تعلّم مع الوقت كيف ينصت بتعاطف إلى سكان المبنى يشكون من بطء المصعد، أو من مياه تقطر من مغسلة، أو تسرب في الحمام، أو حتّى من نظام تدفئة يعمل على هواه.

لكن في ذلك اليوم، وهو واقفٌ هناك عند الباب يستمع إلى ريك باركر يقارع ويهاتر مسترسلًا، قال تيم لنفسه انه طوال تلك السنوات المديدة التي احتمل فيها الكثير من التذمر والتبرم والحنق، لم يشهد ما يقارب نوبة الجنون التي تنهال عليه الآن. كان أكثر حنكة من أن يتصدّى لريك. قد يكون مغفّلًا صغيرًا يعيش على أمجاد أبيه، غير أنّه يبقى رغم كلّ شيء من عائلة باركر، وعائلة باركر تملك واحدة من كبريات وكالات الأملاك العقارية وإدارة المباني في مانهاتن.

راح صوت ريك يزداد زعيقًا وحدّة وحين توقف أخيرًا لحظة لالتقاط أنفاسه، استغلّ تيم المناسبة ليقول «دعنا نحضر الشخص المعني إلى هنا لتقول له كلّ هذا.» خرج إلى الرواق ودقّ على باب الشقّة المجاورة وهو يصيح «تشارلي، تعال».

فُتح الباب بعنف، فعلا قرع المطارق والمدقّات الّذي يصمّ الآذان. ظهر تشارلي كوين مرتديًا بنطال جينز وقميصًا قطنيّة، وحاملًا مخطّطات ملفوفة. قال «إنّني مشغول، تيم».

«لست مشغولًا بما يكفي»، أجاب باورز. «سبق وطلبت منك

عزل الشقّة بإحكام قبل أن تبدأ بهدم الجدران. سيد باركر، ربّما تود أن تشرح له ما الذي يغضبك إلى هذا الحدّ.»

صاح ريك «الآن بعدما أزالت الشرطة أخيرًا الحظر عن هذه الشقّة، كُلِّفنا بيعها لحساب المالك. هلا قلت لي بحق الله كيف يمكنني أن أجلب أيًا كان إليها وسط الفوضى العارمة التي تتسبب بها؟ الجواب هو مستحيل، هذا غير ممكن». دفع تيم جانبًا، خرج إلى الرواق متجاهلًا الرجلين وطلب المصعد. وحين أُغلِق الباب عليه، نظر مسؤول الصيانة والمقاول إلى بعضهما البعض.

قال باورز «ما الذي دهاه؟ إنّه يضمر أمرًا ما. يا له من أحمق».

«قد يكون أحمق»، ردّ كوين بهدوء، «لكنّه يبدو لي من الصنف الذي يذهب إلى أقصى الحدود». تنهّد وأضاف «اعرض عليه استقدام شركة تنظيف إلى الشقّة، تيم. سوف ندفع نحن التكاليف».

تجنّب ريك التوجّه مباشرة إلى المكتب. لم يشأ أن يصادف والده. لم يكن يجدر بي أن أفقد أعصابي كما فعلت، قال لنفسه وهو لا يزال يرتجف من شدّة الغضب.

فكّر أنّ يناير شهر كريه في نيويورك. انعطف داخلًا منتزه سنترال بارك، وسلك مسرعًا ممرًا مخصصًا للهرولة حين لامسه أحد العدائين وهو يتخطّاه. صرخ به ريك بعصبية «احترس!».

لم يبطئ العدّاء بل صرخ له من دون أن يلتفت وهو يواصل الهرولة «خفّف عن نفسك يا رجل!»

خفّف عن نفسك! بالطبع، فكّر ريك. والدي يدعني أخيرًا أتولى بعض صفقات البيع من جديد، وما الذي يحصل عندها؟ يختار ذلك المفتّش الفضولي صباح اليوم نفسه بالذات ليظهر مجدّدًا.

حضر المفتّش سلون ليطرح الأسئلة ذاتها ويراجع التفاصيل ذاتها. سأله للمرّة المئة «حين تلقيت ذلك الاتصال من الرجل الذي عرف عن نفسه باسم كورتيس كالدويل، ألم يخطر لك أن تتحقّق من الأمر لدى الشركة التي ادعى أنّه يعمل لديها؟»

غرز ريك يديه في جيبيه، متذكرًا كم بدا جوابه سخيفًا. «إنّنا نتعامل كثيرًا مع كيلر، رولاند وسميث. شركتنا تتولى إدارة مبناهم. لم يكن هناك ما يمكن أن يدفعني إلى عدم الوثوق بكلامه.»

«كيف يمكن أن يكون المتصل على يقين بأنّه لن يتم التثبت من هويته؟ هل لديك مطلق تصور لذلك؟ ما علمته أن باركر وباركر تتبع قاعدة لا تحيد عنها، تقضي بالتثبت من جميع الزبائن الذين يلجأون إلى خدماتها والتحقّق من أنّ أولئك الذين تصطحبونهم في جولات على شقق فخمة هم على المستوى المطلوب.»

تذكّر ريك الهلع الذي سيطر عليه حين دخل والده عليهما من دون سابق إنذار.

«قلت لك سابقًا وأقول لك مرة جديدة إنّني لا أعلم إطلاقًا لماذا كان محاوري واثقًا من نفسه إلى حدّ استخدام اسم مكتب المحاماة»، أجاب ريك.

ركل كرة ثلج موحلة كانت تعترض طريقه. هل بدأت الشكوك تساور الشرطة بشأنه لكونه هو الذي رتب الموعد؟ هل بدأوا يشكون بأنّه لم يكن هناك أيّ اتّصال هاتفي أساسًا؟

أنّب نفسه وهو يركل بشراسة الأرض المتجلدة «كان يجدر بي ابتكار قصة أفضل». لكنّ الأوان فات لذلك. فهو بات ملزمًا بقصّته ومن الأفضل له أن تكون متماسكة.

15

الكلمة الأساس في هذا البرنامج هي الأمّان، قالت لايسي لنفسها وهي تباشر كتابة رسالة لوالدتها. ماذا يمكن أن أكتب لها؟ تساءلت. لن أكتب عن الطقس. فلو ذكرت أن درجة الحرارة متدنية إلى عشر درجات تحت الصفر وأنّ الثلج هطل مسجّلًا مستوى قياسيًّا بلغ خمسة وستّين سنتيمترًا في يوم واحد، فسيكون من السهل الاستنتاج بأنني في مينيسوتا. هذا هو نوع المعلومات التي يحذرونك بشأنها.

لا يمكنني الكتابة عن عملي، لأنني عاطلة عن العمل. ما يمكنني قوله في المقابل أنّني تلقيت للتو شهادة ولادتي المزورة وبطاقتي الضمان الاجتماعي المزورة، وبالتالي بات في وسعي الآن البحث عن وظيفة. أعتقد أنّه يمكنني أن أقول لهم أيضًا انه باتت لدي الآن على الأقلّ رخصة قيادة، وأن مستشاري، وهو نائب مارشال، اصطحبني لشراء سيّارة مستعملة.

البرنامج هو الذي يدفع ثمن السيّارة. أليس هذا رائعًا؟ لكن لا يمكنني بالطبع البوح باسم مستشاري جورج سفنسون، ولن أقول بالتأكيد لوالدتي وكيت إنّني اشتريت سيّارة من طراز برونكو حمراء خمرية عمرها ثلاث سنوات.

عوضًا عن ذلك كتبَت:

مستشاري رجل طيّب. وهو أب لثلاث فتيات

لا، احذفي الجملة الثانية، لا تفاصيل محدّدة.

مستشاري رجل طيّب. صبور إلى أقصى الحدود. رافقني لشراء أثاث للشقة الصغيرة.

لا، تفصيل محدد آخر. اكتبي بدل ذلك للشقة فحسب.

لكنك تعرفينني جيّدًا. لم أشأ شراء الكثير من القطع المتناسقة، فماشاني في ذلك وذهبنا في جولة على بعض المنازل حيث يبيع السكان مقتنياتهم، وعثرت على قطع أثاث مستعملة رائعة فعلًا، تتميّز على الأقلّ بطابع خاص. لكنّني مشتاقة كثيرًا إلى حجرتي. أرجو منك أن تقولي لجاي انني ممتنة له حقًا لدفع تكاليف صيانة المكان نيابة عني.

رأت لايسي أن ما كتبته آمن، وقالت لنفسها إنّها ممتنة حقًا لجاي، غير أنّها أقسمت بأنّها ستسدّد له كلّ قرش يدفعه عنها.

كان يؤذَن لها بالاتصال بأهلها مرة في الأسبوع من خط هاتفي آمن. في آخر اتصال لها، سمعت جاي في الخلفية يحث كيت على الاختزال. الواقع أنّ الجلوس لانتظار ورود اتصال في ساعة محددة كان حقًا أمرًا مرهقًا، هي لا تنكر ذلك. ولم يكن بوسع أي كان المبادرة إلى الاتّصال بها.

يبدو أنّ الأطفال قضوا عطلة ممتعة، وإنني مسرورة للغاية لتحسن ذراع بوني. يبدو لي أن رحلة الأطفال للتزلج كانت رائعة. قولي لهم انني مجنونة بما يكفي لمرافقتهم في رحلة تزحلق على الثلج حين أعود.

اعتني بنفسك أمي. تبدين لي سعيدة مع أليكس. ما هم إن أزعجك قليلًا بين الحين والآخر؟ أعتقد أنّه رجل طيب، ولن أنسى كيف وقف بجانبنا في تلك الليلة المروعة حين كانت بوني في غرفة العمليات.

أحبّكم جميعًا. صلّوا حتّى يعثروا على قاتل إيزابيل وارينغ ويعتقلوه وحتى يتوصلوا إلى اتفاق معه على تقليص عقوبته لأخرج أخيرًا من هذا المأزق.

وقّعت لايسي الرسالة، طوت الورقة ووضعتها في الظرف. سوف يرسلها لها نائب المارشال سفنسون عبر قناة البريد الآمنة. كان إحساسها بالعزلة ينحسر قليلًا كلّما كتبت لوالدتها ولكيت أو كلّمتهما على الهاتف، لكن من بعد أن تنتهي من الكتابة أو تقفل الخطّ، كان يغمرها إحباط قاسي الوطأة.

راحت تلوم نفسها. هيّا، توقّفي عن التحسّر على مصيرك. لن تكسبي من ذلك شيئًا على الإطلاق. فكّري بالأحرى أنّ فترة الأعياد انتهت، والحمد لله. «تلك كانت مشكلة حقيقية»، قالت لنفسها بصوت عال. أدركت فجأة أنّها بدأت تعتاد مخاطبة نفسها.

في عيد الميلاد حاولت كسر رتابة يومها بحضور آخر قدّاس في كنيسة القديس أولاف التي تحمل اسم ملك النروج المحارب، ثمّ تناولت العشاء في فندق نورثستار.

حين أنشدت الجوقة في الكنيسة ترنيمة عيد الميلاد «أديستي فيديليس»، ملأت الدموع عينيها إذ عادت بها ذاكرتها إلى آخر عيد ميلاد قضته مع والدها. في ذلك اليوم ذهبا معًا إلى قداس منتصف الليل في كنيسة القديس مالاكاي في منطقة المسارح في مانهاتن.

كانت والدتها تقول على الدوام إن جاك فاريل لكان أصاب النجومية لو انطلق في الغناء بدل أن يصبح موسيقيًا. والواقع أن صوته كان رائعًا. تذكر لايسي كيف توقفت هي نفسها عن الغناء في تلك الليلة لتنصت لرخامة صوته، مستسلمة لرقة المشاعر التي يعبر عنها ترتيله.

حين انتهت الترنيمة همس لها «آه لايس، ثمّة عظمة في اللغة اللاتينية، ألا توافقينني الرأي؟».

اغرورقت عيناها من جديد وهي تتناول العشاء وحيدة حين فكّرت في والدتها وكيت وجاي والأولاد. كانت تقضي دائمًا عيد الميلاد مع والدتها في منزل كيت، فتصلان محمّلتين بالهدايا للأولاد وتقولان لهم ان «بابا نويل أرسلها» إلى منزليهما.

كان آندي لا يزال، وهو في العاشرة، يؤمن ببابا نويل، مثل تود حين كان في عمره. أمّا بوني، فقد فهمت الحقيقة ولو أنّها لا تزال في الرابعة. هذه السنة، أرسلت لايسي هدايا للجميع عبر قنوات آمنة، غير أنّ ذلك لا يمكن بالطبع أن يعوّض سعادة قضاء عيد الميلاد معهم جميعًا هناك.

وفيما جلست محاولة التظاهر بأنّها تستمتع بالعشاء الذي طلبته في فندق نورثستار، تاهت بأفكارها مستحضرة المائدة التي تعدّها كيت وتزيّنها خصّيصًا للعيد، وثريا الكريستال المتلألئة تعكس أضواءها في أكواب الزجاج الفينيسي.

كفى! أنّبت لايسي نفسها وهي تضع الظرف داخل درج في انتظار تسليمه إلى سفنسون حين يأتي.

كانت متفرّغة، ففتشت في قعر الدرج السفلي من مكتبها وأخرجت نسخة يوميّات هيذر لاندي.

ما الذي أرادت إيزابيل أن أجده فيها؟ سألت نفسها للمرة المئة. لقد قرأت اليوميّات إلى حدّ أنّها حفظتها عن ظهر قلب حرفيًا.

بعض المقاطع كانت تتعاقب بوتيرة متقاربة زمنيًا، يوميًا أو حتّى عدة مرات في اليوم، فيما بعض المقاطع الأخرى أكثر تباعدًا، يفصل بينها أسبوع أو شهر أو أحيانًا ستة أسابيع. كانت اليوميّات تغطي بصورة إجمالية فترة السنوات الأربع التي قضتها هيذر في نيويورك. تروي فيها بشكل مفصل البحث عن شقّة في هذه المدينة، وكيف أن والدها أصر على أن تقيم في مبنى آمن في الطرف الشرقي. من الواضح أنّ هيذر كانت تفضل الطرف الغربي من مانهاتن الذي تصفه بأنّه «غير متعجرف ويضج بالحياة».

تخبر هيذر عن دروسها في الغناء، الاختبارات التي خضعت لها المشاركة في مسرحيات، وأول دور حصلت عليه في مسرحية غنائية في نيويورك، كانت في الواقع إعادة لعرض «الصديق» في مسرح إكويتي. ذلك المقطع انتزع ابتسامة من لايسي، وقد اختتمته هيذر «جولي أندروز، يمكنك التنحي. ها قد أتت هيذر لاندي».

كتبت هيذر تقارير مفصلة عن المسرحيات التي حضرتها، وكان تحليلها لها ولأداء الممثّلين فيها يتميّز بكثير من العمق والنضج. كما روت بالأسلوب الممتع نفسه بعض الحفلات الراقية التي شاركت فيها، في معظم الأحيان من خلال معارف والدها على ما يبدو. في المقابل، كانت بعض المقاطع المسهبة حول غرامياتها ساذجة إلى حدّ مدهش. تهيأ بشكل جلي للايسي أن والدي هيذر أسرفا في احتضانها وحمايتها إلى أن قرّرت بعد سنتين في الدراسات الجامعية الانتقال إلى نيويورك ومحاولة الانطلاق في المسرح.

تكشف اليوميّات بوضوح العلاقة الحميمة التي كانت تربطها بكلا والدَيها، فلم تكن تذكرهما إلّا بدفء وحنان، ولو انها شكت مرارًا من الحاجة إلى إرضاء والدها.

كان هناك مقطع محدّد أثار استغراب لايسي منذ أن قرأته لأول مرّة: «انفجر والدي غضبًا اليوم بنادل في المطعم. لم يسبق أن رأيته في مثل هذه الحالة من قبل. النادل المسكين كاد يبكي. فهمت ما كانت والدتي تعنيه حين نبّهتني بشأن مزاجه ونصحتني بالتفكير مليًا قبل أن أعلن له أنّني لا أودّ العيش في الطرف الشرقي حين أنتقل إلى نيويورك. سوف يقتلني إن اكتشف كم كان على حق بهذا الشأن. يا إلهي كم كنت حمقاء!»

ما الذي دفع هيذر لكتابة ذلك؟ لا يمكن أن يكون أمرًا في غاية الأهمية. في مطلق الأحوال، إنّه أمر حدث قبل أربع سنوات من مقتلها، وهي الإشارة الوحيدة إليه في اليوميّات.

المقاطع القليلة الأخيرة تشير إلى أن هيذر كانت قلقة للغاية بشأن أمر ما. كتبت أكثر من مرة أنّها واقعة «بين السندان والمطرقة، ولا أدري ماذا عليّ أن أفعل». وخلافًا للمقاطع السابقة من اليوميّات، كانت تلك المقاطع الأخيرة مدوّنة على أوراق بيضاء بدون سطور.

لم تكن هذه الصفحات تكشف عن أيّ شيء محدّد، لكن يبدو أنّها أثارت شكوك إيزابيل وارينغ.

فكّرت لايسي يائسة أنّها قد تكون تشير إلى قرار متعلق بعمل هيذر، أو صديقها، أو أي مسألة أخرى. الحقيقة أنّني أنا نفسي عالقة بين السندان والمطرقة في الوقت الراهن.

هذا لأن ثمّة من يريد قتلك، همس لها صوت داخل رأسها.

أغلقت لايسي الدرج. كفى، توقّفي! نهرت نفسها بحدة.

أعدت لنفسها كوب شاي، فقد يساعدها قليلًا. جلست تحتسيه متمهلة، آملة أن يبدّد ذلك الإحساس المضني بالعزلة والخوف الذي كان يتربّص بها مجدّدًا.

شغّلت الراديو عله يؤنسها قليلًا. كانت عادة تبحث عن محطة موسيقيّة، غير أنّ الجهاز كان مضبوطًا على الموجات المتوسطة وانبثق صوت يقول «مرحبًا، أنا طوم لينش، وسوف أرافقكم خلال الساعات الأربع المقبلة على إذاعة دبليو سي آي في».

طوم لينش!

كان وقع هذا الاسم بمثابة صدمة أخرجت لايسي من حنينها وكآبتها. ذلك الاسم مدرج على قائمة وضعتها بجميع الأسماء الواردة في يوميّات هيذر لاندي. طوم لينش كان مذيعًا من الأطراف أعجبت به في فترة ما على ما يبدو.

هل هو الرجل نفسه؟ وفي هذه الحالة، هل كان من الممكن أن يعرف منه أي شيء عن هيذر؟

إنّها مسألة تستحق المتابعة.

16

كان طوم لينش من رجال الغرب الأوسط الأميركي النموذجيين. نشأ في شمال داكوتا وكان من الصنف القوي البنية والفائض حيوية الذي يعتبر درجة حرارة بمستوى العشرين تحت الصفر منعشة، وأن المخنثين وحدهم يشكون من البرد.

«لكنهم اليوم سجلوا فعلًا نقطة»، قال وهو يبتسم لمارج بيترسن، موظفة المقسم الهاتفي في محطة «دبليو سي آي في» في مينيابوليس.

نظرت إليه مارج بحنان أم لابنها. كان دائمًا ما يُدخل البهجة إلى قلبها، ومنذ أن بات يتولى برامج التوك شو التي تبثّها الإذاعة بعد الظهر، بدا جليًّا أنّ لديه التأثير ذاته على العديد من سكان منطقة مينيابوليس سانت بول. يمكنها أن تستشف من بريد المعجبين الذي يعبر مكتبها بأعداد متزايدة يومًا بعد يوم، أن ذلك المذيع الثلاثيني الشعبي في طريقه إلى النجومية. فأسلوبه المميز الذي يمزج ما بين الأخبار والمقابلات والتعليقات، كلّ ذلك على وقع روح فكاهة جريء لا يوفر أي موضوع، جذب شريحة واسعة من المستمعين. مهلًا حتّى

تقع عيونهم عليه! فكّرت وهي تنظر في عينيه العسليتين البراقتين، وشعره الكستنائي المشعث بعض الشيء، وابتسامته الدافئة وقسمات وجهه الفاتنة في عدم تناسقها. الواقع أنّه ولد ليكون على شاشة التلفزيون.

كانت مارج سعيدة لنجاحه، ونجاح الإذاعة بالتالي، غير أنّها كانت تعي أن ذلك سيف ذو حدين. كانت تعلم أن إذاعات كثيرة قامت بمساع لضمه إلى فريقها، غير أنّه اعلن بوضوح أن خطته هي أن يجعل «دبليو سي آي في» المحطة الأولى في المنطقة قبل التفكير في الانتقال. والآن بات هذا الهدف وشيكًا، فكّرت مطلقة تنهيدة. سوف نخسره قريبًا.

«مارج، هل من مشكل؟» سأل طوم باهتمام. «تبدين مشغولة البال.»

ضحكت وهزّت رأسها. «لا، لا مشكل على الإطلاق. هل ستذهب إلى المركز الرياضي؟»

كان لينش أعلن لمستمعيه وهو يختتم برنامج بعد الظهر، أنّه بالرغم من الصقيع المخيم على المدينة، سيقصد لاحقًا مركز «توين سيتيز» الرياضي، آملًا أن يلتقي بعضهم هناك. كان مركز «توين سيتيز» إحدى الجهات الراعية لبرنامجه.

«أصبت. أراك لاحقًا.»

«كيف علمت بنا آنسة كارول؟» سألت روث ويلكوكس فيما كانت لايسي تملأ استمارة الاشتراك في مركز «توين سيتيز» الرياضي.

«من برنامج طوم لينش»، أجابت لايسي. كانت المرأة تحدّق بها، فأحست بالحاجة إلى إعطاء المزيد من التفاصيل. «كنت أفكر

تقع عيونهم عليه! فكّرت وهي تنظر في عينيه العسليتين البراقتين، وشعره الكستنائي المشعث بعض الشيء، وابتسامته الدافئة وقسمات وجهه الفاتنة في عدم تناسقها. الواقع أنّه ولد ليكون على شاشة التلفزيون.

كانت مارج سعيدة لنجاحه، ونجاح الإذاعة بالتالي، غير أنّها كانت تعي أن ذلك سيف ذو حدين. كانت تعلم أن إذاعات كثيرة قامت بمساع لضمه إلى فريقها، غير أنّه اعلن بوضوح أن خطته هي أن يجعل «دبليو سي آي في» المحطة الأولى في المنطقة قبل التفكير في الانتقال. والآن بات هذا الهدف وشيكًا، فكّرت مطلقة تنهيدة. سوف نخسره قريبًا.

«مارج، هل من مشكل؟» سأل طوم باهتمام. «تبدين مشغولة البال.»

ضحكت وهزّت رأسها. «لا، لا مشكل على الإطلاق. هل ستذهب إلى المركز الرياضي؟»

كان لينش أعلن لمستمعيه وهو يختتم برنامج بعد الظهر، أنّه بالرغم من الصقيع المخيم على المدينة، سيقصد لاحقًا مركز «توين سيتيز» الرياضي، آملًا أن يلتقي بعضهم هناك. كان مركز «توين سيتيز» إحدى الجهات الراعية لبرنامجه.

«أصبت. أراك لاحقًا.»

«كيف علمت بنا آنسة كارول؟» سألت روث ويلكوكس فيما كانت لايسي تملأ استمارة الاشتراك في مركز «توين سيتيز» الرياضي.

«من برنامج طوم لينش»، أجابت لايسي. كانت المرأة تحدّق بها، فأحست بالحاجة إلى إعطاء المزيد من التفاصيل. «كنت أفكّر

منذ فترة بالاشتراك في مركز رياضي، وبما أنكم تسمحون لي هنا باختبار المركز عدة مرات قبل اتخاذ قرار...» قالت بصوت راح يتلاشى تدريجيًا، «كما أنّه قريب من شقّتي»، أكملت، غير واثقة من نفسها.

هذا سيمنحني على الأقلّ بعض الخبرة للتقدم بطلب وظيفة، فكّرت مرغمة نفسها على المضي قدمًا. فكرة ملء الاستمارة أفزعتها، إذ كانت هذه أوّل مرة تستخدم فعليًا هويّتها الجديدة. صحيح أنّها تدربت عليها مع مستشارها، نائب المارشال جورج سفنسون، غير أنّ اختبار الأمر في الحياة الفعلية مسألة مختلفة تمامًا.

راجعت أدق التفاصيل في ذهنها وهي تقود سيّارتها إلى المركز الرياضي: اسمها أليس كارول من هارتفورد، ولاية كونتيكت، خرّيجة جامعة كالدويل، وهو خيار آمن إذ أنّ الجامعة مغلقة اليوم. عملت سكرتيرة في عيادة طبيب في هارتفورد. تقاعد الطبيب في الوقت الذي كانت تنفصل عن صديقها، فبدا لها الوقت مناسبًا تمامًا للانتقال إلى مكان آخر. اختارت مينيابوليس لأنها زارت المدينة حين كانت فتاة وأعجبت بها. هي ابنة وحيدة، والدها توفّي، ووالدتها تزوّجت مجدّدًا وتقيم في لندن.

كلّ هذا لا يهم في الوقت الحاضر، قالت لنفسها وهي تخرج بطاقتها الجديدة للضمان الإجتماعي من حقيبة يدها. عليها أن تتوخّى الحذر، فقد بدأت تلقائيًا بكتابة رقمها الحقيقي، غير أنّها تداركت الأمر. حضر إلى ذهنها عنوانها في الرقم واحد، شرق جادة إند آفنيو نيويورك، ن ي 10021. لا، احترسي: 520 جادة هينيبين، مينيابوليس، م ن 55403. مصرفها: تشايس. لا، فيرست ستايت. الوظيفة؟ وضعت خطًا في هذه الخانة. قريب أو صديق يمكن إبلاغه في حال وقوع

حادث: سفنسون أعطاها اسمًا وعنوانًا ورقم هاتف يمكن استخدامها في مثل هذه الحالة. أي اتصال بهذا الرقم سيتلقاه هو نفسه.

وصلت إلى المعلومات عن سجلها الطبي. هل هناك أي مشكلات صحية تعانين منها؟ أجل، ندبة سطحية حيث خدشت رصاصة جمجمتي، وتشنج مستمر في الكتفين نتيجة إحساس متواصل بأنّ أحدًا ما يتعقبني، وأنني ذات يوم سأسمع وقع خطى خلفي وأنا أمشي في الشارع، سأستدير وعندها...

«هل هناك سؤال يحيّرك؟»، سألتها ويلكوكس بدماثة، «ربّما يمكنني المساعدة».

وجِلت لايسي على الفور وسيطر عليها الارتياب. تهيأ لها أنّها لمحت ظلال شكوك في عيني المرأة. ربّما تستشعر أمرًا زائفًا في قصتي، قالت لنفسها بهلع. تمالكت نفسها وتمكنت من الابتسام للمرأة. «لا، لست حائرة إطلاقًا». وقّعت على الاستمارة باسم أليس كارول ودفعتها على سطح المكتب في اتجاهها.

تفحّصتها ويلكوكس وقالت «ممتاز». كانت ترتدي كنزة قطنية مطبوعة عليها صورة قطط صغيرة تلعب بكرة صوف. «والآن، دعيني أصطحبك في جولة على المركز».

وجدت المكان واسعًا ومريحًا ومجهزًا تجهيزًا جيّدًا. كان يتضمن سائر أنواع التجهيزات والأدوات الرياضية بكميات وافية، مسلكًا طويلًا للهرولة، قاعات فسيحة لصفوف التمارين الرياضيّة، حوض سباحة كبيرًا، حمّامات سونا وبخار، فضلًا عن بار جذّاب للعصير.

بدأت ويلكوكس تشرح لها «يكتظ المكان عادة باكرًا في الصباح وبعد دوام العمل مباشرة»، غير أنّها توقفت فجأة قائلة «آه انظري! ها

هو». نادت رجلًا عريض الكتفين كان يبتعد عنهما متوجهًا إلى خزائن قسم الرجال. «طوم، تعال لحظة».

توقّف واستدار. لوّحت له السيدة ويلكوكس بذراعها باندفاع، مشيرة إليه بالانضمام إليهما.

بعد لحظة عرّفتهما على بعضهما. «طوم لينش، أعرّفك على أليس كارول. أليس انضمت إلينا للتو بعدما سمعتك تتحدث عنّا في برنامجك».

ابتسم لها بعفوية. «يسرّني أن أكون مقنعًا إلى هذا الحد. تشرّفت بمعرفتك، أليس». وبعد إشارة سريعة برأسه وابتسامة ثانية باهرة، غادرهما وابتعد.

«أليس فاتنًا حقًّا؟» سألت ويلكوكس. «لو لم يكن لديّ صديق، لكنت وددت... حسنًا، دعينا من ذلك. المشكل أن النساء العازبات يتودّدن إليه بكثير من الإصرار ولا يوفرن وسيلة للدخول في أحاديث معه. لكنّه يحضر إلى هنا من أجل الرياضة فحسب».

تلميحات مفيدة، فكّرت لايسي. «أنا أيضًا»، قالت بحزم، آملة أن تبدو مقنعة.

17

جلست منى فاريل وحيدة إلى طاولة في المطعم الجديد الرائج «أليكس بلايس». كانت الساعة الحادية عشرة وقاعة العشاء والبار في المطعم الشعبي الجديد ما زالا مكتظين بروّاد المسارح الخارجين من العروض. عازف البيانو كان يؤدي مقطوعة «النغمة الطليقة». غمرها فجأة حزن عميق وإحساس بالفقدان. كانت تلك من أغنيات جاك المفضلة.

تبادرت الكلمات إلى ذهنها. الوقت كفيل بكلّ شيء...

تنبّهت منى إلى أنّها دائمًا على شفير الدموع في الآونة الأخيرة. آه لايسي، قالت لنفسها، أين أنت؟

«حسنًا، أعتقد أنّ بوسعي تخصيص بعض الوقت لمجالسة امرأة جميلة.»

التفتت منى وقد استيقظت فجأة إلى الواقع، ورأت ابتسامة أليكس كاربين تفارق وجهه.

«هل تبكين منى؟» سألها قلقًا.

«لا، أنا بخير.»

جلس قبالتها. «لست بخير. هل هناك أمر محدد، أم مجرد شعور حيال الوضع عمومًا؟»

حاولت أن تبتسم. «كنت أشاهد السي إن إن هذا الصباح وعرضوا مشاهد لذلك الزلزال الطفيف في لوس انجليس. لم يكن طفيفًا إلى هذا الحد كما يقولون. هناك امرأة شابة فقدت السيطرة على سيّارتها وانقلبت جانبًا. إنّها امرأة نحيلة شعرها داكن اللون. ظهرت في مشهد ممددة على حمّالة». راح صوت منى يتهدّج. «ظننت للحظة رهيبة أنّها لايسي. قد تكون هناك. قد تكون في أي مكان».

«لكنّها لم تكن لايسي»، قال أليكس محاولًا طمأنتها.

«لا، بالطبع لا، لكنّني ما إن أسمع بحريق أو فيضان أو زلزال، حتّى تساورني مخاوف من أن تكون لايسي هناك، في وسط الكارثة. هذا ما آلت إليه أوضاعي الآن.»

حاولت أن تبتسم. «حتّى كيت سئمت الاستماع إليّ. حدث قبل أيام انهيار ثلجي في سنوبيرد ماونتن، وطمرت الثلوج بعض المتزلجين. من حسن الحظ أنّه تم إسعافهم جميعًا، لكنّني واصلت الاستماع إلى أسمائهم. لايسي تهوى التزلج، ومن الممكن تمامًا كما أعرفها أن تخرج في طقس عاصف.»

مدّت يدها لتناول كأس النبيذ. «أليكس، لا يجدر بي أن أحمّلك كلّ هذه الهموم.»

أمسك كاربين يدها. «بلى منى. ربّما يجب عليك حين يتسنى لك أن تتكلّمي مع لايسي، أن تشرحي لها ما تعانينه حيال المسألة برمّتها. أعني، لو كان من الممكن فقط أن تكون لديك فكرة ولو مبهمة عن مكان وجودها، لكان من الأسهل عليك احتمال الأمر.»

«لا، لا يسعني أن أفعل ذلك. يجب أن أبذل جهدي حتّى لا تعلم بشيء. وإلا، سيكون الوضع أصعب بكثير عليها. أنا محظوظة. لديّ كيت وعائلتها. وأنت. أمّا لايسي، فهي وحيدة.»

«إسأليها»، ردّد أليكس كاربين بإصرار. «ثمّ احتفظي بما تقوله لك لنفسك ولا تبوحي به.»

ربّت على يدها.

18

«حين تبتكرين شخصًا مثل صديق من نسج خيالك، عليك أن تبقي شخصًا حقيقيًا ماثلًا في ذهنك»، أوصى نائب المارشال جورج سفنسون لايسي. «يجب أن يكون في مقدورك تصوّر هذا الرجل وطريقته في الكلام. هكذا يصبح من الأسهل عليك أن يكون كلامك متماسكًا إن اضطررت إلى الردّ على اسئلة عنه. وتذكّري أن تردّي على أسئلة بطرح أسئلة أخرى بنفسك. هذه حيلة يتعيّن عليك تطويرها».

قرّرت لايسي أنّ ريك باركر هو ذلك الصديق الوهمي الذي انفصلت عنه. الواقع أنّه من الأسهل عليها أن تتصوّر نفسها تنفصل عنه من أن تتخيل نفسها مرتبطة به، لكن يبقى أن التفكير به يجعل من الأسهل عليها أن تكون منطقيّة في كلامها.

أخذت تتردّد يوميًا على المركز الرياضي، فتقصده على الدوام في وقت متأخر من بعد الظهر. ممارسة الرياضة تجعلها تشعر بالارتياح، كما تمنحها فرصة لتركيز أفكارها أيضًا. والآن، بعدما باتت لديها بطاقة الضمان الاجتماعي، أصبحت متلهفة للحصول على وظيفة، غير أنّ نائب المارشال سفنسون قال لها إن برنامج الحماية لا يمكنه منحها إفادات عمل سابق مزورة.

«كيف يفترض بي الحصول على وظيفة بدون إفادة عمل سابق؟» سألته.

«أقترح عليك أن تعرضي العمل كمتطوعة لأسبوعين بداية بدون تقاضي أجر، ثمّ ترين إن كانوا على استعداد لتوظيفك.»

لكنّها احتجت على ذلك. «أنا نفسي لن أقبل بتوظيف أحد بدون إفادة عمل سابق».

كان من الواضح رغم احتجاجاتها أنّه سيترتّب عليها الأخذ بهذه النصيحة فحسب. باستثناء المركز الرياضي، لم يكن لديها اي تواصل مع أي كان. الوقت يمرّ ببطء لا يوصف وسط هذه الوحدة، وكانت تشعر بالكآبة تغلفها مثل غطاء ثقيل يهبط عليها. باتت تتخوف حتّى من اتصالها الأسبوعي بوالدتها. كانت مكالمتهما تنتهي على الدوام بالطريقة ذاتها، والدتها تنتحب، وهي على وشك الصراخ من شدة الإحباط.

تدبّرت أمرها خلال الأيام الأولى بعد اشتراكها في المركز الرياضي للتقرب من روث ويلكوكس، حتّى باتت صديقة لها نوعًا ما. اختبرت معها لأول مرة قصة انتقالها إلى مينيابوليس والدوافع خلف قرارها: والدتها تزوّجت من جديد وانتقلت إلى لندن، والطبيب الذي كانت تعمل في عيادته تقاعد، وتخلصت من صديقها. قالت لروث «كان نزقًا ويمكن أن يبدي تهكّمًا لاذعًا في بعض الأحيان»، وفي ذهنها صورة ريك.

«أعرف هذا الصنف جيّدًا»، ردّت ويلكوكس. «لكن دعيني أبوح لك بشيء، سألني طوم لينش عنك. أعتقد أنّك تعجبينه.»

حرصت لايسي على عدم إبداء الكثير من الاهتمام بلينش، غير أنّها وضعت خططًا وباشرت تمهيد الطريق للقاء بينهما. فوقّتت فترة هرولتها بحيث تنتهي فيما يبدأ الهرولة بدوره. كما تسجّلت في صف تمارين رياضية تطل قاعته على مسلك الهرولة، واختارت فيه موقعًا يجعلها في مرمى بصره. أحيانًا كان يتوقف وهو يغادر المركز عند بار العصير لتناول شراب بالفيتامينات أو قهوة، فأخذت تقصد المكان قبل بضع دقائق من انتهائه من الهرولة وتجلس إلى طاولة لشخصين.

في الأسبوع الثاني، نجحت الخطة. دخل البار فوجدها جالسة وحيدة إلى طاولة صغيرة فيما جميع الطاولات الأخرى مشغولة. راح يقلّب النظر في أرجاء المكان والتقت نظراتهما. أشارت له بدون إبداء الكثير من الاهتمام إلى الكرسي الشاغر بجانبها، وهي ترجو في قرارة نفسها أن يقترب.

تردّد لينش قليلًا ثمّ توجّه صوبها.

كانت راجعت يوميّات هيذر بشكل مفصّل ودقيق ونسخت كلّ المقاطع التي ورد ذكره فيها. أوّل مرة ظهر فيها كان قبل حوالى سنة ونصف، حين التقته هيذر بعد إحدى مسرحياتها الغنائيّة:

«رافقنا رجل وسيم جدًّا إلى مطعم باريمور لتناول همبرغر. اسمه طوم لينش، وهو طويل القامة، جذاب للغاية، في حوالى الثلاثين من العمر على ما أعتقد. يقدّم برنامجًا إذاعيًا خاصًا به في سانت لويس، لكنّه قال إنّه سينتقل إلى مينيابوليس قريبًا. إنّه قريب لكايت، لذلك جاء لحضور المسرحية الليلة. قال إن أصعب ما في الإقامة خارج نيويورك، أنّه لا يعود من الممكن الذهاب إلى المسرح بانتظام.

تحدّثت إليه مطوّلًا. قال إنّه سيبقى في المدينة بضعة أيام. كنت آمل أن يدعوني للخروج معه، لكن لم يحالفني الحظّ في ذلك.»

وبعد أربعة أشهر كتبت:

«قدم طوم لينش إلى المدينة لقضاء عطلة نهاية الأسبوع. ذهبنا في مجموعة للتزلج في ستوي. إنّه رائع فعلًا. وعذب. من الصنف الذي يود بابي أن يراني برفقته. لكنّه لا يبدي أيّ اهتمام بي، ولا بأي من الفتيات الأخريات. وفي مطلق الأحوال، لا جدوى من الأمر الآن.»

وبعد ثلاثة أسابيع قضت هيذر في الحادث، إن كان من الممكن اعتباره حادثًا. تساءلت لايسي وهي تنسخ المقاطع التي تأتي على ذكره، إن كانت إيزابيل أو الشرطة استجوبت لينش مرّة بشأن هيذر. وماذا كانت هيذر تقصد حين كتبت أنّه «في مطلق الأحوال، لا جدوى من الأمر الآن؟».

هل كانت تعني أنّ طوم لينش على ارتباط جدّي بفتاة ما؟ أم أنّها هي نفسها على علاقة بأحد؟

كان رأس لايسي يضج بهذه الأفكار فيما اقترب لينش وجلس قبالتها إلى الطاولة.

«أليس كارول، أليس كذلك؟» سألها بنبرة تأكيد أكثر ممّا هي استفهام.

«أجل، وأنت طوم لينش.»

«هذا ما يبدو لي. إذًا، علمت أنّك انتقلت منذ وقت قصير إلى مينيابوليس.»

«صحيح.» كانت ترجو ألّا تبدو ابتسامتها متكلّفة.

سوف يطرح عليّ أسئلة الآن، فكّرت وقد سيطر عليها التوتر. قد يكون هذا أوّل اختبار حقيقي أواجهه. تناولت الملعقة الصغيرة وراحت تحرّك القهوة، قبل أن تدرك أنّه نادرًا ما يشعر أي كان بالحاجة إلى تحريك القهوة السادة.

سفنسون أوصاها بالرد على الأسئلة بأسئلة. «هل أنت من أهل المنطقة، طوم؟»

كانت تعرف جيّدًا أنّه لا يتحدّر من هنا، لكن بدا لها من الطبيعي أن تطرح عليه مثل هذا السؤال.

«لا، ولدت في فارغو، شمال داكوتا. على مقربة من هنا. هل شاهدت فيلم فارغو؟»

«فيلم رائع»، قالت وهي تبتسم.

«وبعدما شاهدته، انتقلت رغم كلّ شيء إلى هنا؟ كاد يحظر في المنطقة. اعتبروا هنا أنّه يجعلنا نبدو وكأنّنا قوم من الريفيّين المتخلّفين.»

هي نفسها لم تجد حججها مقنعة حين حاولت أن تشرح له ما الذي دفعها للانتقال إلى مينيابوليس: «قمنا أنا ووالدتي بزيارة أصدقاء لنا هنا حين كنت في السادسة عشرة. أحببت كلّ ما في هذه المدينة».

«أعتقد أنّ الزيارة لم تكن في طقس كهذا.»

«لا، كان ذلك في شهر أغسطس.»

«في موسم الذباب الأسود؟»

كان يمازحها، تعرف ذلك. لكن حين يكذب الواحد، يأخذ كلّ شيء منحى مختلفًا. سألها بعد ذلك أين تعمل.

«ما زلت أستقر.» هذا على الاقل رد صادق. «والآن حان الوقت للبحث عن وظيفة.»

«وظيفة من أي نوع؟»

«آه، كنت أهتم بالمحاسبة في عيادة طبيب»، ثمّ تداركت بسرعة «لكنّني سأبحث عن عمل مختلف هذه المرة».

«لن ألومك. شقيقي طبيب، واستمارات الضمان تلك التي يتلقاها تشغل ثلاث سكرتيرات. ما كان اختصاص الطبيب الذي كنت تعملين لديه؟»

«طبيب أطفال». الحمد للّه أنّني بعد الاستماع إلى والدتي طوال كلّ هذه السنوات، صرت قادرة على إعطاء انطباع بأنّني أعرف ما أتكلّم عنه. لكن من بين كلّ الوظائف الممكنة، لماذا اخترت المحاسبة؟ فأنا لا يمكنني أن أميّز استمارة تأمين عن أي استمارة أخرى.

قالت سعيًا منها لتغيير موضوع حديثهما «كنت أستمع إليك اليوم، أعجبتني المقابلة التي أجريتها مع المخرج الذي قدّم الأسبوع الماضي إعادة استعراض «شيكاغو». شاهدت المسرحية في نيويورك قبل انتقالي إلى هنا وأحببتها كثيرًا».

«ابنة عمتي كايت تشارك في كورس الفرقة الجوالة التي تقدم مسرحية «أنا والملك» هنا حاليًا»، قال لينش.

قرأت لايسي التردد والحيرة في عينيه. إنّه يحاول أن يقرر إن كان سيدعوني لمرافقته إلى المسرح. أرجو أن يفعل. ابنة عمته كايت عملت مع هيذر، وهي التي عرّفته عليها.

قال «العرض الأوّل يقدَّم غدًا. لديّ بطاقتان، هل تودّين الذهاب؟»

19

خلال الأشهر الثلاثة التي تلت وفاة إيزابيل، لم يعد جيمي لاندي يشعر بأي شيء، وكأن الجزء من دماغه الذي يتحكّم بمشاعره أصيب بالخدر. كانت طاقته وأفكاره تنصبّ بالكامل على الفندق الكازينو الجديد الذي يشيّده في أتلانتيك سيتي. مشروعه الجديد الواقع بين فندق «ترامب كاسل» وفندق «هاراز مارينا» صمّم بعناية ليتفوّق على الإثنين ببنائه الأبيض المتوهّج الرائع، تحيط به أبراج دائرية صغيرة ويعلوه سطح مذهب.

قال لنفسه، وهو يقف في ردهة المبنى الجديد يراقب التحضيرات الأخيرة استعدادًا للافتتاح بعد أسبوع: لقد نجحت! حققت المشروع فعلًا! كان العمّال يمدّون الموكيت ويعلقون اللوحات والستائر فيما صناديق المشروب تتوارى بأعداد كبرى داخل البار.

كان من المهمّ بنظره أن يتفوّق على جميع منافسيه في الجادة، أن يحجّمهم ويتميّز عنهم بطريقة فريدة. صبي الشوارع الذي نشأ في الجانب الغربي من مانهاتن وترك المدرسة في سن الثالثة عشرة ليبدأ العمل بغسل الصحون في نادي ستورك، بات الآن في القمة وسوف يحقق نجاحًا جديدًا يذهل به الجميع.

تذكّر جيمي تلك الأيام الخوالي، كيف كان يسترق النظر حين ينفتح باب المطبخ ليلمح المشاهير الجالسين في قاعة النادي. في ذلك الزمن كان جميع روّاد النادي متألّقين، ليس النجوم فقط، بل كلّ من كان يرتاد المكان. لم يكن ليخطر لهم حتّى في أحلامهم أن يحضروا وهم يرتدون ملابس تبدو وكأنّهم ناموا بها.

المحرّرون الصحافيون كانوا يحضرون إلى هنا كلّ مساء. كلّ منهم كانت له طاولته الخاصة. والتر وينتشل. جيمي فان هورن. دوروثـي كيلغارن. كيلغالن! يا إلهي، كم كانوا يتسابقون للتودّد إليها وتملقها. إفتتاحيتها في صحيفة جورنال أميريكان كانت تحدد البوصلة والجميع كان يسعى لكسب رضاها.

درستهم بتمعن، تذكر جيمي واقفًا في الردهة فيما العمال يهرعون من حوله في كلّ الاتجاهات، وتعلمت كلّ ما كنت بحاجة لمعرفته عن هذه المهنة في المطبخ. إن غاب طباخ، كنت قادرًا على الحلول محله. شق طريقه في هذا العمل متسلقًا السلم درجة درجة، فأصبح في بادئ الأمر مساعد نادل ينقل الأطباق المستعملة إلى المطبخ، ثمّ نادلًا، فرئيس خدم. ومع بلوغه الثلاثين، كان جيمي لاندي أصبح جاهزًا لإدارة مطعمه الخاص.

تعلّم كيف يتعاطى مع المشاهير، كيف يداهنهم بدون التنازل عن كرامته، كيف يخص كلًا منهم بالترحيب ويجعلهم في الوقت نفسه يترقبون منه إشارة اعتبار وتقدير تفرحهم. تعلّمت أيضًا كيف أعامل موظفيّ، تذكّر، بقسوة وإنما بعدل. كلّ من تعمّد خداعي لم يحظَ مرة بفرصة ثانية. جميعهم.

نظر باستحسان إلى رئيس أحد فرق العمال يؤنب بشدة عاملًا كان يمد الموكيت، بعدما وضع أداة على سطح مكتب الحجز المصنوع من خشب الماهوغوني.

نظر من خلال الأبواب الزجاجية الواسعة، فرأى طاولات القمار تُنصب في الكازينو. دخل إلى القاعة الشاسعة. إلى يمينه تمتد صفوف من ماكينات النقود الجديدة المتلألئة وكأنّها تترقّب بفارغ الصبر من يجرّبها. قريبًا، قال لنفسه. أسبوع آخر وسيصطفّون أرتالًا لاستخدامها، إن شاء الله.

أحسّ بيد على كتفه. «المكان يبدو على ما يرام، أليس كذلك جيمي؟»

«قمت بعمل جيد ستيف. سنفتح في الموعد المقرّر، وسنكون جاهزين.»

ضحك ستيف أبوت. «عمل جيد؟ بل قمتُ بعمل عظيم. لكن يبقى أنّك أنت صاحب الرؤية. أمّا أنا، فمجرد منفّذ، الرجل الذي يلاحق الجميع ويراقبهم. أنا أيضًا أردت أن يجهز كلّ شيء في الوقت. لن أقبل بدهّانين يسكبون بقعًا من الطلاء في كلّ مكان ليلة الافتتاح. سيكون المكان جاهزًا.» التفت إلى لاندي. «سنعود أنا وسينثيا إلى نيويورك. وأنت؟ ماذا ستفعل؟»

«لا، أفضّل البقاء هنا لبعض الوقت. لكن حين تصل إلى المدينة، هل يمكنك إجراء اتصال هاتفي لأجلي؟»

«طبعًا.»

«أتذكر الرجل الذي يرمم الجداريّات؟»

«غاس سيباستياني؟»

«تمامًا. الفنّان. قل له أن يأتي بأسرع ما يمكن واطلب منه أن يمحو صورة هيذر عن جميع اللوحات».

«هل أنت واثق جيمي؟» سأله ستيف أبوت وهو يحدّق في وجهه. «لأنّك قد تندم على ذلك لاحقًا؟»

«لن أندم. حان الوقت.» استدار مبتعدًا بشكل مفاجئ. «يجدر بك الانطلاق».

انتظر لاندي بضع دقائق، ثمّ توجه إلى المصعد وضغط زر الطابق الأخير. كان يودّ تفقد البيانو بار مرة جديدة قبل أن يغادر.

كانت قاعة حميمة في زاوية الطابق نوافذها دائرية تطل على مياه المحيط. الجدران مطلية بلون أزرق عميق ودافئ، رسمت عليها مدارج موسيقية فضية لأغان شعبية مبعثرة فوق غيوم هائمة. حرص جيمي على اختيار الأغاني شخصيًا، وكلها من أغاني هيذر المفضلة.

أرادت أن أسمّي المشروع بكامله «هيذرز بلايس». كانت تمازحني. ابتسم جيمي ابتسامة عابرة مصححًا كلامه: كانت تتكلّم ما بين المزح والجدّ.

هذا هو حقًا «هيذرز بلايس»، إنّها قاعة هيذر. فكر وهو ينظر من حوله. سيكون اسمها مدوّنًا على كلّ الأبواب، وأغانيها على هذه الجدران. ستكون جزءًا من المكان برمّته، مثلما أرادت تمامًا، لكن ليس كما في المطعم حيث تبقى صورتها نصب عينيّ طوال الوقت.

عليه أن يتجاوز الماضي.

كان مضطربًا. توجّه نحو إحدى النوافذ. فوق خطّ الأفق في البعيد كان هلال القمر يشع على الأمواج المتدافعة.

هيذر.

إيزابيل.

كلتاهما رحلتا. لسبب يجهله. بات لاندي في الآونة الأخيرة يفكّر بإيزابيل بشكل متزايد. كانت على شفير الموت حين جعلت تلك الوسيطة العقارية الشابة تقطع وعدًا لها بتسليمه يوميّات هيذر. ما كان اسمها؟ ترايسي؟ لا. اسمها لايسي. لايسي فاريل. كان مسرورًا بحصوله على اليوميّات، لكن ما هو ذلك الأمر المهم الذي تحويه؟ بعد قليل على تلقّيه الأوراق طلب منه رجال الشرطة تسليمها إليهم لمقارنتها بالمخطوطة الأصلية.

سلّمهم النسخة بالطبع، ولو على مضض. كان قرأها ليلة أحضرتها له لايسي فاريل، وما زال حتّى الآن حائرًا في لغزها. ما الذي اعتقدت إيزابيل أنّه سيجده فيها؟ لم يتمكن من الشروع في قراءتها قبل أن يثمل. كان قلبه يعتصر لرؤية خط يدها على الصفحات، وقراءة وصفها لأمور قاما بها معًا. بالطبع، كتبت أيضًا كم كانت قلقة عليه هو.

«بابي»، تذكّر جيمي كيف كانت تناديه.

لم أسمع منها كلمة «بابا» إلّا عندما كانت تظنّ أنّني غاضب منها.

رأت إيزابيل المؤامرة في كلّ شيء، وفي نهاية الأمر قتلت عرضًا برصاص لص استكشف الشقّة مدّعيًا أنّه يودّ شراءها، ثمّ عاد لارتكاب سرقة. يا لسخرية القدر!

كانت تلك من أقدم الحيل في العالم، ووقعت إيزابيل ضحيتها بدون أن تدري. صدف بكلّ بساطة أنّها كانت في المكان غير المناسب في الوقت غير المناسب.

لكن ماذا لو لم تكن الأمور على هذا النحو؟ تساءل جيمي لاندي، عاجزًا عن تبديد ظلال شكوك كانت تقلق باله. هل ثمّة أدنى احتمال

بأنّ تكون محقة في اعتقادها بأنّ هيذر لم تُقتل في حادث؟ قبل ثلاثة أيّام من مقتل إيزابيل، كتبت صحافية مقالة في البوست بأنّ والدة هيذر لاندي، ملكة الجمال السابقة إيزابيل وارينغ، «قد تكون على حق باشتباهها بأنّ مقتل المغنّية الشابة لم يكن عرضيًّا».

استجوبت الشرطة الصحافية فاعترفت بأنّها التقت إيزابيل في مناسبة ما واستمعت إليها تعرض نظرياتها بشأن مقتل ابنتها. أمّا بالنسبة لما ورد في مقالتها، فقالت إن الإشارة إلى احتمال أن تكون إيزابيل وارينغ تملك دليلًا هو مجرد افتراضات ابتكرتها بالكامل.

هل كان مقتل إيزابيل على علاقة حقًا بهذه المسألة؟ هل أصيب أحد ما بالهلع؟ تساؤلات راودت جيمي لاندي.

تلك هي تمامًا الاسئلة التي تفاداها جيمي حتّى الآن. إن كانت إيزابيل قتلت لإسكاتها، فهذا يعني أنّ أحدًا ما تسبب بحادث هيذر وتركها تحترق في سيّارتها في قعر الوادي.

رفعت الشرطة الحظر عن الشقّة الأسبوع الماضي، فاتّصل بالوكالة العقارية وطلب طرحها للبيع مجدّدًا. إنّه بحاجة إلى طيّ الصفحة. سوف يكلّف تحرّيًا خاصًا للتثبّت ممّا إذا كانت الشرطة أغفلت أمرًا ما. وسوف يتكلّم مع لايسي فاريل.

تنبّه أخيرًا إلى ضجيج الطّرق المتواصل. نظر من حوله. حان الوقت ليغادر. أغلق أبواب الماهوغوني الثقيلة خلفه وتراجع بضع خطوات ليتأملها. لقد كلّف فنانًا تصميم الأحرف الذهبية التي ستثبت على البابين، ومن المفترض أن ينجزها بعد يوم أو يومين.

«هيذرز بلايس» بأحرف ذهبية على الباب، تكريمًا لمحبوبة بابي، فكّر جيمي. إن تبيّن لي أنّ أحدًا ما ألحق بك الأذى عمدًا، فسوف أقتله بيديّ. أقسم لك حبيبتي.

20

حان وقت الاتصال بالعائلة، اتصال كانت لايسي تتوق إليه وتخشاه في آن. هذه المرة كان الخطّ الآمن من غرفة في نزل صغير. «الاتصال لا يتمّ مرّتين من المكان نفسه»، قالت حين دقت الباب وفتح لها جورج سفنسون.

«صحيح»، أجاب موافقًا. «الخطّ جاهز، سوف أجري الاتصال لك. والآن، تذكّري جيّدًا كلّ ما قلته لك، أليس.»

كان يناديها دائمًا باسم أليس.

«أتذكّره حرفيًا.» عدّدت له القائمة مرتّلة «حتّى ذكر اسم سوبرماركت قد يفضح موقعي. إن تكلّمت عن المركز الرياضي، يجب ألّا أشير إليه ولا مرّة باسم مركز توين سيتيز. عدم التحدّث عن الطقس. وبما أنّه ليس لديّ وظيفة، فهذا موضوع آمن يجب الاسترسال فيه قدر المستطاع».

عضّت على شفتها السفلى وقالت نادمة «آسفة جورج، كلّ ما في الأمر أنّني أصاب بنوبة عصبية قبل هذه الاتصالات».

رأت وميض تعاطف وتفهّم يضيء خشونة وجهه.

قال لها «سوف أجري الاتصال ثمّ أقوم بجولة في الخارج. حوالى نصف ساعة.»

«موافقة.»

أومأ برأسه ورفع السماعة. أحسّت لايسي براحتيها رطبتين. وبعد لحظة سمعت الباب ينغلق خلفه فيما كانت تقول «مرحبًا أمي. كيف حال الجميع؟»

المكالمة اليوم كانت شاقّة أكثر من العادة. كيت وجاي كانا غائبين عن المنزل. شرحت لها والدتها «اضطرا للذهاب إلى حفل استقبال. كيت تقول لك إنّها تحبك. الصبيّان بحالة جيدة. كلاهما في فريق الهوكي في المدرسة. لو ترينهما كيف يتزلجان على الجليد، لايسي. يتملّكني الفزع حين أنظر إليهما».

أنا علّمتهما التزلّج، تذكّرت لايسي. اشتريت لهما زلاجات حين كانا بالكاد يحسنان المشي.

تابعت والدتها «لكن بالنا مشغول على بوني. ما زال وجهها شاحبًا جدًّا. تصطحبها كيت إلى عيادة العلاج الطبيعي ثلاث مرات في الأسبوع، وأعمل معها أنا في نهاية الأسبوع. لكنّها مشتاقة إليك كثيرًا. تعتقد أنّك تختبئين لأن أحدًا ما يحاول قتلك.»

من أين أتتها هذه الفكرة؟ يا إلهي، من الذي زرعها في رأسها؟

لم تكن بحاجة إلى طرح هذا السؤال إذ تابعت والدتها مجيبة عليه: «أعتقد أنّها سمعت جاي يتكلّم مع كيت. أعرف أنّه يثير استياءك أحيانًا لايس، لكن عليّ القول بصراحة إنّه يتصرّف على أفضل وجه. إنّه يدفع نفقات شقتك ويواصل تسديد أقساط التأمين عنك. علمت من آليكس أيضا أن جاي لديه طلبية ضخمة لتجهيز مطعم

الفندق والكازينو الذي سيفتتحه جيمي لاندي في أتلانتيك سيتي، ويبدو أنّه يخشى أن يلغي لاندي الطلبية إن علم أنّه من أقربائك. يقول أليكس إن جيمي منهار بعد ما حصل لزوجته السابقة، ويخشى جاي أن يلومك نوعًا ما لمقتلها. تعلمين، لأنك أحضرت ذلك الرجل لمعاينة الشقّة بدون التثبت من هويته أولًا».

ربّما كان يجدر بي أن أُقتل مع إيزابيل، فكّرت لايسي بمرارة.

حاولت ترطيب الأجواء فروت لوالدتها أنّها تمارس الرياضة بانتظام وتستمتع بالأمر فعلًا. قالت «إنّني بخير، فعلًا. هذا الوضع لن يطول كثيرًا، أعدك بذلك. فهمت منهم أنّهم حين يعتقلون الرجل الذي يمكنني التعرّف إليه، سوف يقنعونه بعقد اتفاق مع النيابة لتسليم معلومات بدل الذهاب إلى السجن. وما أن يعقدوا الصفقة معه، حتّى أستعيد حريتي. وأولئك الذين سيشير إليهم لن يطاردوني أنا، بل سيطاردونه هو. علينا فقط أن نأمل أن يحصل ذلك قريبًا. أليس كذلك أمي؟».

سمعت في الطرف الآخر من الخطّ نشيجًا أثار هولها. قالت منى فاريل وهي تنتحب «لايسي، لا يمكنني العيش على هذا النحو. كلما سمعت عن امرأة شابة تعرّضت لحادث في أي مكان ما، أظنها أنت. عليك أن تقولي لي أين أنت. يجب أن أعرف».

«أمّي!»

«لايسي، أرجوك!»

«إن قلت لك ذلك، يجب أن يبقى الأمر سرًا بيننا حصرًا. لا يمكنك البوح به لأي كان. حتّى لكيت.»

«أجل حبيبتي.»

«أمّي، سوف يحرمونني من الحماية ويطردونني من البرنامج إن علموا أنّني قلت لك هذا.»

«يجب أن أعرف.»

كانت لايسي تنظر من النافذة، فرأت قامة جورج سفنسون العريضة تقترب من الأدراج. همست في السمّاعة «أمي، أنا في مينيابوليس».

كان سفنسون يفتح الباب. «أمّي، عليّ أن أغلق الخطّ. سوف أكلّمك الأسبوع المقبل. قبّلي الجميع. أحبّكم. إلى اللقاء».

«هل عائلتك على ما يرام؟» سأل سفنسون.

«أعتقد ذلك»، أجابت لايسي فيما تملّكها إحساس بالضيق والانقباض لاعتقادها بأنّها ارتكبت للتوّ خطأً فظيعًا.

21

كان مطعم لاندي غرب الشارع السادس والخمسين يغصّ بحشود الوافدين الخارجين من المسارح بملابسهم الأنيقة، وستيف أبوت يلعب دور المضيف، فيتنقّل بين الطاولات يلقي التحية على الزبائن ويرحّب بهم. كان رئيس بلدية نيويورك السابق هنا. بادره ستيف مربّتًا على كتفه «إيد، ذلك البرنامج التلفزيوني الجديد الذي تشارك فيه رائع».

أشرق وجه إيد. «كم من الأشخاص يتقاضون مبالغ من هذا النوع لمجرّد أن يكونوا حكمًا في محكمة صلح صغيرة؟»

«أنت تستحقّ كلّ قرش.»

توقّف عند طاولة تجلس على رأسها كالا روبينز، نجمة المسرحيات الغنائية الهزلية الأسطورية التي أخرجت من تقاعدها لأداء الدور الرئيسي في استعراض جديد في برودواي. «كالا، الكل يقول إنك مذهلة».

«ما يُقال في الحقيقة أنّ أحدًا لم يتظاهر بالغناء بمثل هذه البراعة منذ ريكس هاريسون في «سيّدتي الجميلة»، لكن يبدو أنّ الجمهور راض، فلا همّ!»

طرفت عينا أبوت وهو ينحني ليقبّلها على وجنتها. «لا همّ إطلاقًا». أشار إلى رئيس الخدم الذي كان يعبر على مقربة. «تعرف نوع الكونياك الذي تفضّله السيدة روبينز.»

«ها هي الأرباح تتبخّر»، قالت كالا روبينز وهي تضحك. «شكرًا ستيف، تعرف حقًا كيف تعامل السيّدات.»

«أبذل جهدي»، أجابها مبتسمًا.

«يبدو أنّ الكازينو الجديد سيذهل الجميع»، قال رفيق روبينز، وهو رجل أعمال معروف.

«هذا صحيح»، أجاب ستيف. «إنّه مكانٌ مدهش.»

تابع الرجل «يقال إنّ جيمي سيوكل إليك إدارته.»

ردّ ستيف بحزم «الوضع هو كالتالي: جيمي هو صاحب المشروع الرئيسي، وجيمي هو ربّ العمل. هكذا هي الحال وهذا ما ستكون عليه على الدوام. ليكن ذلك واضحًا. في مطلق الأحوال، هو سيحرص على ألّا أنسى ذلك أبدًا».

في هذه اللحظة، رأى بطرف عينه جيمي يدخل المطعم فأومأ له بأنّ ينضمّ إليهم.

اقترب جيمي وهو يبتسم ابتسامة مشعّة لكالا.

سألته «من الرئيس في أتلانتيك سيتي جيمي؟ ستيف يقول إنك أنت الرئيس.»

«ستيف على حقّ»، قال جيمي مبتسمًا. «هذا ما يجعلنا متفاهمين إلى هذا الحد.»

فيما كان جيمي يبتعد مع ستيف عن طاولة روبينز، سأله: «هل تمكّنت من ترتيب عشاء لي مع السيدة فاريل؟»».

رفع أبوت كتفَيه. «لم أتمكّن من الاتصال بها، جيمي. لقد تركت وظيفتها، وخط الهاتف في منزلها مقطوع. أظن أنّها غادرت في إجازة ما.»

تجهّم وجه جيمي. «لا يمكن أن تكون ابتعدت كثيراً، فهي شاهدة. هي التي يمكنها التعرف إلى قاتل إيزابيل حين يعثرون عليه. ذلك المفتّش الذي انتزع مني نسخة يوميّات هيذر يعرف بالتأكيد مكان وجودها.»

«هل تريدني أن أكلّمه؟»

«لا، سأقوم بذلك بنفسي. انظر من جاءنا الليلة!»

ظهرت لهما قامة ريتشارد جي. باركر الجسيمة وهو يعبر باب المطعم.

قال ستيف «إنّه عيد ميلاد زوجته. لديه حجز لثلاثة أشخاص. لذلك اصطحب آر. جي. زوجته لمرّة».

وها هو مشهد العائلة السعيدة يكتمل بحضور ذلك المعتوه ابنه، خطر لجيمي وهو يسرع عابرًا القاعة ليرحب بهم بابتسامة ودودة.

كان باركر يتردد بانتظام على المطعم لتناول العشاء مع زبائنه، وذلك كان السبب الوحيد الذي حال دون منع جيمي ابنه ريك باركر من دخول المطعم منذ زمن طويل. الشهر الماضي بالذات ثمل ريك وأثار جلبة على البار حتّى اضطروا إلى مرافقته ليستقل سيّارة أجرة. كما بدا جليًا لجيمي أكثر من مرّة، حين حضر ريك لتناول العشاء، أنّه يتعاطى المخدّرات.

ضغط آر. جي. باركر على يد جيمي لاندي حين صافحه بحفاوة. «أي مكان يمكن أن يكون أكثر متعة من مطعم لاندي للاحتفال مع بريسيلا. صحيح جيمي؟»

ابتسمت بريسيلا باركر للاندي بخفر، ثمّ التفتت بقلقٍ إلى زوجها مترقّبة ردّ فعله.

كان جيمي على علم بأنّ آر. جي. لا يخون زوجته فحسب، بل كان كذلك يرهبها ويستبدّ بها بوحشية.

هزّ ريك باركر رأسه متبالدًا كأنّما على مضض. «مرحبًا جيمي»، قال بابتسامة طفيفة متكلّفة.

الأرستقراطي يتنازل ويسلّم على الفلاح صاحب النّزل، فكّر جيمي مختزلًا المشهد. الواقع أنّه لولا نفوذ والده، لما كان هذا الأبله وجد وظيفة حتّى في تنظيف المراحيض.

قام جيمي شخصيًّا بمرافقتهم إلى طاولتهم وعلى وجهه ابتسامة عريضة.

فيما كانت تجلس، نظرت بريسيلا باركر من حولها قائلة «القاعة جميلة للغاية جيمي. لكن ثمّة شيئًا مختلفًا فيها. ما هو؟ آه، إنّها اللوحات. أزيلت منها صور هيذر».

«اعتبرت أنّ الوقت حان لمحوها»، أجاب جيمي بجفاء.

استدار وابتعد بشكل مفاجئ بدون أن يرى آر. جي. باركر يرمق ابنه بنظرة مغتاظة، ولا التعبير على وجه ريك باركر وهو يتأمل جدارية جسر التنهّدات وقد غابت عنها صورة هيذر فتاة.

وجد أنّ النتيجة مرضية.

22

مضت حوالى أربعة أشهر بدون أن تسنح الفرصة مرة للايسي لتعتني بملبسها. لم أحضر معي أي ملابس أنيقة، فكّرت وهي تبحث في خزانتها عن أي فستان يمكن أن يكون مناسبًا لسهرة.

لم أحمل معي الكثير من أغراضي لأنّني ظننت أنّهم في مثل هذه الفترة سيكونون قد قبضوا على كالدويل أو أيًا كان اسمه، وأنّه سيعقد صفقة معهم لخفض عقوبته وسأخرج من مخبئي وأعود إلى حياتي الطبيعية.

هذا هو تحديدًا المنطق الذي يوقعني عادة في ورطة، أنّبت نفسها وهي تخرج من الخزانة التنورة الصوفية السوداء الطويلة والكنزة المسائية اللتين اشترتهما الربيع الماضي خلال تنزيلات نهاية الموسم في متجر ساكس في الجادة الخامسة، ولم يتسن لها ارتداء أي منهما في نيويورك.

«تبدين على ما يرام، أليس»، قالت لنفسها بصوت عال بعد بضع دقائق حين تأملت نفسها في المرآة. كان شراء التنورة والكنزة ضربًا من الجنون حتّى في التنزيلات، لكنّها قرّرت أمام مرآتها أنّ الأمر

كان يستحقّ الثمن. تلك الأناقة البسيطة غير المتكلّفة التي عكسها مظهرها رفعت معنوياتها.

إنّني بحاجة حقًّا إلى بعض المعنويات، فكّرت لايسي وهي تبحث في علبة مجوهراتها عن قرطين وعقد اللؤلؤ الذي كان لجدّتها.

اتصل بها طوم لينش في تمام السادسة والنصف على الهاتف الداخلي من ردهة المبنى. كانت تنتظره عند باب الشقّة حين خرج من المصعد وتقدّم نحوها في الرواق.

شعرت بالإطراء حين رأت الإعجاب يظهر جليًّا على وجهه وهو يقترب منها. «أليس، تبدين رائعة»، قال لها.

«شكرًا. أنت أيضًا تبدو وسيمًا. تفضّل...»

انفتح باب المصعد من جديد قبل أن تتمكّن من إكمال جملتها. هل تعقّب أحد ما طوم إلى شقّتها؟ أمسكته بذراعه وجذبته بقوة إلى داخل الشقّة وأقفلت الباب بالمزلاج.

«أليس، ماذا يجري؟»

حاولت أن تضحك، لكن ضحكتها بدت ثاقبة وزائفة، كانت على يقين من ذلك. قالت متلعثمة «كم أنّني حمقاء. ثمّة... موصّل طلبات دق بابي قبل ساعتين. الواقع أنّه أخطأ في الطابق، لكن شقّتي تعرضت للسرقة العام الماضي... في هارتفورد»، أضافت على عجل. «وحين فُتح باب المصعد من جديد خلفك... و... وأعتقد أنّني ما زلت متوتّرة»، أكملت بدون أن يبدو كلامها مقنعًا أو مترابطًا.

لم يكن هناك موصّل طلبات، قالت لنفسها، وشقّتي تعرّضت فعلًا للسرقة، لكنّ الأمر لم يحصل في هارتفورد. ولا، لست متوتّرة، بل يتملّكني ذعر حقيقي كلّما انفتح باب المصعد، لفكرة أن يخرج منه كالدويل.

«يمكنني أن أفهم سبب توتّرك»، قال طوم بنبرة جدّية. «ذهبت إلى الجامعة في آمهيرست، وكنت أزور أصدقاء لي في هارتفورد من وقت لآخر. أين أقمت هناك أليس؟»

«في شارع لايكوود درايف.» استحضرت لايسي في ذهنها صور مجمّع سكني ضخم درسته في سياق تدريباتها في موقع الشرطة الآمن، راجية ألّا يقول لها طوم لينش إن أصدقاءه يقيمون هناك أيضًا.

«لا أعرف المنطقة»، ردّ وهو يهزّ رأسه ببطء. ثمّ ألقى نظرة من حوله، وأضاف «يعجبني ما فعلته هنا في الشقّة».

عليها أن تقرّ بأنّ الشقّة اتّخذت فعلًا مظهرًا مريحًا دافئًا. فقد طلت لايسي الجدران بلون عاجي رهيف، ثمّ حفّتها بجهد جهيد لتكتسب ملمسًا خشنًا غير متساو. البساط المفروش أرضًا عثرت عليه في مزاد على مقتنيات منزلية، وهو نسخة مصنوعة آليًا لبساط تشلسي، قديم لدرجة أنّ ألوانه بهتت وأضفت إليه ذلك المظهر الراقي. الأريكة المخملية باللون الأزرق الداكن والمقعد المزدوج الذي يتماشى معها قديمان، غير أنّهما ما زالا جميلين ومريحين. طاولة الصالون الصغيرة بسطحها الجلدي المتصدّع وقوائمها من طراز ريجنسي، لم تكلفها سوى عشرين دولارًا. إنّها مشابهة لطاولة كانت تتوسط الدار في المنزل الذي نشأت فيه، وتعطيها بالتالي إحساسًا بالطمأنينة. الرفوف قرب التلفزيون صفّت عليها كتبًا ومجموعة من التحف والآنية جمعتها خلال تجوالها على مزادات الأثاث المستعمَل.

همّت لايسي بإخباره كم أنّها تهوى شراء أغراض في أسواق الأثاث المستعمَل، غير أنّها تمالكت نفسها إذ تذكّرت أنّ الغالبية العظمى من الناس لا يؤثّثون منزلهم بالكامل من تلك الأسواق، بل إنّ

معظم الذين ينتقلون ينقلون معهم أثاثهم. وعوضًا عن الاستفاضة في الموضوع، اكتفت بشكر طوم على مديحه، وسارعت إلى الموافقة بارتياح حين اقترح أن ينطلقا إلى المسرح.

إنّه مختلف الليلة، فكّرت بعد ساعة مستأنسة برفقته فيما جلسا إلى طاولة أمام طبق من البيتزا وكأسي نبيذ. حين كانت تلتقيه في المركز الرياضي، كان على الدوام لطيفًا إنّما متحفّظًا، ما حملها على الاعتقاد بأنّه إن دعاها إلى حضور العرض الأوّل للمسرحية معه هذا المساء، فذلك بدافع نزوة ما في اللحظة الأخيرة.

لكنّها بدأت تشعر الآن أنّها تقضي معه سهرة طيّبة مسلّية. أحسّت لايسي لأوّل مّرة منذ الليلة التي قُتلت فيها إيزابيل، أنّها تستمتع فعلًا بوقتها. كان طوم لينش يردّ بعفوية على أسئلتها. «نشأت في شمال داكوتا، سبق أن قلت لك ذلك. لكنّني لم أعد إلى هناك بعد ذهابي إلى الجامعة. وعند تخرجي، انتقلت إلى نيويورك، طامحًا في إحداث ثورة حقيقية في العمل الإذاعي. طبعًا، لم يحصل ذلك، ونصحني رجل في غاية الحكمة والحنكة بأنّ أفضل وسيلة للنجاح في هذه المهنة هي أن أبدأ في إذاعة محلية صغيرة، أن أصنع اسمًا لنفسي هناك، ثمّ أرتقي تدريجيًّا إلى أسواق أوسع. هكذا إذًا، عملت خلال السنوات العشر الأخيرة في دي موين، سياتل، سانت لويس، وصولًا إلى هنا الآن.»

«دائمًا في العمل الإذاعي؟»، سألت لايسي.

ابتسم لينش. «السؤال الأبدي. لم لا أنطلق في التلفزيون؟ أردت تحقيق مشروعي الخاص، تطوير نمط برنامج معيّن، أن أحظى

بفرصة لأرى بنفسي ما ينجح وما لا ينجح. أعرف أنّني تعلّمت الكثير. اتّصلت بي في الآونة الأخيرة محطة تلفزيونية جيدة في نيويورك، لكن أعتقد أنّ الوقت ما زال مبكرًا للقيام بمثل هذه النقلة.»

«لاري كينغ انتقل من الإذاعة إلى التلفزيون»، قالت لايسي. «ومن المؤكّد أن خطوته كانت ناجحة.»

«حسنًا، سوف أكون لاري كينغ المقبل.»

كانا تقاسما بيتزا صغيرة. نظر لينش إلى القطعة الأخيرة المتبقية منها وهمّ بوضعها في طبق لايسي.

«لا، تناولها أنت»، قالت.

«لا أريد...»

«هيّا، إنك ترمقها بشهيّة.»

انفجرا بالضحك، وبعد بضع دقائق حين غادرا المطعم وعبرا الطريق إلى المسرح، أمسكها بمرفقها.

«انتبهي»، قال. «هناك بقع جليد في كلّ مكان».

لو أنّك تعلم، فكّرت لايسي. حياتي نفسها مجرّد طبقة من الجليد.

كانت هذه ثالث مرّة تشاهد فيها مسرحية «أنا والملك»، بإخراج مختلف. آخر مرة شاهدَتها كانت طالبة في السنة الأولى من دراستها الجامعية. كان العرض في ذلك الوقت يقدم على أحد مسارح برودواي، وكان والدها في الرّكن المخصّص للأوركسترا. لو انك كنت تلعب في المسرحية الليلة، جاك فاريل، خطر لها. مع بدء الافتتاحية، شعرت بالدموع تملأ عينيها، لكنّها كبتتها.

«هل أنت على ما يرام أليس؟»، سألها طوم برفق.

«إنّني بخير.» كيف أحسّ طوم بحزنها؟ خطر لها أنّه ربّما يقرأ الأفكار. آمل ألّا يكون كذلك.

كانت كايت نولز ابنة عمة طوم تلعب دور توبتيم، الفتاة العبدة التي تحاول الفرار من قصر الملك. كانت ممثّلة جيّدة ذات صوت استثنائي. إنّها في عمري تقريبًا، فكّرت لايسي، أو ربّما أصغر سنًّا منّي بقليل. امتدحت أداءها بحماسة لطوم خلال الاستراحة، ثمّ سألته «هل ستذهب معنا إلى الحفل؟»

«لا. ستذهب مع الفرقة وتلاقينا هناك.»

سوف أكون محظوظة إن تمكّنت من التحدّث إليها قليلًا، فكّرت لايسي بقلق.

لم تكن كايت وغيرها من الممثّلين الرئيسيّين في المسرحية «النجوم» الوحيدين في الحفل، بل كان طوم لينش محاطًا باستمرار بالمعجبين. ابتعدت لايسي لإحضار كوب من مياه بيرييه بدل كأس النبيذ، غير أنّها لم تعد إليه على الفور إذ وجدته برفقة فتاة فاتنة من أعضاء الفرقة. بدا واضحًا أنّها معجبة به، وكانت تتكلّم معه بانفعال.

لا ألومها، قالت لايسي لنفسها. فهو وسيم، ذكي ولطيف. هيذر لاندي أيضًا انجذبت إليه على ما يبدو، ولو انها في المرة الثانية التي ذكرته في يومياتها، أوحت بأنّ أحدهما على ارتباط بشخص آخر.

توجهت إلى إحدى النوافذ وهي تحتسي كوب البيرييه. كان الحفل يجري في منزل فخم في وايزاتا، إحدى ضواحي مينيابوليس الراقية، على مسافة عشرين دقيقة من وسط المدينة. المنزل المضاء

بأسلوب بارع، يطلّ على بحيرة مينيتونكا، وكان بوسع لايسي أن ترى من النافذة البحيرة المتجلّدة خلف العشب المكسوّ بالثلج.

تنبّهت إلى أنّ الوسيطة العقارية المحنكة في داخلها تسجّل مواصفات المكان: موقعه الرائع، الأثاث الراقي في المنزل الذي يعود إلى ثمانين عامًا. ثمّة تفاصيل في تصميمه وبنائه لم يعد من الممكن العثور عليها بأي ثمن كان في المنازل الجديدة، قالت لنفسها وهي تلتفت لتأمّل الصالون الفسيح حيث يجتمع حوالى مئة شخص بدون أن تبدو القاعة مكتظّة بهم.

للحظة، غمرها الحنين إلى مكتبها في نيويورك، إلى تسلّم عروض جديدة والسعي للتوفيق بين المشتري والمنزل المعروض للبيع. تذكّرت الإحساس المثير لدى إتمام صفقة. كم أودّ العودة إلى منزلي، فكّرت.

اقترب منها ويندل وودز صاحب المنزل. «الآنسة كارول، أليس كذلك؟»

كان رجلا ستينيًّا مهيبًا يكلّل رأسه شعر رمادي.

سوف يسألني من أين أتحدر، قالت لايسي لنفسها متخوّفة.

تحقّقت مخاوفها بالفعل، فسردت عليه الرواية التي تدربت عليها مطوّلًا عن نشأتها في هارتفورد، آملة أن تبدو مقنعة. وختمت «والآن استقريت وصرت جاهزة للشروع في البحث عن عمل.»

«أيّ نوع من العمل؟» سألها.

«الواقع أنّني لا أرغب في معاودة العمل في عيادة طبيب. لطالما وددت أن أحاول الانطلاق في المجال العقاري.»

«تعلمين بالطبع أنّ مداخيل هذا العمل تقوم بشكل أساسي على العمولة. كما أنّه يترتّب عليك درس المنطقة.»

«أعلم ذلك سيد وودز»، أجابت لايسي. ثمّ ابتسمت وأضافت «إنّني أتعلّم بسرعة».

سوف يضعني على اتصال بشخص ما، إنّني واثقة من ذلك، فكّرت.

أخرج وودز قلمًا وبطاقة عمله وقال «أعطني رقم هاتفك، سوف أنقله إلى إحدى زبوناتي في المصرف، ميليسنت رويس. لديها وكالة صغيرة في ايدينا. تركتها مساعدتها للتوّ في عطلة أمومة. ربّما يمكنكما الالتقاء».

سارعت لايسي إلى إعطائه رقمها بدون أدنى تردّد. إنّني أحظى بتوصية من رئيس مصرف ويفترض أنّني حديثة في المجال العقاري. إن كانت ميليسنت رويس مهتمة بلقائي، فقد لا تكترث لطلب إفادات عمل.

حين استدار وودز للتحدث إلى ضيف آخر، ألقت لايسي نظرة من حولها. رأت كايت نولز وحيدة لبرهة، فتوجّهت نحوها مسرعة. «كنت رائعة»، قالت. «شاهدت مسرحية «أنا والملك» لثلاثة مخرجين، وأداؤك لتوبتيم كان عظيمًا».

«أرى أنكما تعرّفتما إلى بعضكما.»

انضمّ إليهما طوم لينش. «آسف أليس»، قال معتذرًا. «صادفت أحدًا ما. لم أشأ أن أتركك وحيدة طوال هذا الوقت.»

«لا تقلق، كلّ شيء على ما يرام.» لا يمكن أن تخمّن إلى أي مدى سارت الأمور على ما يرام، قالت لنفسها.

«طوم، كنت أودّ أن أدردش معك»، قالت قريبته. «سئمت هذا الحفل. تعالا نرحل ونتناول كوب قهوة في مكان ما.» ابتسمت كايت

نولز للايسي وأضافت «صديقتك كانت تقول لي للتو كم كان أدائي جيّدًا. أودّ سماع المزيد».

نظرت لايسي إلى ساعتها. كانت الساعة الواحدة والنصف. لم تكن ترغب في أن تستمرّ السهرة طوال الليل، فعرضت عليهما تناول القهوة في شقّتها. في السيّارة، أصرّت على كايت أن تجلس في المقعد الأمّامي مع طوم. كانت واثقة من أنّهما لن يمكثا طويلًا في الشقّة، وبذلك سيكون بوسعهما الانتهاء من الثرثرات العائلية في طريق العودة إلى مينيابوليس.

كيف يمكنني ذكر اسم هيذر لاندي بدون أن يبدو في غير محلّه؟ تساءلت، متذكّرة أن كايت في المدينة لأسبوع فقط.

«أعددت هذه الحلوى هذا الصباح»، قالت لايسي وهي تضع على طاولة الصالون طبقًا من الكعك المحلّى. «جرّباها على مسؤوليتكما الخاصة. فأنا لم أحضر أيّ حلوى منذ أيّام المدرسة الثانوية.»

سعت وهي تسكب القهوة لتوجيه الحديث بشكل يمكنها من طرح اسم هيذر. كتبت هيذر في يوميّاتها أنّها تعرفت إلى طوم لينش بعد عرض مسرحي. لكن إن قلت إنّني شاهدت العرض، فلا بد أنّني شاهدت كايت فيه. قالت «ذهبت إلى نيويورك قبل حوالى سنة ونصف، ورأيت إعادة لمسرحية «الصديق». قرأت في النبذة عنك في البرنامج الليلة أنّك شاركت في العرض، لكنّني لو رأيتك فيه لكنت تذكّرتك بالتأكيد.»

«لا بدّ أنّك شاهدت العرض خلال الأسبوع الذي كنت فيه مصابة بالإنفلونزا»، قالت كايت. «تلك كانت العروض الوحيدة التي غبت عنها.»

تابعت لايسي جاهدة لاتخاذ نبرة عفوية. «أذكر ممثلة شابة في الدور الرئيسي. كان صوتها جميلًا جدًّا. أحاول أن أتذكّر اسمها.»

«هيذر لاندي»، قالت كايت نولز باندفاع ملتفتة إلى قريبها. «لا بدّ أنّك تذكرها طوم. فهي أغرمت بك. قتلت هيذر في حادث سيّارة»، روت وهي تهزّ رأسها. «كانت تلك خسارة كبيرة.»

«ماذا حدث؟» سألت لايسي.

«آه، كانت عائدة إلى منزلها من محطة تزلج في ستوي، فخرجت سيّارتها عن الطريق. المسكينة والدتها لم تتقبل الأمر. جاءت إلى المسرح وتكلّمت إلينا جميعًا بحثًا عن سبب ما خلف الحادث. قالت إن أمرًا ما كان يشغل بال هيذر قبل قليل من عطلة نهاية الأسبوع تلك وأرادت أن تعرف إن كان أيّ منّا لديه أدنى فكرة بهذا الشأن.»

سألها طوم: «هل كنتم على علم بشيء؟»

هزّت كايت نولز كتفيها. «قلت لها إنّني لاحظت أنّ هيذر كانت صامتة بشكل رهيب خلال الأسبوع الأخير قبل وفاتها، ووافقتها الرأي بأنّ أمرًا ما كان يقلقها فعلًا. خمّنت أنّها ربّما كانت شاردة الذهن حين انزلقت سيّارتها.»

لن أستخلص شيئًا منها، قالت لايسي لنفسها. كايت لا تعرف أكثر مني.

وضعت كايت نولز فنجان القهوة على الطاولة. «كانت جلسة لطيفة جدًّا أليس، لكنّ الوقت متأخّر جدًّا، ويجدر بي أن أغادر.» نهضت ثمّ التفتت إلى لايسي. «صدفة غريبة أن تطرحي اسم هيذر لاندي. كنت أفكّر فيها مؤخّرًا. وردتني للتو رسالة كتبتها والدتها لي منذ فترة تطلب مني أن أحاول مرة جديدة أن أتذكّر أي شيء قد يبرّر

سلوك هيذر في تلك العطلة. أحيلت الرسالة إلى مدينتين قبل أن تصلني إلى هنا.» توقّفت وهزّت رأسها. «ثمّة تفصيل قد أنقله لها في رسالة، ولو أنّه غير مهم على الأرجح. ثمّة رجل صادقته في فترة معينة بيل ميريل، أنت التقيته طوم كان يعرف هيذر أيضًا. ذُكر اسمها أمامه وروى لي أنّه رآها بعد ظهر اليوم الذي سبق مقتلها في بار النزل. كان بيل ذهب إلى هناك برفقة شلّة من الأصدقاء بينهم معتوه يدعى ريك باركر يعمل في مجال العقارات في نيويورك. يبدو أنّ ريك باركر دبّر مقلبًا ما لهيذر في الفترة الأولى من انتقالها إلى نيويورك. قال بيل إنّ هيذر كادت تهرع لمغادرة الفندق ما إن لمحت باركر. لا بدّ أنّ هذا التفصيل غير مهمّ، لكنّ والدة هيذر تبدو متلهّفة إلى أيّ معلومات عن عطلة نهاية الأسبوع تلك، وأعتقد أنّها تودّ معرفة ذلك. أعتقد أنّني سأكتب لها رسالة غدًا بدون إبطاء.»

الصخب الذي أحدثه فنجان لايسي وهو يتحطّم أرضًا أيقظها من حالة الذهول التي سيطرت عليها حين سمعت كايت تذكر رسالة إيزابيل ثمّ تورد اسم ريك باركر. سارعت إلى إخفاء اضطرابها بالانهماك في تنظيف الشظايا رافضة مساعدة كايت وطوم، وودّعتهما فيما توجّها إلى الباب.

حين أصبحت لوحدها في المطبخ، أسندت لايسي ظهرها إلى الجدار مهدّئة من روعها، مقاومة الرغبة في أن تندفع خلف كايت وتصيح لها أنّ لا حاجة لتجهد نفسها من أجل توجيه رسالة إلى إيزابيل وارينغ، فقد فات الوقت ولن تفيدها الآن.

23

بعد حوالى أربعة أشهر من التحقيقات، لم يتوصّل المدّعي العام الفدرالي غاري بولدوين إلى أيّ معلومات حول مكان وجود ساندي سافارانو أكثر ممّا كان يعرفه عنه حين كان لا يزال يعتقد أنّه مدفون في مقبرة وودلون.

فريقه راجع يوميّات هيذر لاندي بحذافيرها وتقصّى كلّ من ذكر فيها. إيزابيل وارينغ قامت قبلهم بالعملية ذاتها بحثًا عن أدلة، فكر بولدوين وهو ينكبّ مرة جديدة على درس وجه ساندي سافارانو كما رسمه رسام الشرطة انطلاقًا من وصف لايسي فاريل له.

أرفق الرسّام الصورة بملاحظة: «يبدو أنّ الشاهدة لا تحسن رصد التفاصيل من النوع الذي يسهّل التعرف إلى المشتبه به».

حاولوا استجواب البواب في المبنى الذي وقعت فيه الجريمة، لكنّه لم يكن يذكر أي شيء عن القاتل. قال إن العديد من الأشخاص يدخلون إلى المبنى ويخرجون منه، وإنه على وشك التقاعد في مطلق الأحوال.

هذا لا يترك لي سوى لايسي فاريل للتعرّف شخصيًّا إلى سافارانو.

استخلص بولدوين بمرارة. وإن حصل لها أي مكروه، انتهت القضية. بالطبع، لدينا بصمته على باب شقّة فاريل بعدما تعرّضت الشقّة للسرقة، لكن لا يمكننا أن نثبت أنّه دخل الشقّة. فاريل هي الوحيدة التي بوسعها ربطه بجريمة قتل إيزابيل وارينغ. بدونها ينتهي أمرنا، قال لنفسه.

المعلومات الوحيدة المفيدة التي تمكّن عملاؤه السرّيون من جمعها عن القاتل هي أنّ خوفه من الأماكن المغلقة اشتدّ واتّخذ منحى مرضيًّا على ما يبدو في الفترة التي سبقت مسرحية وفاته. حتّى أنّه قيل لأحد رجال الشرطة «كانت تراود ساندي كوابيس يرى فيها أبواب زنزانات تصلصل وهي تنغلق خلفه».

ما الذي أخرجه إذًا من تقاعده؟ تساءل بولدوين. مبالغ مالية طائلة؟ خدمة وجب عليه ردّها؟ او ربّما الاثنتان معًا. يضاف إليهما بالطبع إثارة المطاردة. سافارانو كان سفّاحًا مفترسًا. قد يكون السأم، بكلّ بساطة هو أحد دوافع الجريمة. ربّما وجد سافارانو التقاعد أكثر رتابة من أن يرضيه.

كان بولدوين يعرف ملفّ سافارانو الجنائي عن ظهر قلب: اثنان وأربعون عامًا من العمر، مشتبه به في أكثر من عشر جرائم قتل، غير أنّه نجح في تفادي دخول السجن منذ الإصلاحية حين كان فتى! رجل حاذق، قاتل بالفطرة.

لو كنت سافارانو، فكّر بولدوين، لكان هدفي الوحيد في الحياة حاليًّا العثور على لايسي فاريل والتثبّت من أنّها لن تحظى بأدنى فرصة للتعرّف إليّ.

هزّ رأسه وظهرت ملامح القلق على جبينه المتغضن. لم يكن يجهل أن برنامج حماية الشهود ليس بمنأى عن أي خطأ قد يحصل.

فالناس يصبحون مع الوقت مهملين. حين يتّصلون بعائلاتهم، يقولون في نهاية الأمر شيئًا ما على الهاتف يفضح مخبأهم، أو يبدأون بكتابة رسائل. تذكّر مجرمًا انضمّ إلى البرنامج بعدما تعاون مع الحكومة. ذلك المجرم أظهر عن حماقة إلى حدّ إرسال بطاقة معايدة في عيد ميلاد صديقة سابقة له. عُثر عليه بعد أسبوع مقتولًا بالرصاص.

لم يكن غاري بولدوين مطمئنًّا إلى وضع لايسي فاريل. فأطباعها تشير إلى شخص لا يحتمل البقاء وحيدًا لفترة طويلة من الوقت. كما أنّها تبدي ثقة فائقة بالآخرين، ما قد يوقعها في مشاكل خطيرة. هزّ رأسه. حسنًا، لم يكن هناك ما يسعه القيام به سوى أن ينصحها عبر القنوات المعتمدة بالاحتراس وعدم التراخي لحظة.

24

توجّهت منى فاريل إلى مانهاتن في موعدها الاعتيادي كلّ يوم سبت لتناول العشاء مع أليكس كاربين. كانت تتطلّع دائمًا لقضاء الأمسية برفقته، ولو انه كان ينهض باستمرار عن الطاولة للترحيب بزبائنه المعتادين والمشاهير الذين يقصدون مطعمه بين الحين والآخر.

كانت تطمئنه باستمرار «أقضي وقتًا ممتعًا، لا مانع لديّ إطلاقًا. لا تنس أنّني كنت متزوّجة من موسيقي. لا يمكن أن أحصي عروض برودواي التي جلست أشاهدها وحيدة فيما جاك في الرّكن المخصَّص للأوركسترا!»

كان جاك ليحب أليكس، فكّرت منى وهي تنعطف بسيّارتها جنوبًا بعد جسر جورج واشنطن لتلج جادة وست سايد. كان جاك سريع البديهة وطريفًا للغاية، وكان أنيس المعشر. أمّا أليكس، فهو أكثر سكونًا، وهذه صفة ترتاح إليها فيه.

ابتسمت منى وهي تتذكّر الزهور التي أرسلها لها أليكس في وقت سابق من النهار. كتب على البطاقة بكلّ بساطة «أرجو أن تضيء نهارك. مع مودّتي. أليكس».

هو يعلم أنّ اتّصال لايسي الأسبوعي يحطّم قلبها. ويدرك كم أنّ هذه التجربة برمّتها تؤلمها، وباقة الزهور كانت تعبّر عن ذلك.

كانت أسرّت إليه بأنّ لايسي كشفت لها مكان إقامتها. «لكنّني لم أبُح بذلك حتّى لكيت. سوف تُجرح مشاعرها إن ظنّت أنّني لا أثق بها.»

أمر غريب، فكّرت منى فيما السيارات تتقدّم ببطء شديد بسبب زحمة خانقة على الخطّ الأيمن. لطالما كانت الحياة يسيرة بالنسبة لكيت وليس بالنسبة للايسي. التقت كيت جاي حين كانت في جامعة بوسطن وهو يعدّ أطروحة دكتوراه في جامعة تافتس. أغرما ببعضهما وتزوّجا، ولديهما اليوم ثلاثة أطفال رائعين ومنزل جميل. قد يكون جاي متكلّفًا ومتعجرفًا في بعض الأحيان، لكنّه بالتأكيد زوج محب ووالد حنون. فاجأ كيت قبل بضعة أيام بعقد من الذهب باهظ الثمن على شكل ورقة شجر كان أعجبها في واجهة محل غرومز للمجوهرات في ريدجوود.

قالت لها كيت إنّ أشغال جاي تحسّنت فجأة بشكل ملحوظ. هذا أمر مفرح، فكّرت منى. فهي قلقة على وضعهما منذ فترة من الوقت. بدا جليًا خلال الخريف أنّه كان مهمومًا.

فكّرت منى أنّ لايسي تستحقّ فعلًا أن تكون سعيدة. حان الوقت لها كي تلتقي الرجل المناسب وتتزوج وتؤسس عائلة، وأنا واثقة من أنّها باتت جاهزة لهذه الخطوة. عوضًا عن ذلك، تعيش وحيدة في مدينة لا تعرفها، ملزمة بالبقاء هناك والادّعاء بأنّها شخص آخر لأنّ حياتها في خطر.

وصلت في تمام السابعة والنصف إلى موقف السيارات غرب الشارع السادس والأربعين. لم يكن أليكس يتوقّع وصولها إلى المطعم قبل الثامنة، ما يعني أنّ لديها الوقت الكافي للقيام بأمر خطر لها خلال النهار.

كان هناك كشك للصحف في ساحة تايمز سكوير يبيع صحفًا ومجلات من مدن أخرى. سوف ترى إن كان لديه أيّ صحف من مينيابوليس. سوف تشعر أنّها أقرب إلى لايسي إن تعرفت إلى المدينة قليلًا، وسوف يعزّيها أن تعلم أن ابنتها ربّما تقرأ الصحيفة ذاتها.

كانت الليلة باردة لكنّ الجوّ صاف. مشت إلى ساحة تايمز سكوير على بعد خمسة مفارق. تلك النزهة الليلية أنعشتها. تذكرت كم كانت تأتي إلى هذا المكان مع جاك. كنا نلتقي أصدقاء لنا بعد الاستعراض. لم تكن كيت يومًا تكترث للمسرح مثل لايسي. لايسي مولعة ببرودواي، مثل جاك تمامًا. لا بدّ أنّها تفتقد كلّ ذلك بشكل فظيع!

وجدت في كشك الصحف عددًا من مينيابوليس ستار تريبيون. قد تكون لايسي قرأت هذه الصحيفة في الصباح. تهيّأ لها أنّ المسافة التي تفصلها عن ابنتها تتقلّص بمجرد أن تلمس صفحات الجريدة.

«هل توديّن وضعها في كيس سيدتي؟»

«نعم، أرجوك.» أخرجت منى محفظتها من حقيبة يدها فيما كان البائع يطوي الصحيفة ويضعها في كيس بلاستيكي.

حين وصلت منى إلى المطعم، وجدت صفّ انتظار أمام حجرة الملابس. لمحت أليكس جالسًا في انتظارها إلى طاولتهما، فأسرعت نحوه. «آسفة، أعتقد أنّني تأخرت.»

نهض وقبّلها على وجنتها. «لم تتأخّري، لكنّ وجهك متجلّد. هل جئت مشيًا من نيو جيرسي؟»

«لا، بل وصلت باكرًا وقرّرت أن أشتري صحيفة.»

كان نادلهما الاعتيادي كارلوس يحوم حول طاولتهما. «دعيني آخذ منك معطفك سيدة فاريل. هل تودين إيداع ما تحملينه في حجرة الملابس؟»

«لم لا تحتفظين به؟» اقترح أليكس. أخذ الكيس من يدها ووضعه على الكرسي الشاغر إلى طاولتهما.

قضت سهرة ممتعة كالعادة. وحين أحضرا لهما فنجاني إكسبرسو في نهاية العشاء، كان أليكس كاربين يمسك بيديها.

«الحركة هادئة هذه الليلة»، قالت منى ممازحة. «لم تغادر الطاولة سوى حوالى عشر مرّات».

«ظننتك اشتريت الصحيفة لهذا السبب.»

«لا، إطلاقًا، ولو أنني ألقيت نظرة إلى العناوين.» حملت حقيبة يدها. «والآن دوري أنا في النهوض. سوف أعود حالًا.»

رافقها أليكس إلى سيّارتها في الساعة الحادية عشرة والنصف. في الواحدة، أغلق المطعم أبوابه وعاد الموظّفون إلى منازلهم.

قبل عشر دقائق من منتصف الليل، جرى اتصال هاتفي. كانت الرسالة بسيطة. «قل لساندي إنّها في مينيابوليس على ما يبدو.»

25

ما الذي حصل بين هيذر لاندي وريك باركر؟

ذهلت لايسي حين اكتشفت أنّهما كانا يعرفان بعضهما البعض. لم تستطع أن تغفو في تلك الليلة بعدما غادر طوم لينش وكايت نولز. ظلت جالسة ساعات تحاول فكّ خيوط المسألة. قضت عطلة نهاية الأسبوع تلك تسترجع بدون توقف شريط وقائع الليلة التي قتلت فيها إيزابيل وارينغ. ما الذي كان يجول في بال ريك وهو جالس هناك يتفرّج عليها تخضع للاستجواب ويستمع إلى الشرطة تسألها عن مدى معرفتها بإيزابيل، وإن كانت التقت هيذر. لماذا لم يتفوّه بكلمة؟

بحسب ما قيل لكايت، فإن هيذر بدت في غاية الاضطراب في آخر يوم من حياتها حين لمحت ريك في منتجع التزلج في ستوي.

أشارت كايت إلى ريك بعبارة «معتوه يعمل في مجال العقارات في نيويورك»، وقالت إنّه «دبّر مقلبًا لهيذر في الفترة الأولى من انتقالها إلى نيويورك».

تذكّرت لايسي أنّ هيذر ألمحت في يوميّاتها إلى حادث كريه حصل لها حين كانت تبحث عن شقّة في غرب نيويورك. هل كانت لريك علاقة بذلك؟ اسئلة كثيرة كانت تتضارب في ذهنها.

قبل انتقاله إلى جادة ماديسون، قضى ريك خمس سنوات في مكتب باركر وباركر غرب نيويورك، ولم يتركه إلّا قبل حوالى ثلاث سنوات.

هذا يعني، وفق حسابات لايسي، أنّه كان يعمل في مكتب غرب نيويورك حين وصلت هيذر لاندي إلى المدينة وبدأت تبحث عن شقّة. هل قصدت مكتب باركر وباركر والتقت ريك؟ وفي هذه الحالة، ما الذي حصل بينهما؟

هزّت لايسي رأسها غاضبة. هل يعقل أن يكون ريك ضالعًا في كلّ هذه البلبلة؟ وهل أنا محتجزة هنا بسببه؟

ريك هو الذي أعطاني اسم كورتيس كالدويل باعتباره مهتمًّا بشراء شقّة إيزابيل. هو السبب الذي جعلني أصطحب كالدويل إلى هناك. إن كان ريك يعرف كالدويل بأيّ شكل من الأشكال سابقًا، فقد يكون بوسع الشرطة ربّما اقتفاء أثر كالدويل من خلال ريك. وإذا اعتقلوا كالدويل، سيصبح في وسعي العودة إلى منزلي.

نهضت لايسي وراحت تذرع الغرفة بانفعال. قد يكون كلّ ذلك جزءًا ممّا استنتجته إيزابيل من اليوميّات. عليها إبلاغ المدّعي العام الفدرالي غاري بولدوين بهذه المعلومات.

شعرت برغبة جامحة في رفع سماعة الهاتف والاتصال به، غير أنّ أيّ اتصال مباشر محظور عليها تمامًا. ستترك رسالة لجورج سفنسون تطلب منه فيها الاتصال بها، وبعدها إمّا أن تبعث برسالة خطّية إلى بولدوين أو تتحدّث إليه عبر القنوات الآمنة.

يجب أن أجد وسيلة للتحدّث إلى كايت مرة أخرى، فكّرت لايسي. يجب أن أحصل على المزيد من المعلومات عن بيل ميريل،

صديقها الذي روى لها ردّ فعل هيذر على وجود ريك باركر، وأن أعرف أين يقيم. سيودّ بولدوين التحدّث إليه، إنّني متأكّدة من ذلك. يمكنه أن يثبت أن ريك باركر كان في ستوي قبل ساعات قليلة من مقتل هيذر.

ذكرت كايت أن الفرقة المسرحية تنزل في فندق راديسون بلازا لمدة أسبوع. نظرت لايسي إلى ساعتها. كانت تشير إلى العاشرة والنصف. حتّى لو كانت كايت تستغرق في النوم مثل كلّ العاملين في مجال الاستعراض، فلا بد أن تكون قد استيقظت الآن.

أجابها صوت نعس بعض الشيء في الطرف الآخر من الخطّ، لكن ما إن أدركت كايت أنّها هي المتّصلة، حتّى استيقظت تمامًا، وبدت مسرورة حين اقترحت عليها لايسي تناول الغداء معًا في اليوم التالي. اقترحت لايسي «ربّما علينا أن نحاول إقناع طوم بالانضمام إلينا، كايت. تعلمين كم أنّه لبق ولطيف. سيصطحبنا إلى مطعم جيد، وعلاوة على ذلك، سوف يدفع الفاتورة.» لكنّها أضافت ضاحكة «دعك من ذلك. تذكرت للتوّ أن برنامجه يبدأ في تمام الظهر.»

هذا أفضل، فكّرت لايسي. فلا شك أن طوم سيلاحظ أنّها تسعى لانتزاع معلومات من كايت. لكنّه يبقى لطيفًا حقًا، قالت لنفسها متذكّرة كم بدا متأسفًا حين اعتقد أنّه لا يعيرها ما يكفي من الاهتمام خلال السهرة.

اتّفقت مع كايت على أن تلتقيا في اليوم التالي في فندق راديسون عند الثانية عشرة والنصف. غمرها شعور مفاجئ بالأمل حين أغلقت الخطّ. بدا لها وكأنّها ترى أشعة الشمس لأوّل مرّة بعد عاصفة طويلة رهيبة. ذهبت إلى النافذة، أزاحت الستائر ونظرت إلى الخارج.

كان يومًا شتويًا رائعًا بمعايير الغرب الأوسط الأميركي. درجة الحرارة في الخارج كانت متدنّية تحت الصفر، لكنّ الشمس كانت تشعّ بحرارة في السماء الصافية. لم تكن أيّ رياح تهبّ ولم تر لايسي أيّ أثر للثلج على الرصيف.

لم تكن خرجت مرّة حتّى الآن للهرولة من شدّة توتّرها. كانت تخشى أن تنظر خلفها وترى كالدويل يلاحقها، محدّقًا بها بعينَيه الباهتتَين الفولاذيّتين. غير أنّ ذلك الاحتمال بتحقيق اختراق ما في قضيّتها جعلها تقرّر فجأة أن تحاول على الأقلّ استعادة حياة طبيعية إلى حدّ ما.

كانت قد أحضرت معها في حقائبها ملابس الهرولة الخاصة بطقس الشتاء: بدلة تدريب دافئة، سترة، قفّازان، قلنسوة ووشاح. ارتدتها على وجه السرعة واتجهت إلى الباب. وفي اللحظة التي أدارت فيها المقبض، رنّ جرس الهاتف. كان ردّ فعلها الأوّل أن تتركه يرن وتخرج، لكنّها قرّرت في نهاية الأمر الرد على الاتصال.

«آنسة كارول، لا تعرفينني»، قال صوت بنبرة حازمة. «اسمي ميليسنت رويس. وردني أنّك تبحثين عن عمل في المجال العقاري. كلمني ويندل وودز بشأنك هذا الصباح».

«صحيح، إنّني أبحث عن عمل، أو بالأحرى إنّني على وشك البدء بالبحث»، ردّت لايسي آملة خيرًا.

«لقد أثرت انطباعًا ممتازًا لدى ويندل وأوصاني أن ألتقيك. مكتبي في إيدينا.»

كانت إيدينا على مسافة خمس عشرة دقيقة. «أعرف المكان.»

«ممتاز. دوّني العنوان. هل أنت متفرّغة بعد ظهر اليوم؟»

حين خرجت لايسي من الشقّة وبدأت بالهرولة في الشارع، كان يغمرها إحساس بأنّ الحظ ربّما بدأ يبتسم لها من جديد. إن وظّفتها ميليسنت رويس، فهذا يعني أنّه سيكون لديها ما تشغل به أيّامها إلى حين يصبح في وسعها العودة إلى ديارها.

مهما يكن، فكّرت لايسي بسخرية، فالعمل العقاري كما قالت لي السيدة رويس يمكن أن يكون مثيرًا للغاية. لو تعرف فقط إلى أيّ حدّ!

كان برنامج طوم لينش يستمرّ أربع ساعات ويتضمّن مزيجًا من الأخبار والمقابلات والتعليقات الفكاهية التي لا يتوانى فيها عن المساس بالمسلّمات. كان البرنامج يُبثّ كلّ أيام الأسبوع من الظهر وحتّى الساعة الرابعة، وضيوفه يأتون من مروحة واسعة من الآفاق والأوساط وبينهم شخصيّات سياسية وكتّاب ومشاهير في زيارة إلى المدينة، مرورًا بشخصيات محلّية معروفة.

كان يقضي القسم الأكبر من الصباح قبل البرنامج في مكتبه في المحطّة، يتصفّح الإنترنت بحثًا عن أخبار مثيرة للاهتمام أو يطالع الصحف والمجلات من جميع أنحاء البلاد لجمع مواضيع خارجة عن المألوف يمكن طرحها للنقاش.

لم تفارق أليس كارول ذهنه طوال عطلة نهاية الأسبوع التي تلت العرض الأوّل لمسرحية «أنا والملك»، وفي صباح يوم الاثنين التالي لم يكن مرتاحًا للأمر. كان على وشك الاتصال بها أكثر من مرة، لكنّه في كلّ مرة كان يغلق الخطّ قبل أن يبدأ الهاتف بالرنين.

كان يقول لنفسه في كلّ مرة إنّه سيلتقيها بالتأكيد في المركز الرياضي خلال الأسبوع. يمكنه عندها أن يدعوها بشكل عفوي إلى

العشاء أو إلى السينما. إن اتّصل بها واتفقا على موعد، فقد يتّخذ الأمر مغزى أكبر من حجمه، وسيجد نفسه في موقف حرج إن لم يقدم مجدّدًا على دعوتها للخروج معه أو في حال رفضت بكلّ بساطة، وظلّ بعدها يلتقيها في المركز الرياضي.

كان يعلم أن ارتباكه وتردّده في هذا الشأن موضع مزاح متواصل بين أصدقائه. قال له أحدهم مؤخّرًا «طوم، إنك رجل رائع، لكن إذا امتنعت عن معاودة الإتصال بفتاة ما، فحياتها لن تتوقّف، صدّقني.»

إذ تذكّر طوم ذلك الحديث، اعترف في قرارة نفسه بأنّه إن تواعد بضع مرّات مع أليس كارول ثمّ توقف عن الاتصال بها، فمن الواضح أنّها ستتخطّى الأمر.

لديها نوع من التحفّظ الهادئ، لكأنها تكبت أمرًا ما، فكّر وهو يرمق ساعة الحائط، مدركًا فجأة أنّ ساعة واحدة تفصله عن بدء برنامجه. فهي لم تتكلّم كثيرًا عن نفسها، وثمة فيها ما يوحي له بأنّها لا ترغب في أن تُطرح عليها أسئلة. في ما بعد الظهيرة الأولى تلك، حين تناولا القهوة معًا في المركز الرياضي، بدت منزعجة حين مازحها بشأن انتقالها إلى مينيابوليس. ثمّ في مساء يوم الجمعة، حين بدأ عزف افتتاحيّة «أنا والملك»، كانت بالكاد تتمالك نفسها عن البكاء.

بعض الفتيات ينفجرن غضبًا ويدخلن في شجار إن لم يخصّص لهن الرجل الذي تخرجن معه كامل اهتمامه خلال سهرة ما. أمّا أليس، فلم تر مانعًا في أن يتركها وحيدة حين كان مدعوون آخرون يستوقفونه للتحدّث إليه.

كانت ترتدي ملابس أنيقة خلال العرض الأوّل للمسرحية، لا حاجة لأن يكون المرء خبيرًا ليلاحظ ذلك.

سمعها تقول لكايت إنّها حضرت «أنا والملك» ثلاث مرات. وبدت واسعة الاطلاع في مجال المسرح حين تحدّثت مع كايت عن إعادة «الصديق».

ملابس غالية، رحلات من هارتفورد إلى نيويورك لمشاهدة مسرحيات. هذه نفقات لا يؤمّنها أجر سكرتيرة في عيادة طبيب.

رفع طوم كتفيه ومدّ يده لتناول الهاتف. لا فائدة في التلطّي خلف الأعـذار. فكل هـذه التساؤلات إنما تشير إلى اهتمامه بها، والحقيقة أنّها لم تكن تفارق فكره. سيتّصل بها ويسألها إن كانت تود تناول العشاء معه. كان يرغب في رؤيتها. رفع السمّاعة، طلب الرقم وانتظر. بعدما رن الهاتف أربع مرات، ردّ المجيب الآلي. سمع صوتها المنخفض الهادئ يقول «أنتم على اتصال بالرقم 555-1247. أرجو منكم أن تتركوا رسالة وسأتصل بكم لاحقًا».

تردّد طوم، لكنّه قرر الاتصال بها لاحقًا وأقفل الخطّ. شعر بخيبة أمل كبيرة لعدم تمكّنه من التكلّم معها، ما زاد من اضطرابه.

26

في صباح الإثنين، استقلّ ساندي سافارانو طائرة خطوط نورثوست في الرحلة 1705 من مطار لاغوارديا في نيويورك، متوجّهًا إلى مطار مينيابوليس سانت بول الدولي في مينيابوليس.

كان يسافر في قسم الدرجة الأولى، كما في الرحلة من كوستاريكا، حيث يقيم الآن. جيرانه هناك يعرفونه باسم تشارلز أوستن، رجل الأعمال الأميركي الناجح الذي باع شركته قبل عامين في سنّ الأربعين واختار هذا البلد الاستوائي ليتقاعد وينعم برغد العيش فيه.

أقلّته زوجته البالغة من العمر أربعة وعشرين عامًا إلى مطار كوستاريكا وانتزعت منه وعدًا بعدم التغيّب لوقت طويل. قالت له «يفترض بك أن تكون متقاعدًا الآن»، وهي تقبّله عابسة بدلال.

«هذا لا يعني أن أرفض أموالًا يمكنني كسبها بسهولة.»

ذلك كان جوابه لها بشأن المهام العديدة الأخرى التي نفذها منذ مسرحية وفاته قبل سنتين.

«إنّه يوم مثالي للسفر.»

كان، ذلك صوت امرأة شابة في أواخر العشرينات من العمر جالسة في المقعد الملاصق له في الطائرة. فيها شيء ما يذكّره بلايسي فاريل. لكن قد يكون ذلك لأنّ لايسي فاريل حاضرة في ذهنه باستمرار. فهي السبب خلف سفره إلى مينيابوليس. الشخص الوحيد في العالم الذي يمكنه ربطي بجريمة، فكّر وهو يتذكّرها. لا تستحقّ البقاء على قيد الحياة. ولن تبقى على قيد الحياة طويلًا.

«أجل، إنّكِ على حق»، أجاب باقتضاب.

لمح بريق الاهتمام في عينَي المرأة الشابة ووجد الأمر طريفًا. الواقع أنّ النساء يجدنه جذّابًا. الدكتور إيفان ينكل، المهاجر الروسي الذي ابتكر له هذا الوجه الجديد قبل عامَين، كان بارعًا، لا شك في ذلك. أنفه بعد العملية بات أكثر نحافة، وقد أزيلت منه الحدبة التي تسبّب بها كسر خلال الفترة التي قضاها في الإصلاحية. ذقنه الغليظة باتت أكثر رقة، وأذناه أصغر حجمًا وملتصقتين برأسه. حاجباه الكثّان باتا أشبه بقوسين نحيفين يفصل بينهما فراغ أكبر. اصلح ينكل أيضًا جفنيه الذاويين وأزال الجيوب تحت عينيه.

شعره الكستنائيّ الداكن بات الآن أشقر بلون القمح. واستكمل تحوّله بعدسات لاصقة زرقاء فاتحة.

«رائع حقًّا، ساندي»، قال ينكل مفاخرًا وهو يزيل آخر ضمادة عن وجهه. «لن يكون بوسع أحد التعرّف إليك.»

«لن أدع الفرصة لأيّ كان على الإطلاق.»

ما زال ساندي يشعر برعشة الإثارة كلّما تذكر الذهول في عينَي ينكل عند قتله.

لا أنوي معاودة التجربة ذاتها مرة جديدة، فكّر ساندي فيما تناول مجلة وباشر تصفحها، مبتسمًا ببرودة لجارته قبل أن يتجاهلها كليًّا.

فيما تظاهر بالقراءة، راح يراجع خطّته. فهو حجز غرفة لأسبوعين في فندق راديسون بلازا باسم جيمس بورغيس. إن لم أعثر على فاريل خلال هذه الفترة، سأنتقل إلى فندق آخر. لا حاجة لإثارة الفضول بالمكوث مطوّلًا.

جمع بعض المعلومات التي تعطيه مؤشّرات إلى الأماكن التي قد يجدها فيها. فهي كانت تتردد بانتظام إلى ناد رياضي في نيويورك، ومن المنطقي بالتالي الافتراض بأنّها ستقوم بالأمر نفسه في مينيابوليس. سيجول على المراكز الرياضية هناك. فالناس لا يغيرون عاداتهم.

كانت أيضًا مولعة بالمسرح. حسنًا، مسرح «أورفيوم» في مينيابوليس يستضيف عروضًا كلّ أسبوع تقريبًا، كما يمكن البحث عنها في مسرح «تايرون غاثري».

لم تعمل من قبل سوى في المجال العقاري. وإن كانت وجدت وظيفة الآن، فلا بد أن تكون في وكالة بيع عقارات.

سبق لسافارانو أن عثر على شاهدين آخرين كانا في برنامج حماية الشهود وقام بتصفيتهما. هو يعلم أنّ الحكومة لا تصدر مراجع وإفادات مزوّرة. معظم الذين ينضمون إلى البرنامج يجدون وظائف في شركات صغيرة بعدما يتعرّفون على شخص يعمل فيها، فيتم توظيفهم بناء على الثقة.

أعلنت المضيفة للركّاب: «نبدأ الهبوط إلى توين سيتيز... نرجو منكم تقويم مقاعدكم... وربط أحزمة الأمان...»

بدأ ساندي سافارانو يتطلع إلى التعبير الذي سيراه في عيني لايسي فاريل حين يطلق النار عليها.

27

كانت وكالة «رويس ريلتي» للعقارات تقع عند تقاطع الشارع الخمسين وجادة فرانس جنوب إيدينا.

درست لايسي الخارطة قبل الخروج من شقّتها، محاولة تبين أفضل طريق للوصول في سيّارتها إلى هناك. والدتها استغربت مرة كيف أنّ لايسي تمتلك حسًّا عمليًّا ممتازًا، وفي الوقت نفسه حسًّا بالتوجّه رديئًا للغاية. فكّرت لايسي وهي تهز رأسها أنّها محققة بالتأكيد بالنسبة لحسّ التوجّه لديها. كان الأمر في غاية السهولة في نيويورك، إذ كانت تنادي سيّارة أجرة تقلها مع الزبون الذي ترافقه إلى حيث يشاءان. أمّا في مدينة متمددة مثل مينيابوليس بمناطقها السكنية الكثيرة المتباعدة، فالوضع مختلف تمامًا. كيف سأتمكّن من اصطحاب أشخاص في جولة على شقق وأملاك إن أضعت طريقي كلّ خمس دقائق؟

نجحت في الوصول إلى الوكالة بدون أن تخطئ الطريق سوى مرة واحدة، وقد تبعت المسار المحدّد على الخارطة بشكل دقيق. ركنت السيّارة ووقفت لبرهة أمام مدخل رويس ريلتي، تحدّق من خلال الباب الزجاجي العريض.

بدت لها مكاتب الوكالة صغيرة إنما أنيقة. كانت جدران ردهة الاستقبال ملبّسة بألواح من خشب البلوط علّقت عليها صور منازل، وأرضها مكسوّة ببساط ذي مربعات حمراء وزرقاء زاهية، وفيها مكتب من المكاتب التي تجهّز بها عادة غرف الاستقبال، ومقاعد جلدية مريحة. من الردهة يتفرع رواق قصير يقود إلى قاعة انتظار تتقدم مكتبًا. لمحت من خلال الباب المفتوح امرأة منهمكة خلف مكتبها.

أشعر بالكارثة قادمة، فكّرت وهي تأخذ نفسًا عميقًا. إن تمكنت من لعب هذا الدور بنجاح، فسأكون مهيّأة للانطلاق على مسارح برودواي قريبًا. هذا بالطبع، في حال عدت إلى نيويورك ذات يوم. حين فتحت باب الوكالة، تصاعد قرع جرس معلنًا وصولها. رفعت المرأة عينيها عن الأوراق أمّامها على الطاولة، ثمّ خرجت من الغرفة لاستقبالها.

«أنا ميليسنت رويس»، قالت وهي تمدّ يدها لمصافحتها. «لا بدّ أنّك أليس كارول».

استلطفتها لايسي منذ الوهلة الأولى. كانت سيدة جميلة عريضة القامة تقارب السبعين من العمر، ترتدي بدلة أنيقة من الجيرسي البني. وجهها الصافي البشرة الخالي من التجاعيد لم يكن يحمل أثرًا للماكياج، وشعرها اللماع الرمادي والأبيض كان مربوطًا إلى الخلف على شكل كعكة ذكرت لايسي بتسريحة جدّتها.

ابتسمت لها ميليسنت رويس ابتسامة ودودة، لكن لايسي أحسّت بعينيها الزرقاوين الثاقبتين تدرسانها بشكل مركز وهي تجلس. أمر جيّد أن تكون اختارت ارتداء سترتها الخمرية وبنطالها الرمادي. كانت ملابسها كلاسيكية إنّما أنيقة، عمليّة ولكن رفيعة الذوق. إضافة إلى ذلك، لطالما اعتقدت أنّ هذه الملابس جلبت لها

الحظّ خلال مواعيد عملها حول صفقة بيع، وربّما تساعدها هذه المرّة في الحصول على وظيفة.

أشارت لها ميليسنت رويس بالجلوس في مقعد وجلست قبالتها. قالت معتذرة منها «إنّه يوم حافل وبالتالي ليس لدي الكثير من الوقت. أخبريني عنك، أليس.»

أحسّت لايسي وكأنّها في غرفة استجواب أمام ضوء قوي مسلّط عليها. ظلّت ميليسنت رويس تحدّق بها بدون أن تحوّل نظرها لحظة وهي تجيب على سؤالها. «ماذا يمكنني أن أخبرك... بلغت الثلاثين من العمر للتوّ. إنّني بصحّة ممتازة، حصلت تغييرات كبيرة في حياتي خلال السنة الماضية.»

يعلم اللّه كم أن هذا صحيح، فكّرت لايسي.

«أنا من هارتفورد، كونيتيكت، وبعدما أنهيت دراستي الجامعية، عملت ثماني سنوات في عيادة طبيب تقاعد مؤخّرًا.»

«أيّ نوع من العمل؟» سألت السيدة رويس.

«الردّ على الهاتف، أعمال إدارية، بعض المحاسبة، ملء الاستمارات الطبّية.»

«إذًا لديك خبرة في العمل على الكمبيوتر؟»

«نعم، بالتأكيد.» ألقت السيدة المسنّة نظرة إلى الكمبيوتر على مكتب غرفة الاستقبال. كانت هناك رزمة أوراق موضوعة بجانبه.

«المهام تتضمّن الردّ على الهاتف، تحديث ملفّات الشقق المعروضة، إعداد ملفّات العروض الجديدة، الاتّصال بالزبائن المحتمَلين عند تلقّي عروض جديدة لبيع شقق، المساعدة في الجولات على المنازل. لن تهتمّي بصفقات البيع بحد ذاتها، هذا عملي أنا. لكن عليّ أن أطرح عليك سؤالًا: ما الذي يجعلك تظنّين أنّك ستحبين العمل في المجال العقاري؟»

لأنّني أهوى التوفيق بين الناس والأماكن، أحبّ أن أصيب في تكهّناتي وأن أرى وجه الناس ينشرح حين أصطحبهم إلى منزل أو شقّة وأنا على ثقة بأنّها تناسب تمامًا ما يريدونه. أهوى المجادلات والمساومات التي تسبق الاتّفاق على سعر.

لكنّها طردت كلّ هذه الأفكار من ذهنها، وأجابت باقتضاب «ما أنا واثقة منه، أنّني لم أعد أرغب في العمل في عيادة طبيب، ولطالما استهوتني فكرة عملكم».

«فهمت. حسنًا، دعيني أتصل بطبيبك المتقاعد وأتحدّث إليه، وإن ضمنك، وأنا واثقة من أنّه سيفعل، عندها سنجرّب العمل معًا. هل لديك رقم هاتفه؟»

«لا للأسف، بّدل رقمه وطلب عدم إدراجه في الدليل. كان حريصًا على عدم تلقي أي اتصال من مرضاه السابقين.»

خمّنت لايسي من التكشيرة الطفيفة على وجه ميليسنت رويس أنّ هذه السيدة الحاذقة تجد جوابها مبهمًا.

تذكّرت ما قاله لها جورج سفنسون. «اعرضي العمل كمتطوعة بداية لأسبوعين أو شهر بدون تقاضي أجر.»

«لديّ اقتراح. أعمل لديك شهرًا بدون تقاضي أجر. وبعدها إن كنت راضية عن عملي، توظّفينني. وإن شعرت أنّني غير مؤهّلة للعمل، تفصلينني.»

واجهت نظرة ميليسنت رويس المحدّقة بدون أن يرفّ لها جفن. قالت بهدوء «لن تندمي على ذلك».

رفعت السيدة رويس كتفيها. «في مينيسوتا، بلاد البحيرات، هذا ما يعرف بعرض لا يمكن رفضه.»

28

«لماذا لم يتمّ إبلاغ السيد لاندي بذلك من قبل؟»، سأل ستيف أبوت بهدوء.

كان ذلك بعد ظهيرة الإثنين. أصرّ أبوت على مرافقة جيمي إلى اجتماع مع المفتشين سلون ومارس في مركز الشرطة في المنطقة التاسعة عشرة.

«أريد أن أعرف ما الذي يجري!» قال له جيمي في الصباح بعصبية وملامحه تعكس غضبًا شديدًا. «ثمّة أمر ما! لا بدّ أن تكون الشرطة على علم بمكان وجود لايسي فاريل. لا يعقل أن تكون تبخّرت بكلّ بساطة. إنّها شاهدة في جريمة قتل!»

«هل اتّصلت بهم؟» سأل ستيف.

«بالطبع فعلت. لكنّني حين أسأل عنها، كلّ ما يقولونه لي هو أن أطلب من باركر وباركر تكليف وكيل آخر تولّي بيع الشقّة. ليس هذا الغرض من اتصالي. هل يعتقدون أنّ هذا كلّ ما يشغل بالي؟ أنّ المسألة برمّتها هي مسألة مال؟ هذا غباء! قلت لهم إنّني قادم لمقابلتهم، وإنّني أطالب بأجوبة.»

كان أبوت يدرك أن محو صور هيذر عن الجداريات في المطعم زاد جيمي غضبًا وإحباطًا. أصرّ عليه «سوف أرافقك.»

حين وصلا، أدخلهما المفتّشان سلون ومارس إلى غرفة الاستجواب الملحقة بقاعة رجال الشرطة. اعترفا في نهاية الأمر بأنّ لايسي فاريل وضعت قيد البرنامج الفدرالي لحماية الشهود إثر تعرّضها لمحاولة قتل.

«سألت لماذا لم يتمّ إبلاغ السيد لاندي من قبل بما حصل للآنسة فاريل»، كرّر أبوت. «أريد جوابًا».

تناول سلون سيجارة. «سيد أبوت، أكدت للسيد لاندي أن التحقيق متواصل، وهو كذلك. لن نستكين قبل أن نجد قاتل إيزابيل وارينغ ونقاضيه.»

«رويت لي قصّة غريبة عجيبة عن رجل يدخل إلى شقق فخمة مدّعيًا أنّه مهتمّ بشرائها، ثمّ يعود لسرقتها»، قال جيمي في نوبة غضب جديدة. «قلت لي عندها إنك تعتقد بأنّ مقتل إيزابيل كان مجرّد صدفة إذ كانت في المكان غير المناسب في الوقت غير المناسب. وها أنت الآن تقول لي إن الآنسة فاريل في برنامج حماية الشهود، وتقرّ فضلًا عن ذلك بأنّ يوميّات هيذر سُرقت من تحت أنفكم، هنا تمامًا في هذا المركز. لا تهزأ بي. لم تكن هذه جريمة قتل عشوائية، وكنت على يقين بذلك منذ البداية.»

رأى إيد سلون الغضب والاشمئزاز في عيني جيمي لاندي. لا ألومه، فكّر المفتّش. فزوجته السابقة قُتلت، وفقدنا غرضًا خاصًّا به قد يشكّل دليلًا دامغًا، كما أن المرأة التي جلبت القاتل إلى شقّة زوجته السابقة اختفت. إنّني أتعاطف معه لأنني أعلم ما كنت شعرت به أنا نفسي لو كنت مكانه.

الأشهر الأربعة التي انقضت منذ ذلك المساء من شهر أكتوبر حين تلقى مركز الشرطة اتصالًا من الرقم 3 شرق الشارع 17، كانت كابوسًا حقيقيًا بالنسبة للمفتشين. ومع تطور القضية، شعر إيد بالامتنان لرئيس نيابة المنطقة لوقوفه في وجه مكتب المدعي العام الفدرالي بولدوين. فقد أصر رئيس نيابة المنطقة على أن قسم شرطة نيويورك لن يتخلّى عن القضية.

«وقعت جريمة قتل في المنطقة التاسعة عشرة»، قال لبولدوين، «وشئت أم أبيت، سوف نلاحق القضيّة. بالطبع، نحن مستعدون لتبادل المعلومات معك، لكن عليك أن تتبادل المعلومات معنا أيضًا. وحين يتم القبض على سافارانو، سنتعاون في مفاوضته إن تمكّنتم من التوصّل إلى اتفاق معه على كشف معلومات لقاء تخفيض عقوبته، لكننا سنتعاون فقط، وأكرّر فقط، إذا لم تحاول حجبنا. لدينا اهتمام كبير وفعلي بهذه القضية، ونحن مصمّمون على المشاركة فيها.»

«لم تكن قصّة غريبة عجيبة سيد لاندي»، ردّ نيك مارس بحدّة. «نتمنى العثور على قاتل السيدة وارينغ بالقدر الذي تتمناه أنت. لكن لو لم تأخذ الآنسة فاريل تلك اليوميّات من شقّة إيزابيل وارينغ بهدف تسليمك إيّاها على ما يبدو، لكان هذا التحقيق أحرز ربّما تقدّمًا أكبر بكثير.»

«لكنّني فهمت أنّ اليوميّات سُرقت بعدما وصلت إلى هنا»، قال ستيف أبوت بهدوء مخيف. «والآن تقول بكلام مبطّن إنّ الآنسة فاريل قد تكون تلاعبت باليوميّات؟»

«لا نعتقد أنّها فعلت، لكن لا يمكننا التثبّت من ذلك»، أقرّ سلون.

«سأكون صريحًا معك حضرة المفتّش. هناك أمور كثيرة لا يمكن التثبّت منها، لكن الأمر الأكيد أنّك أفسدت هذا التحقيق»، ردّ أبوت وقد انفجر غضبه. «تعال جيمي. أعتقد أنّ الوقت حان لتعيين مفتّشنا الخاص. لا أعتقد أنّنا سنكشف الحقيقة طالما أنّ المسألة بأيدي الشرطة.»

«هذا ما كان يجدر بي القيام به منذ اللحظة التي تلقّيت فيها ذلك الاتّصال بشأن إيزابيل!»، قال جيمي لاندي وهو ينهض. «أريد نسختي من يوميّات ابنتي التي سلّمتكم إيّاها قبل أن تضيع منكم هي أيضًا.»

«طبعنا نسخًا إضافية»، قال سلون بهدوء. «نيك، أحضر النسخة التي أعطانا إياها السيد لاندي.»

«حالًا، إيد.»

فيما كانا ينتظران، قال سلون «سيد لاندي، قلت لنا تحديدًا إنك قرأت اليوميّات قبل إعطائنا النسخة».

تجهّم وجه لاندي. «أجل، فعلت.»

«قلت إنّك قرأت اليوميّات بتأنّ. إن فكّرت في الأمر مجدّدًا، هل تؤكّد أن كلامك هذا صحيح؟»

«ما قصدك بكلمة تأنّ؟»، سأل جيمي بغيظ. «لقد تصفّحتها.»

«إسمع سيد لاندي، أعلم أنّ الأمر في غاية الصعوبة بالنسبة لك، لكنّني سوف أطلب منك أن تقرأ اليوميّات مجدّدًا بعناية. نحن من جهتنا راجعناها بأقصى ما يمكننا من الانتباه، ولم يسعنا العثور على أيّ عنصر يكون أو حتّى يمكن أن يكون ذا مغزى، باستثناء إشارتَين ملتبستَين في الصفحات الأولى حول حادث حصل لها في

غرب المدينة. لكن الواقع أنّ السيدة وارينغ قالت للايسي فاريل إنّها عثرت على شيء في تلك الصفحات يمكن أن يثبت أنّ وفاة ابنتك لم تكن حادثًا.»

قاطعه جيمي وهو يهزّ رأسه «إيزابيل كانت لتجد شيئًا مريبًا حتّى في الأناجيل».

خيّم صمت إلى أن عاد نيك مارس إلى قاعة الاستجواب حاملًا ظرفًا بنّيًا ناوله إلى لاندي.

انتزع جيمي الظرف من يده وفتحه. أخرج الأوراق منه، قلّب الصفحات وتوقف عند الصفحة الأخيرة. قرأها ثمّ نظر إلى مارس نظرة غاضبة. «ما اللعبة التي تحاول أن تلعبها الآن؟»

انتاب سلون إحساس مقزّز بأنّه على وشك أن يسمع شيئًا لا يودّ معرفته.

«يمكنني أن أؤكّد لك حالًا أن ثمّة صفحات ناقصة»، قال لاندي. «آخر صفحتين في النسخة التي أعطيتكم إياها لم تكونا مكتوبتين على ورق مسطّر. أذكر ذلك لأنّهما كانتا مليئتين بالخربشات. الأوراق الأصلية كانت ملطّخة بالدم... لم أكن أحتمل رؤيتها. إذًا أين هي الآن؟ هل ضاعت منكما أيضًا؟»

29

عند وصوله إلى مطار مينيابوليس - سانت بول، توجّه ساندي سافارانو من الطائرة مباشرة إلى قاعة استلام الحقائب. حمل حقيبته السوداء الثقيلة وبحث عن حمامات الرجال. هناك، أغلق على نفسه إحدى الحجرات، وضع الحقيبة على كرسي الحمام وفتحها. تناول منها مرآة يد وعلبة صغيرة تحتوي على شعر مستعار رمادي، حاجبين كثّين من اللون نفسه ونظارتين مستديرتين في إطار من العظم. نزع العدستين اللاصقتين كاشفًا عن لون عينيه البنيّ الداكن، ثمّ ثبّت الشعر المستعار ببضع حركات سريعة على رأسه، مشّطه بحيث يغطّي جزءًا من جبينه، ألصق الحاجبين المستعارين ووضع النظارتين.

أخرج قلمًا لتحديد الشفاه ورسم به بقع الشيخوخة على جبينه وظهر يديه. فتح جيبًا عند جانب حقيبته وأخرج منه حذاء طبيًا انتعله بدل حذائه الرقيق من ماركة غوتشي. أخيرًا، أخرج معطفًا غليظًا من التويد محشوّ الكتفين، ووضع في الحقيبة معطف المطر بوربيري الذي كان يرتديه لدى خروجه من الطائرة.

بدا الرجل الذي خرج من الحمّام أكبر سنًا بعشرين عامًا من ذاك الذي دخله قبل دقائق، ومظهره كان مختلفًا تمامًا.

قصد ساندي مكتب تأجير السيارات حيث حُجزت له سيّارة باسم جيمس بورغيس من فيلادلفيا. فتح محفظته وأخرج منها رخصة قيادة وبطاقة اعتماد. الرخصة كانت مزوّرة بمهارة، فيما بطاقة الاعتماد صحيحة إذ فُتح له حساب باسم بورغيس.

لفحته ريح باردة منعشة حين خرج من المطار واختلط بمجموعة من الركّاب كانوا واقفين على الرصيف ينتظرون الحافلة التي ستقلّهم إلى منطقة تسلّم السيارات المستأجرة. في هذه الأثناء، بدأ بدرس الخارطة التي حدّد له الموظف عليها الطريق الواجب سلوكه، وباشر حفظ جميع الطرق التي تقود إلى المدينة ومنها، مخمّنًا الوقت الذي تستغرقه كلّ منها. كان يحرص على التخطيط بعناية لأدنى التفاصيل. لا مفاجآت، ذلك كان شعاره. وهذا ما زاد نقمته على تلك الفتاة فاريل التي باغتته بوصولها على حين غفلة إلى شقّة إيزابيل وارينغ. تحت وطأة المفاجأة، ارتكب خطأ بالغًا، سامحًا لها بالإفلات منه.

كان يعلم أن بقاءَه طليقًا يعود أساسًا إلى اهتمامه هذا بأدقّ التفاصيل، في حين أنّ العديد من رفاقه من الإصلاحية قابعون خلف القضبان يقضون عقوبات طويلة. مجرّد فكرة السجن بعثت فيه القشعريرة.

صلصلة باب الزنزانة... أن يستيقظ وهو على يقين بأنّه محاصر هناك، وأنّ الوضع سيبقى أبدًا على حاله... أن يحسّ بالجدران والسقف تضيق عليه، تعصره، تضغطه، تخنقه...

شعر ساندي بقطرات العرق تتصبّب من تحت خصلات الشعر المستعار التي أسدلها بعناية فوق جبينه. لن أسمح بأن يحصل هذا لي، أقسم لنفسه. أفضّل الموت على ذلك.

رأى الحافلة تقترب. رفع يده بفارغ الصبر ليستوقفها. لم يكن يسعه الانتظار حتّى يبدأ مهمّته. يريد أن يباشر عملية البحث عن لايسي فاريل. فهي ستظلّ تهدّد حريته طالما أنّها على قيد الحياة.

حين توقّفت الحافلة أمامه ليصعد، شعر بشيء ما يصدم ربلتيه. استدار ووجد نفسه وجهًا لوجه مع المرأة الشابة التي كانت جالسة إلى جانبه في الطائرة. حقيبتها كانت قد انقلبت عليه.

التقت نظراتهما، فحبس أنفاسه. كانت بضعة سنتيمترات فقط تفصل بينهما، لكن تعابير وجهها لم تظهر إطلاقًا أنّها تعرّفت إليه. ابتسمت له بارتباك وقالت «آسفة».

انفتح باب الحافلة، صعد سافارانو على متنها مطمئنّ البال وقد أكّدت له تلك المرأة الخرقاء بأنّه سيتمكّن، متنكّرًا بهذا الشكل، من الاقتراب من فاريل بدون أن تتعرّف إليه. هذه المرة لن يترك لها أدنى فرصة لتنجو منه. كان ذلك خطأً لن يتكرّر.

30

حين وافقت ميليسنت رويس على اختبار عملها على أساس تطوّعي، عرضت لايسي أن تقضيَ ما تبقّى من بعد الظهيرة في المكتب للاطّلاع على الملفّات المحفوظة في الكمبيوتر وفرز الرسائل المتراكمة على مكتب الاستقبال.

بعد أربعة أشهر بعيدًا عن وظيفتها، شعرت بسعادة لا توصف في الجلوس خلف مكتب، مراجعة ملفات الشقق المعروضة، والاطلاع على سلّم أسعار المنازل والشقق في المنطقة التي تغطّيها الوكالة.

في الساعة الثالثة، اصطحبت السيدة رويس زبونًا لزيارة شقّة وطلبت من لايسي أن تتولّى الرد على الهاتف.

أوّل اتصال كان كارثة حقيقية. أجابت «وكالة رويس ريلتي، هنا لايس...»

أغلقت الخطّ على الفور وتسمّرت محدقة في الهاتف. كادت تعطي اسمها الحقيقي.

بعد لحظات قليلة، أخذ الهاتف يرنّ من جديد.

لا بدّ أن تجيب. إنّه على الأرجح الشخص نفسه يتّصل مرة ثانية.

ماذا عساها تقول له؟

بدا الصوت في السماعة مستاء بعض الشيء. قالت لايسي بارتباك «أعتقد أنّ المكالمة قطعت.»

لم يتوقّف رنين الهاتف على مدى ساعة، وكانت لايسي تجيب على كلّ اتصال بعناية. وبعد مضي وقت، فيما كانت تدوّن رسالة من عيادة طبيب الأسنان لتأكيد موعد ميليسنت رويس في الأسبوع التالي، تنبّهت إلى أن الاندماج مجدّدًا في محيطها الطبيعي قد يوقعها في فخّ. سارعت من باب الحيطة إلى مراجعة الرسائل التي دونتها. ثمّة امرأة اتّصلت وشرحت أنّ زوجها نقل إلى مينيابوليس وأنّ صديقًا لهما أوصاهما بالاتصال بوكالة رويس بحثًا عن منزل.

كانت لايسي طرحت على المتّصلين الأسئلة التي يطرحها أي وسيط عقاري عادة: مستوى الأسعار المطلوب، عدد غرف النوم، الحدّ الأقصى لعمر المنزل، إن كانت مدرسة الحي تشكّل معيارًا للاختيار، إن كان شراء المنزل يتوقّف على بيع منزلهما الحالي... حتّى أنّها دوّنت جميع الأجوبة بالرموز المعتمدة من الوكلاء العقاريين: «4 نوم حدًّا أدنى/3 حمّام/مدفأة/تكييف».

كم كنت فخورة بنفسي، فكّرت وهي تنسخ اسم المرأة ورقم هاتفها على ورقة مختلفة، مع الحرص هذه المرة على إخفاء خبرتها في هذا المجال. أضافت في أسفل الورقة التوصية التالية: «احتمال جيد بشراء منزل بسبب الانتقال الفوري». فكّرت أنّ هذه الجملة البسيطة قد تبدو محترفة أكثر ممّا ينبغي، لكنّها تركتها إذ رأت ميليسنت رويس عائدة.

بدت السيدة رويس متعبة، وظهر جليًّا أنّها سُرّت حين رأت كيف قامت لايسي بتدوين الاتصالات وفرز الرسائل لها. كانت الساعة

أوشكت على الخامسة. «أراكِ غدًا صباحًا أليس؟» سألت وفي صوتها نبرة تفاؤل.

«بالتأكيد»، قالت لايسي. «لكن لديّ موعد غداء لا يمكنني إلغاءه.»

في طريق العودة إلى المدينة، أحسّت لايسي بالخيبة تتملّكها. لم تكن لديها كالعادة أي مشاريع للمساء، وبدت لها فجأة فكرة العودة إلى الشقّة وإعداد عشاء تتناوله وحيدة كما في كلّ مساء أمرًا كريهًا.

سأذهب إلى المركز الرياضي وأتمرّن لبعض الوقت. على الأقلّ، بعد التمارين الرياضية والهرولة هذا الصباح، سأكون متعبة وسأنام جيّدًا.

حين وصلت إلى المركز الرياضي، أومأت إليها روث ويلكوكس أن تقترب. «عندي خبر لك»، قالت بنبرة تآمرية. «بدا طوم لينش محبطًا فعلًا حين لم تحضري بعد الظهر. حتّى أنّه جاءني يسأل إن كنت قدمت إلى المركز في وقت سابق. أليس، أعتقد أنّك تعجبينه.»

إن كان هذا صحيحًا، فهو يعني أنّه معجب بشخص غير موجود في الحقيقة. شعرت لايسي بالمرارة لهذه الفكرة. لم تبق في المركز الرياضي لأكثر من نصف ساعة، عادت بعدها إلى شقّتها. وجدت ضوء المجيب الآلي يومض. كان طوم قد اتصل بها في الساعة الرابعة والنصف. «كنت آمل أن ألتقيك في المركز الرياضي، أليس. قضيت ليلة طيبة برفقتك الجمعة. إن تلقيت رسالتي قبل الساعة السابعة وكنت ترغبين في تناول العشاء معي الليلة، أرجو أن تتّصلي بي. رقمي هو التالي...»

أوقفت لايسي الآلة ومحت الرسالة بدون أن تنتظر لسماع رقم هاتف طوم. كان هذا أسهل من قضاء ليلة أخرى تكذب على شخص لكانت صادقته بسرور كبير في ظروف أخرى.

أعدّت لنفسها شطيرة من البايكون والخسّ والطماطم. وجبة تسند المعنويات، فكّرت.

ثمّ تذكّرت فجأة... تلك هي الشطيرة التي كنت أتناولها في الليلة التي سبقت مقتل إيزابيل وارينغ. اتّصلت إيزابيل بي ولم أجب على الهاتف. كنت منهكة ولم أرغب في التكلّم معها.

تذكّرت أنّ إيزابيل قالت لها في الرسالة التي تركتها على المجيب الآلي إنّها عثرت على يوميّات هيذر وإن شيئًا ما فيها يجعلها تعتقد أنّها قد تكون تمسك بإثبات على أنّ وفاة هيذر لم تكن حادثًا.

وفي صباح اليوم التالي، حين اتّصلت بي في المكتب، لم تشأ التحدّث في المسألة على الهاتف. وحين أحضرت كورتيس كالدويل إلى الشقّة لاحقًا، بقيت في المكتبة تقرأ اليوميّات. وبعد ذلك ببضع ساعات، قُتلت.

حاصرها فجأة سيل من الصور أطبق على صدرها، وكادت تختنق وهي تبتلع آخر لقمة من شطيرتها: إيزابيل في المكتبة، تبكي وهي تقرأ يوميّات هيذر. إيزابيل تلفظ أنفاسها الأخيرة وهي تتوسل لايسي أن تسلّم اليوميّات إلى والد هيذر.

ما الذي كان يزعجني طوال هذا الوقت؟ تساءلت لايسي. إنّه أمر ما متعلق بالمكتبة بعد ظهر ذلك اليوم الأخير، أمر لاحظته وأنا أكلّم إيزابيل هناك. ماذا عساه يكون؟ استرجعت في ذهنها ما بعد الظهيرة تلك، جاهدة لاستيضاح الصورة المبهمة في ذهنها.

تخلّت في نهاية الأمر عن محاولاتها. لم يكن بوسعها أن تتذكّر.

دعك من الأمر في الوقت الحاضر، قالت لنفسها. سوف أحاول لاحقًا التركيز على استرجاع ذكرياتي. فالذهن أشبه بالكمبيوتر، أليس كذلك؟

في تلك الليلة راودتها أحلام غامضة تظهر فيها إيزابيل تمسك بيدها قلمًا أخضر وتبكي وهي تقرأ يوميّات هيذر في الساعات الأخيرة من حياتها.

31

بعد التسجّل في فندق راديسون بلازا على مقربة من متاجر نيكوليت، قضى ساندي سافارانو ما تبقى من يومه الأوّل في مينيابوليس منكبًّا على دليل الهاتف يعدّ قائمة بأرقام المراكز والنوادي الرياضية في المدينة ومحيطها.

أعدّ بعدها قائمة ثانية بوكالات بيع العقارات، مدرجًا في عمود على حدة أرقام الوكالات التي تشير في إعلاناتها إلى أنّها تهتم ببيع المكاتب. كان يعلم أن لايسي فاريل ستحاول إيجاد وظيفة لا تتطلب منها إفادات عمل سابقة، ومن المستبعد أن توافق هذه الوكالات على توظيف أي كان بدون التثبت من سجلّه أوّلًا. سوف يبدأ بالاتصال بالوكالات الأخرى في اليوم التالي.

كانت خطّته بسيطة. سوف يتصل ويقول إنّه يجري استطلاعًا بصفة غير رسمية لحساب الجمعية الوطنية للوكالات العقارية إثر ورود معلومات متزايدة تفيد بأنّ البالغين الذي تتراوح أعمارهم بين الخامسة والعشرين والخامسة والثلاثين لا ينخرطون في المجال العقاري. وسوف يطرح سؤالين: هل وظفت الوكالة أيّ شخص من

هذه الفئة العمرية في منصب وكيل عقاري أو سكرتيرة أو عامل هاتف، خلال الأشهر الستة الماضية؟ وإن فعلت، هل كان الموظّف رجلًا أم امرأة؟

سوف يحتاج إلى خطّة أخرى للتثبّت من النوادي والمراكز الرياضية. فهذا النوع من الاستطلاعات لن يجدي نفعًا هناك إذ أن معظم المنتسبين إليها من هذه الأعمار. وهذا يعني أن رصد لايسي فاريل من خلال النوادي الرياضية سينطوي على المزيد من المجازفة.

الواقع أنّه سيترتّب عليه الذهاب شخصيًّا إلى مختلف المراكز والادعاء بأنّه مهتمّ بالانضمام إليها، ثمّ عرض صورة للايسي فاريل عليهم. كانت لديه صورة قديمة قصّها من كتيّب صفّها الجامعي، لكنّها لا تزال تشبهها. سيقول إنّها ابنته وإنها غادرت المنزل بعد شجار عائلي، وإنه يحاول العثور عليها لأن القلق عليها قد أعيا والدتها.

الجولة على النوادي الرياضية لن تكون مؤكدة النتائج، لكن من حسن حظه أن عددها ليس كبيرًا في وسط المدينة، وبالتالي لن يستغرق الأمر وقتًا طويلًا جدًّا.

في الساعة العاشرة إلّا خمس دقائق، بات ساندي جاهزًا للخروج في جولة. كان المتجر الكبير غارقًا في الظلمة الآن وواجهات المحلات التجاريّة الفاخرة أطفئت.

كان ساندي يعلم أن نهر ميسيسيبي قريب. انعطف يمينًا وسار في اتجاهه، ظلًّا وحيدًا يخاله من يلمحه ظلَّ رجل ستّيني لم يكن يجدر به التجوّل وحيدًا في الشارع أثناء الليل.

انطباع في غير محلّه تمامًا، إذ بدأ ساندي سافارانو خلال نزهته تلك يشعر بذلك الانفعال الفريد الذي يخالجه حين يبدأ بمطاردة ضحيّة ويحسّ بأنّه يقترب من مسكن فريسته.

32

كانت لايسي تنتظر صباح الثلاثاء أمام مكتب رويس ريلتي حين وصلت رويس ميليسنت في الساعة التاسعة.

«الأجر ليس جيّدًا إلى حدّ أن يجلبك إلى العمل في مثل هذه الساعة المبكرة»، قالت ميليسنت رويس ضاحكة.

«هذا ما اتّفقنا عليه»، أجابت لايسي. «ويتهيّأ لي أنّني سأحبّ هذا العمل.»

أخرجت السيدة رويس مفتاحها وفتحت الباب. غمرهما دفء المكتب. «قليل من برد مينيسوتا لن يقتلنا»، قالت رويس. «نبدأ بالأكثر أهمية. سوف أعدّ القهوة. كيف تتناولين قهوتك؟»

«بلا سكّر رجاء.»

«ريجينا، مساعدتي التي تركت العمل لإنجاب طفلها، كانت تضع في قهوتها ملعقتَين طافحتَين من السكّر، ولم تسمن يومًا كيلو واحدًا. قلت لها إنّ ذلك وحده سبب كاف حتّى أبغضها.»

تذكرت لايسي جاني بويد التي كانت تعمل سكرتيرة في مكتب باركر وباركر. لم ترها يومًا إلّا وهي تقضم بسكويتة أو لوحًا من

الشوكولاتة، لكنّها كانت تبقى نحيلة كالعود. «كنت أعرف فتاة مثلها في...» توقّفت منقبضة. «في عيادة الطبيب». ثمّ أكملت على عجل «لم تبق طويلًا. لحسن حظّنا. كانت تعطي مثالًا سيّئًا.»

ماذا لو علّقت ميليسنت رويس على هذه الملاحظة واقترحت الاتصال بزميلة سابقة يمكن أن تعطي شهادة فيّ بصفة خاصة؟ احترسي، قالت لايسي لنفسها، احترسي.

رنّ الهاتف في تلك اللحظة بالذات في أوّل اتصال لليوم، منقذًا لايسي من هذا الموقف الحرج.

في تمام الظهر، خرجت لايسي لتناول الغداء مع كايت نولز. «سوف أعود في الساعة الثانية»، وعدت السيدة رويس. «وبعد ذلك، أتناول شطيرة في المكتب. بالتالي، إن أردت الخروج في مواعيد مع زبائن، سأكون هنا.»

وصلت إلى فندق راديسون في الساعة الثانية عشرة والنصف فوجدت كايت جالسة إلى طاولة تقضم لفافة خبز. «إنّه فطوري وغدائي في آن»، قالت للايسي. «أرجو ألّا تمانعي، فقد بدأت قبل وصولك».

جلست لايسي على المقعد المقابل لها. «لا، إطلاقًا. كيف يسير العرض؟»

«عظيم.»

طلبت كلّ منهما طبقًا من العجّة وسلطة وقهوة. قالت كايت ضاحكة «الآن وقد عالجنا الأهمّ، أقرّ لك بأنّك أثرت فضولي. تكلّمت مع طوم هذا الصباح وقلت له إنّنا سنتناول الغداء معًا. قال إنّه يتمنّى لو كان بوسعه الانضمام إلينا، وهو يرسل لك تحيّاته.»

مدّت كايت يدها لتناول لفافة خبز أخرى. «أخبرني طوم أنّك قرّرت قبل وقت قصير الانتقال إلى هنا، وأنك لم تزوري المنطقة سوى مرة واحدة حين كنت طفلة. ما الذي يجعل مكانًا ما يبقى راسخًا في ذهنك بهذا الشكل؟»

أجيبي على السؤال بسؤال.

«أنت نفسك تجولين كثيرًا مع العروض. ألا تبقى بعض المدن مطبوعة في ذهنك أكثر من سواها؟»

«آه بالطبع. ثمّة مدن ممتعة كهذه، وأخرى أقل متعة. دعيني أخبرك عن مدينة وجدتها كريهة تمامًا...»

استرخت لايسي وهي تستمع إلى كايت تروي لها قصّتها، متقنة بمهارة مطلقة فنّ السرد. فكّرت لايسي بحنين أنّ الفنانين الاستعراضيين غالبًا ما يملكون هذه الموهبة. والدي كان هكذا، كان بوسعه أن يتلو قائمة تبضّع فتبدو مثيرة.

ومع تناولهما ثاني فنجان قهوة، تمكّنت لايسي من توجيه الحديث للتطرق إلى بيل، الصديق الذي كانت كايت ذكرته.

«تحدّثت الليلة الماضية عن شخص تواعدينه. بيل على ما أعتقد. أليس كذلك؟»

«بيل ميريل. رجل رقيق. قد يكون حتّى رجل حياتي. ولو أنّني قد لا أتثبّت من ذلك أبدًا، إن استمرت الأمور على حالها. لكنّني رغم ذلك لن أستسلم.» لمعت عينا كايت. «المشكلة أنّني في غالب الأحيان في جولة، وهو من جهته يسافر كثيرًا.»

«ماذا يعمل؟»

«إنّه مصرفي أعمال، يقضي وقته في رحلات مكوكية إلى الصين.»

أرجو فقط ألّا يكون في الصين الآن، فكّرت لايسي. «في أيّ مصرف يعمل، كايت؟»

«تشايس.»

تعلّمت لايسي كيف ترصد بريق الفضول الذي يشير إلى أنّها بدأت تثير الاستغراب. كايت امرأة ذكية. لا بدّ أنّها أحسّت بأنّ لايسي تحاول انتزاع معلومات منها. حصلتُ على ما أريد معرفته، فكّرت لايسي. لنترك الكلام مجدّدًا لكايت الآن.

«أعتقد أنّ أفضل ما يمكن أن يحصل لك هو أن تحصلي على دور في مسرحية ناجحة تبقى معروضة عشر سنوات في برودواي»، قالت لها.

«هذا كلام أوافق عليه تمامًا»، أجابت كايت ضاحكة. «بذلك أكون حصلت على البيضة والتقشيرة، والدجاجة أيضًا. أودّ لو أستطيع الاستقرار في نيويورك. أوّلًا بسبب بيل طبعًا، لكن لا شكّ أيضًا في أنّ طوم سينتهي به الأمر هناك خلال سنوات قليلة. من الواضح أنّه في طريقه إلى النجاح، ونيويورك ستكون محطته الأخيرة. هذا سيكون بمثابة هدية لي. كلانا ولدٌ وحيدٌ، وبالتالي نشأنا مثل شقيقين وصديقين حميمين أكثر منا قريبين. وقف بجانبي على الدوام. يبدو أيضًا أنّ طوم من النوع الذي يعرف بالفطرة متى يكون الآخرون بحاجة إلى المساعدة».

هل ذلك ما دفعه إلى دعوتي لقضاء الأمسية معه، وإلى الاتصال بي الليلة الماضية؟ تساءلت لايسي. أشارت إلى النادل ليجلب الفاتورة. «عليّ أن أعود»، شرحت على عجلة من أمرها. «إنّه أوّل يوم عمل كامل بالنسبة لي».

اتّصلت بجورج سفنسون من حجرة الهاتف في ردهة الفندق وتركت له رسالة: «لديّ معلومات جديدة بشأن قضية هيذر لاندي عليّ أن أنقلها مباشرة إلى السيد بولدوين في مكتب المدعي العام الفدرالي».

أقفلت الخطّ وعبرت الردهة مسرعة، وقد تأخّرت على دوامها في الوكالة.

بعد أقل من دقيقة، التقطت يد عليها بقع الشيخوخة السماعة التي كانت لا تزال تختزن حرارة يد لايسي.

كان ساندي سافارانو يحرص دائمًا على إجراء اتصالاته الهاتفية بشكل لا يسمح برصد مصدرها. جيوبه كانت مليئة بالقطع النقدية. تقضي خطته بأن يتّصل بخمسة أرقام من هنا، ينتقل بعدها إلى موقع آخر ويجري خمسة اتصالات أخرى، وهكذا دواليك حتّى يستنفد قائمتهِ لمكاتب البيع العقاري.

اتّصل بأوّل رقم على اللائحة، وحين سمع صوتًا يقول «داونتاون ريلتي»، كرّ السبحة التي كان أعدّها. «لن آخذ الكثير من وقتك. إنّني أتصل نيابة عن الجمعية الوطنية للوكالات العقارية. نجري استطلاعًا غير رسمي...»

33

قال المدعي العام الفدرالي بشكل صريح وفجّ للمفتش إيد سلون من قسم شرطة نيويورك إنّه لا يحتمل الأغبياء. جنّ جنونه بعد ظهر اليوم السابق حين تلقّى اتصالًا من سلون يبلغه بأنّ عددًا من صفحات نسخة جيمي لاندي عن يوميّات ابنته تبخّرت على ما يبدو من داخل مركز الشرطة. أجابه في انفجار غضب «فاجأتني. كيف نجحت في فقدان بضع صفحات فقط وليس الكلّ؟ هذا ما حصل للنسخة الأصلية، أليس كذلك؟»

وحين عاد سلون واتّصل من جديد بعد أربع وعشرين ساعة، اغتنم بولدوين الفرصة لينهال عليه من جديد باللوم والتوبيخ. «نجهد أنفسنا للتدقيق في نسخة اليوميّات التي أعطيتنا إياها، كلّ ذلك ليتبيّن لنا بعدها أنّه ينقصها عدة صفحات من الواضح أنّها كانت على قدر من الأهمية، بما أنّ أحدًا ما جازف وسرقها من تحت أنفكم! أين رميتم اليوميّات حين تسلمتموها؟ على لوحة الإعلانات؟ قل لي، أين رميتم النسخة؟ في الشارع؟ وعلّقتم عليها لافتة تقول «دليل في جريمة قتل. ليتفضّل من يشاء؟»

فيما كان يستمع إلى سيل الانتقادات الحانقة، فكر المفتّش سلون بكلّ ما كان يودّ أن يفعله ببولدوين، ما أعاده بالذاكرة فجأة إلى صفّ اللغة اللاتينية الثالث في مدرسة كزافيير الحربية. يقول القديس بولس في الخطايا المميتة «لا تتكلّموا بشرّ في ما بينكم ولا تخرج كلمة قبيحة من أفواهكم.»

تعاليم في محلّها، فكّر سلون، لأنّه من الأفضل لي ألّا أبوح بما كنت أودّ أن أفعله بك. لكنّ الواقع أنّه هو نفسه كان يغلي غضبًا لاختفاء اليوميّات الأصلية، وربّما أيضًا عدة صفحات من النسخة، من داخل علبة الأدلّة الخاصة به، المقفلة، والموجودة داخل خزانته في قاعة رجال الشرطة.

كانت هذه مسؤوليّته، لا جدل في الأمر. كان يحمل مفتاحَي العلبة والخزانة في حلقة المفاتيح الضخمة التي يحتفظ بها في جيب سترته. وهو يخلع سترته دائمًا، وبالتالي يمكن نظريًّا أن يكون أيّ كان انتشل حمّالة المفاتيح من جيبه، نسخ المفاتيح ثمّ أعادها إلى مكانها قبل أن يلاحظ حتّى أنّها اختفت من جيبه.

بعدما سُرقت اليوميّات الأصلية، تمّ تبديل الأقفال، لكنّه بقي على عادته، فظلّ يحتفظ بالمفاتيح في جيب سترته التي يخلعها ويعلّقها على ظهر كرسي مكتبه.

ركّز انتباهه مجدّدًا على المكالمة الهاتفية. بولدوين صمت أخيرًا وقد فقد أنفاسه، فاغتنم سلون الفرصة ليقول له «سيدي، أبلغتك بالأمر بالأمس لأنه ينبغي أن تعرف. أتصل الآن لأنني بصراحة غير واثق إطلاقًا من أنّ جيمي لاندي شاهدٌ موثوق في هذه القضية. لقد أقرّ بالأمس بأنّه بالكاد تصفّح اليوميّات حين أعطته إياها السيدة فاريل. كما أنّه لم يحتفظ بها سوى ليوم واحد».

ردّ بولدوين بنبرة قاطعة «تعلم أنّ اليوميّات ليست طويلة جدًّا، بضع ساعات تكفي لقراءتها بتأنّ.»

«لكنّه لم يفعل، وهذا بيت القصيد»، قال سلون مؤكّدًا على فكرته، وهو يومئ برأسه شاكرًا نيك مارس الذي وضع كوبًا من القهوة على مكتبه. «إضافة إلى ذلك، فهو يهدّد بإثارة متاعب لنا. قال إنّه سيكلّف تحرّيًا خاصًّا بالقضية. كما أنّ شريكه ستيف أبوت رافقه إلى الاجتماع وقام باستعراض قوة نيابة عنه.»

«لا ألوم لاندي»، قاطعه بولدوين. «وتكليف تحرٍّ خاص العمل على القضية قد يكون فكرة جيدة، إذ يبدو أنّك غير قادر على إحراز أيّ تقدّم.»

«تعلم جيّدًا أنّ هذا غير صحيح»، قال سلون مشدّدًا. «كلّ ما سيفعله هو أنّه سيعرقل عملنا. لكن يبدو في الوقت الراهن أن هذا لن يحصل. فقد اتّصل أبوت للتو واعتذر نوعًا ما. قال إنّه بعد البحث والتدقيق، قد يكون جيمي مخطئًا بشأن الصفحات التي ظنّ أنّها اختفت. قال إن قراءة اليوميّات كانت أمرًا شاقًّا للغاية على جيمي ليلة تلقّاها من لايسي فاريل، إلى حدّ أنّه طرحها جانبًا. وفي الليلة التالية، لم يتمكن من إلقاء نظرة عليها قبل أن يثمل. وبعد يوم، أخذنا النسخة منه.»

«ربّما كان مخطئًا بشأن الصفحات الناقصة، لكننا لن نتمكن من التثبت من الأمر، أليس كذلك؟»، قال بولدوين بصوت جافّ. «وحتّى لو افترضنا أن الأمور اختلطت عليه فعلًا بالنسبة للصفحات الناقصة غير المسطّرة، فالأمر المؤكّد أن النسخة الأصلية سُلبت فيما كانت بحوزتك، ما يعني أنّ ثمّة في المركز من يلعب لعبة مزدوجة. أنصحك بالقيام بحملة تنظيف هناك.»

«إنّنا نعمل على ذلك.» لم يعتبر إيد سلون من الضروري أن يكشف لبولدوين أنّه نصب فخًّا للمذنب، فنشر معلومات في المركز تفيد بأنّ لديه إثباتات جديدة في قضية وارينغ أخفاها في خزانته.

اختتم بولدوين الحديث قائلًا «أبقني على علم بالتطورات. وحاول الاحتفاظ بأي إثبات آخر قد يظهر في القضية. هل تعتقد أنّ هذا في مقدورك؟».

«نعم، أعتقد ذلك. لكن أودّ لفت انتباهك سيدي، إن صحَّت ذاكرتي، إلى أننا نحن من عثر على بصمة سافارانو على باب شقّة فاريل بعد خلعه وتعرّفنا إليها»، ردّ سلون بلؤم. «وأعتقد أنّ مفتشيك آنذاك أكّدوا أنّه توفّي.»

أغلق الخطّ في مكتب المدعي العام الفدرالي، مثبتًا للمفتش سلون أنّ سهمه اخترق جلد بولدوين الغليظ. هدف لصالح الطيّبين، فكّر في نفسه.

لكنّ هذا الانتصار فارغ، وهو يعلم ذلك.

اضطرّ فريق غاري بولدوين طوال ما تبقى من بعد ظهيرة ذلك اليوم إلى تحمل عواقب إحباطه بسبب تعثر التحقيق. غير أنّ مزاجه تبدّل فجأة حين ورده أن الشاهدة الخاضعة للحماية لايسي فاريل لديها معلومات جديدة له. اتّصل بجورج سفنسون في مينيابوليس وأوصاه «سوف أنتظر قدر ما يستغرق الأمر، لكن أريدها أن تتّصل بي هذا المساء، تأكّد من ذلك».

على إثر الاتصال، توجّه سفنسون إلى المبنى حيث شقّة لايسي وانتظرها في السيّارة. لم يترك لها فرصة حتّى لدخول بوّابة المبنى

حين عادت من عملها. قال لها «الرجل ينتظر بفارغ الصبر للتحدّث إليك. هذا ما سنقوم به حالًا.»

اصطحبها في سيّارته. كان سفنسون رجلًا صامتًا بطبعه، ولم يكن يرى ضرورة للكلام لمجرد المجاملة. قيل للايسي خلال فترة تأهيلها في المخبأ في واشنطن إنّ المارشالات الفدراليّين يكرهون عمومًا برامج حماية الشهود ويكرهون التكفل بهؤلاء الأشخاص المبعدين. كان يتهيّأ لهم أنّهم يقومون بمهام هي بشكل أساسي من صلاحيات حاضنات أطفال.

كانت لايسي مصمّمة منذ يومها الأوّل في مينيابوليس على التسبب بأدنى حد ممكن من الإزعاج له، وهي التي لا ترتاح إطلاقًا في الأساس لفكرة الاعتماد على غرباء. مضت أربعة أشهر على وصولها ولم يتلقّ منها سفنسون سوى طلبًا خاصًا واحدًا هو إذن بشراء أثاثها من أسواق الأثاث المستعمل بدل التبضّع من المتاجر الكبرى.

كانت لايسي تشعر الآن بأنّها كسبت بجدارة احترام سفنسون ولو مكرهًا. سألها عن وظيفتها وهو يقودها إلى الهاتف الآمن، شاقًا طريقه بعناء وسط زحمة المساء.

«تعجبني»، قالت لايسي. «أشعر حين أعمل أنّي شخص متكامل له حياة.»

ردّ بهمهمة اعتبرتها علامة تأييد واستحسان.

كان سفنسون الشخص الوحيد في المدينة بكاملها الذي يمكن أن تروي له كيف كادت تجهش بالبكاء حين عرضت عليها ميليسنت رويس صورة لحفيدتها البالغة من العمر خمس سنوات، ترتدي ثوب باليه. تلك الصورة ذكّرتها ببوني إلى حدّ أنّها أحسّت على الفور بموجة حنين جارفة تغمرها. لكنّها بالطبع لم تخبره بذلك.

صورة تلك الطفلة من عمر بوني جعلت لايسي تتوق لرؤية ابنة شقيقتها. منذ تلك اللحظة وتدور في رأسها بدون توقّف أغنية قديمة من أوائل القرن: «حبيبتي بوني خلف المحيط، حبيبتي بوني خلف البحار... أعيدوا لي، أعيدوا لي، آه أعيدوا لي حبيبتي بوني...»

لكنّها قالت لنفسها إنّ بوني ليست خلف المحيط، بل على مسافة ثلاث ساعات في الطائرة، وإنني على استعداد للإدلاء بمعلومات إلى المدعي العام الفدرالي قد تساعدني على العودة إلى عائلتي قريبًا.

كانت السيّارة تعبر بهما بمحاذاة إحدى البحيرات الكثيرة المتوزّعة في أرجاء المدينة. آخر مرة هطل فيها الثلج كانت قبل حوالى أسبوع، غير أنّه لا يزال أبيض ناصعًا. بدأت النجوم تظهر الواحدة تلو الأخرى صافية في هواء المساء البارد. هذه المدينة جميلة حقًا، قالت لايسي لنفسها. كنت سأفهم تمامًا في ظروف مغايرة كيف يمكن لأحد ما أن يختار طوعًا العيش فيها، لكن جلّ ما أريده هو العودة إلى منزلي. إنّني بحاجة إلى العودة.

أقاموا لها لمكالمة الليلة خطًّا آمنًا في غرفة فندق. قال سفنسون للايسي قبل أن يجري الاتصال إنّه سينتظرها في ردهة الفندق فيما تتكلّم مع بولدوين.

خمّنت لايسي أنّ السماعة رفعت من الطرف الآخر من الخطّ منذ الرنّة الأولى. سمعت غاري بولدوين يعرّف عن نفسه.

ناولها سفنسون السماعة وخرج هامسًا لها «حظًّا سعيدًا».

«سيد بولدوين»، بادرته. «شكرًا لاتصالك بي بهذه السرعة. لديّ معلومات أعتقد أنّها قد تكون في غاية الأهمية.»

«آمل ذلك آنسة فاريل. ما المسألة؟»

احسّت لايسي بوخزة نقمة وغضب. ما كان كلّفه الأمر شيئًا لو سألني كيف أتدبّر أموري، فكّرت. لا ضير في أن يكون لائقًا. لست هنا بملء إرادتي، بل أنا هنا بسببكم أنتم، لأنكم عجزتم عن القبض على قاتل. لا ذنب لي إن انتهى بي الأمر شاهدة في جريمة قتل.

«المسألة»، قالت متعمّدة النطق ببطء وفصل الكلمات عن بعضها وكأنه لن يفهم إن كلّمته بشكل طبيعي، «هي أنّني علمت أن ريك باركر ، تذكر ريك باركر، واحد من الثنائي باركر الذي كنت أعمل لديه في مكتب باركر وباركر، كان في منتجع التزلّج ذاته الذي كانت فيه هيذر لاندي قبل ساعات قليلة من مقتلها، وأنها بدت مذعورة أو على الأقلّ في غاية الاضطراب حين لمحته هناك».

خيّم صمت طويل، ثمّ سأل بولدوين «كيف يعقل أن تخرجي بمثل هذه المعلومات في مينيسوتا، آنسة فاريل؟»».

أدركت لايسي فجأة أنّها لم تفكّر مليًا في مسألة إبلاغ هذه المعلومات قبل إجراء الاتصال مع بولدوين. فهي لم تكشف لأحد بأنّها طبعت نسخة عن يوميّات هيذر لاندي لنفسها قبل أن تسلّمها إلى المفتّش سلون. سبق أن هدّدوها بمقاضاتها لأخذها صفحات اليوميّات الأصلية من شقّة إيزابيل، وهي واثقة من أنّهم لن يصدّقوا إطلاقًا أنّها طبعت نسخة ثانية أبقتها سرًّا لمجرّد الوفاء بوعد قطعته لإيزابيل بأن تقرأها.

«سألتك آنسة فاريل كيف حصلت على هذه المعلومات؟»، كرّر بولدوين بصوت ذكّرها بنبرة مدير حاد الطباع في مدرستها.

ردّت لايسي بحذر شديد وكأنها تسير في حقل ألغام. «أقمت بعض الصداقات هنا سيد بولدوين. دعاني أحد أصدقائي إلى حفل

أقيم على شرف فرقة تلعب مسرحيّة «أنا والملك». تحدّثت إلى كايت نولز، إحدى الممثّلات في الفرقة، و...».

«وأتت بالصدفة خلال الحديث على ذكر ريك باركر فقالت إنّه كان في منتجع تزلّج في فيرمونت قبل ساعات من مقتل هيذر لاندي. أهذا ما تريدين قوله آنسة فاريل؟»

«سيد بولدوين»، قالت لايسي وهي تشعر بصوتها يرتفع، «هلّا توضح لي أرجوك ما الذي تلمّح إليه؟ لا أدري إلى أيّ حدّ تعرفني وتعرف خلفياتي، لكن والدي كان موسيقيًا في برودواي وشاهدت عددًا لا يُحصى من المسرحيات الغنائية التي استمتعت بها. أعرف عن ظهر قلب المسرح الغِنائي، وأعرف الكثير من الفنانين في هذا المجال. تبين أثناء حديثي مع كايت نولز أنّها شاركت في إعادة لمسرحيّة «الصديق» التي قُدّمت في مسرح صغير خارج برودواي قبل سنتين. تحدثنا عن ذلك الاستعراض. شاهدته آنذاك وكانت هيذر لاندي تلعب الدور الرئيسي فيه.»

قاطعها بولدوين «لم تقولي لنا من قبل إنك كنت تعرفين هيذر لاندي.»

«لم يكن لديّ ما أقوله»، أجابت لايسي معترضة. «سألني المفتّش سلون إن كنت أعرف هيذر لاندي. وكان جوابي، الصادق بالمناسبة، أنّني لم أكن أعرفها. مثل المئات وربّما حتّى الآلاف من روّاد المسرح، شاهدتها تلعب في مسرحية غنائية. إن رأيت روبرت دو نيرو في فيلم الليلة، هل يجدر بي أن أقول لك إنّني أعرفه؟»

«حسنًا، آنسة فاريل، فهمت قصدك»، قال بصوت خال من أي حدّة. «إذًا أثير موضوع «الصديق» في سياق الحديث. وبعدها؟»

كانت يد لايسي اليمنى مطبقة بقوة على السماعة. غرزت أظافر يدها اليسرى في راحتها، جاهدة للحفاظ على هدوئها. «بما أن كايت كانت في فرقة المسرحية، فلا بدّ أن تكون عرفت هيذر لاندي. طرحت عليها بالتالي السؤال، ثمّ وجهت الحديث معها إلى هيذر. قالت لي بشكل عفوي إن إيزابيل وارينغ سألت جميع أعضاء الفرقة إن بدت لهم هيذر قلقة خلال الأيام الأخيرة التي سبقت مقتلها، وفي حال كانت قلقة، إن كانت لديهم أي فكرة عن السبب.»

لطّف بولدوين من نبرته. «كان ذلك تصرّفًا حاذقًا من جانبك. ماذا قالت؟»

«قالت الأمر نفسه الذي سمعته إيزابيل على ما فهمت من جميع أصدقاء هيذر. نعم، كانت هيذر مضطربة. لا، لم تقل لأحد سبب اضطرابها. لكن بعد ذلك، وهنا أصل إلى السبب الذي دفعني إلى الاتصال بك، قالت لي كايت إنّها كانت تفكّر في الاتصال بوالدة هيذر لإبلاغها بأمر تذكّرته. بالطبع، كانت تجول مع المسرحية ولم تعلم بمقتل إيزابيل.»

راحت لايسي من جديد تتكلّم متمهّلة. «كايت نولز لديها صديق. إنّه يعيش في نيويورك. اسمه بيل ميريل. يعمل مصرفي أعمال لدى مصرف تشايس. إنّه على ما يبدو صديق لريك باركر، أو يعرفه على الأقلّ. بيل قال لكايت إنّه كان يدردش مع هيذر في بار النزل الكبير في ستوي خلال بعد الظهيرة التي سبقت مقتلها. وحين دخل ريك، يبدو أنّها قطعت الحديث بينهما وغادرت البار على الفور.»

«هل هو واثق من أنّ ذلك كان بعد الظهر قبل مقتل هيذر؟»

«هذا ما قالته كايت. فقد فهمت أن هيذر اضطربت وتكدّرت حين لمحت ريك. سألتها إن كان لديها أي فكرة عما يمكن أن يدفع

هيذر إلى رد فعل قوي كهذا، فقالت إن ريك كان قد دبّر على ما يبدو مقلبًا لهيذر عند وصولها إلى نيويورك قبل أربع سنوات.»

«آنسة فاريل، دعيني أطرح عليك سؤالًا. عملت لحساب باركر وباركر حوالى ثماني سنوات. ومع ريك باركر تحديدًا. أليس كذلك؟»

«صحيح، لكن ريك كان في مكتب غرب نيويورك وانتقل إلى مكتبنا قبل ثلاث سنوات فقط.»

«حسنًا. وخلال كلّ الوقت الذي استغرقته قضية إيزابيل وارينغ، هل قال لك مرة إنّه كان يعرف هيذر لاندي، أو أنّه قد يكون يعرفها؟»

«لا، لم يفعل. هل لي أن أذكّرك سيد بولدوين بأنني إن كنت حيث أنا الآن، فلأنّ ريك باركر أعطاني اسم كورتيس كالدويل الذي يفترض أنّه يعمل لحساب مكتب محاماة مرموق؟ ريك هو الشخص الوحيد في الوكالة الذي تحدّث، أو قال إنّه تحدّث إلى ذلك الرجل الذي تبيّن لاحقًا أنّه قاتل إيزابيل وارينغ. ألم يكن من الطبيعي على مرّ الأسابيع التي قضيتها أعرض تلك الشقّة على زبائن وأخبر ريك عن إيزابيل وارينغ وهاجسها بشأن وفاة ابنتها، أن يقول لي إنّه كان يعرف هيذر؟ هذا ما أعتقده قطعًا»، ختمت بحزم.

«سلّمْتُ اليوميّات إلى الشرطة غداة مقتل إيزابيل مباشرة، فكّرت لايسي مستعرضة تسلسل الأحـداث. قلت لهم عندها إنّني أعطيت جيمي لاندي نسخة تنفيذًا لوعدي. هل قلت أيّ شيء عن أن إيزابيل طلبت مني قراءة اليوميّات؟ أو أنّني ألقيت نظرة عليها؟ راحت تفرك جبينها براحة يدها، مستذكرة الوقائع.

آمل فقط ألّا يسألني عن اسم الصديق الذي شاهدت العرض معه. فاسم طوم لينش مدرج في اليوميّات، وسيتعرّفون إليه بالتأكيد.

لن يستغرق بهم الأمر طويلًا قبل أن يدركوا أن المسألة برمّتها لم تكن مجرّد صدفة.»

«دعيني ألخّص المسألة»، قال بولدوين. «تقولين إنّ الرجل الذي رأى ريك باركر في ستوي هو مصرفي أعمال لدى مصرف تشايس؟»

«نعم.»

«وهل كشفت الآنسة نولز لك عن كلّ هذه المعلومات بشكل عفوي خلال لقاء عرضي؟»

فقدت لايسي صبرها. «سيد بولدوين، من أجل أن أحصل لك على هذه المعلومات، اغتنمت غداء مع ممثلة رائعة وموهوبة أود لو تكون صديقتي. كذبت عليها مثلما كذبت حتّى الآن على جميع الذين التقيتهم في مينيابوليس، باستثناء جورج سفنسون بالطبع. فمن مصلحتي جمع أي معلومات يمكن أن تمكّنني من أن أعود كائنًا بشريًا طبيعيًا وحقيقيًا. لو كنت مكانك، لكنت أبديت اهتمامًا اكبر بتقصّي علاقة ريك باركر بهيذر لاندي بدل أن تتصرف وكأنّني أختلق كلّ ذلك.»

«لم أكن ألمّح إلى أي شيء من هذا النوع إطلاقًا آنسة فاريل. سوف نباشر التحقيق في هذه المعلومات على الفور. لكن لا بدّ من الإقرار بأنّه لا يوجد الكثير من الشهود في برنامج الحماية الذين يلتقون بالصدفة صديقة امرأة ميتة كان قتل والدتها السبب خلف وضعهم في البرنامج.»

«ولن تجد الكثير من الأمّهات اللواتي يقتلن لأنهن لم يقتنعن بأنّ وفاة ابنتهن كانت حادثًا.»

«سوف نحقّق في الأمر آنسة فاريل. إنّني واثق من أنّك تلقيت هذه النصيحة من قبل، لكنّها في غاية الأهمية. أشدّد على وجوب أن

تلزمي أعلى درجات الحيطة والحذر، وأن لا تتراخي للحظة. تقولين إن لديك أصدقاء جددًا، وهذا ممتاز، لكن احترسي لما تقولينه لهم. ابقي حذرة دائمًا، دائمًا. حتّى لو علم شخص واحد بمكان وجودك، سوف نضطرّ إلى تبديل موقعك.»

«لا تقلق بشأني سيد بولدوين»، قالت لايسي، وقد تملّكها فجأة قلق شديد إذ تذكرت أنّها أخبرت والدتها بأنّها في مينيابوليس.

أقفلت الهاتف واستدارت لتخرج من الغرفة. بدا لها وكأن وزن العالم بكامله ملقى على كتفيها. لقد تجاهل بولدوين عمليًا كلّ ما قالت له. لم يبدُ لها أنّه أعار أدنى أهمية لكون ريك باركر كان على ارتباط بهيذر لاندي.

كيف كان للايسي أن تخمّن بأنّه في اللحظة التي وضع فيها المدعي العام الفدرالي غاري بولدوين السماعة، قال لمساعديه الذين كانوا يراقبون المكالمة «هذا أوّل خيط حقيقي! باركر متورّط في القضية حتّى رأسه». وبعد لحظة أضاف: «ولايسي فاريل تعرف أكثر ممّا تكشف.»

34

أعتقد أنّني أخطأت بشأن أليس، فكّر طوم لينش وهو يستحمّ بعد ممارسة الرياضة في مركز توين سيتيز. ربّما نقمت عليّ فعلًا لأنني لم ألازمها خلال السهرة. كان ذلك هو اليوم الثاني على التوالي الذي لم تأتِ فيه إلى النادي، كما أنّها لم تردّ على اتصاله.

لكن كايت اتّصلت به لتخبره عن غدائها مع أليس. أليس هي التي طرحت فكرة تناول الغداء مع كايت، ما يعني أن أحدًا ما في العائلة على الأقلّ يعجبها.

لكن لماذا لم تتصل بي، حتّى لو لتقول إنّه ليس لديها وقت، أو أنّها لم تتلقَّ الرسالة التي تركتها على مجيبها الآلي في الوقت المناسب لتناول العشاء معي الليلة الماضية؟ أسئلة كانت تشغل باله.

ربّما هناك رجل آخر في حياتها؟

أو قد تكون مريضة؟

توقّف طوم في مكتب روث ويلكوكس في طريقه لمغادرة النادي، وهو على يقين بأنّه لا يفوتها شيء إلّا وتلاحظه. سألها محاولًا التظاهر باللامبالاة «لا أثر لأليس كارول اليوم أيضًا؟ أم أنها باتت تأتي في توقيت آخر؟»

لمح بصيص اهتمام في عيني روث. «الواقع أنّني كنت على وشك الاتصال بها للاطمئنان عليها. كانت دائمًا مواظبة، لم تفوّت يومًا واحدًا على مدى أسبوعين. أخشى أن يكون أصابها مكروه.»

ابتسمت روث بدهاء. «لم لا نتّصل بها حالًا؟ إن أجابت، أتريدني أن أقول لها إنك تسأل عنها وأمرّر المكالمة لك؟»

يا إلهي! فكّر طوم نادمًا على سؤاله. سيعرف الجميع في النادي أن ثمّة ما يجري بيني وبين أليس. حسنًا، قال لنفسه، أنت من طرح المسألة. «الحقّ يقال روث أنّك خير من وكالة تعارف. طبعًا، إن أجابت سوف أتحدّث إليها بكلّ سرور.»

بعدما رن الهاتف أربع مرات، قالت روث «خسارة! لا بدّ أنّها خرجت. لكنّها وضعت المجيب الآلي. سأترك لها رسالة».

قالت روث في رسالتها إنّها كانت تتكلّم مع رجل وسيم تعرفه أليس جيّدًا وتساءلا أين يمكن أن تكون اختفت.

حسنًا، فكّر طوم، هذا سيلزمها على الأقلّ بإعطاء إشارة. إن لم تكن ترغب في الخروج معي، فمن الأفضل أن أعرف ذلك. أتراها لديها مشكلة ما في حياتها؟

خرج ووقف في الشارع بضع دقائق حائرًا. لو التقى أليس في النادي، لكان دعاها لتناول العشاء معه وبعدها يشاهدان فيلمًا، أو على الأقلّ كانت تلك خطته. صالة أبتاون ثياتر كانت تعرض الفيلم الفائز بجائزة مهرجان كان. في وسعه بالطبع الذهاب إلى السينما وحيدًا، لكنّه لم يكن يرغب في مشاهدة الفيلم بمفرده.

بدأ يشعر بالبرد، واقفًا مطرقًا على الرصيف، حائرًا في أمره. بعد التفكير، هزّ كتفيه وقال بصوت عال «لِمَ لا؟» سوف يذهب بسيّارته

إلى منزل أليس. وإن حالفه الحظ، يجدها في منزلها ويسألها إن كانت تودّ الذهاب إلى السينما معه.

حاول الاتصال برقمها مجدّدًا من سيّارته بواسطة هاتفه الجوّال، لكن المجيب الآلي رد عليه. لم تصل بعد إلى شقّتها. توقف عند حافة الطريق خارج مبناها وراح يتأمل واجهته. يذكر أن أليس تقيم في الطبقة الرابعة وأن نوافذها تطل مباشرة على المدخل الأمّامي.

تلك النوافذ كانت مظلمة. قال لنفسه سأنتظر قليلًا، وإن لم تأتِ، أتناول العشاء في مكان ما وأنسى أمر السينما.

مضت أربعون دقيقة. كان على وشك أن يغادر حين سلكت سيّارة الممر نصف الدائري المؤدّي إلى المبنى وتوقّفت. رأى باب الراكب يفتح ولمح أليس تخرج وتهرع إلى داخل المبنى.

ظلّت السيّارة للحظة في نور مصباح الشارع. كانت سيّارة بلايموث خضراء داكنة، بدا عمرها خمس أو ست سنوات. سيّارة عادية لا تتميّز بشيء. لمح السائق ولاحظ بارتياح أنّه لم يكن شابًا. من المستبعد تمامًا أن يشكّل شريكًا رومنطيقيًا لأليس.

كان الهاتف الداخلي في الردهة. ضغط طوم على زرّ الشقّة 4 أف. ردّت أليس ظنًا منها أنّه الرجل الذي نزلت من سيّارته للتوّ. «سيد سفنسون؟»

«لا أليس، إنّه السيد لينش»، قال طوم متّخذًا نبرة وقورة. «هل يمكنني الصعود؟»

حين فتحت لايسي الباب، بدت لطوم مرهقة، بل في حال صدمة تامة. وجدها شاحبة، بشرتها فقدت أيّ لون، وبؤبؤا عينيها متّسعان.

لم يهدر الوقت في المجاملات. «من الواضح أنّه حدث لك أمر فظيع، بادرها بصوت قلق. ما بك أليس؟»

رؤية قامته الطويلة الرشيقة عند الباب، القلق في عينيه، في تعابير وجهه، كونه سعى لرؤيتها بعدما تجاهلت اتصالاته، كاد كلّ ذلك يجهز على لايسي تمامًا.

لكن حين سمعته يناديها باسم أليس، تمكّنت من التماسك واستعادة حدّ أدنى من السيطرة على نفسها. كانت انفجرت غضبًا في السيّارة مع جورج سفنسون في طريق العودة من غرفة الهاتف الآمن إلى شقّتها، فشكت له أمرها على مدى عشرين دقيقة. «ما هي مشكلة بولدوين ذاك؟ أعطيه معلومات من المؤكّد أنّها تفيد التحقيق في هذه القضية، وفي المقابل يعاملني وكأنّني مجرمة! لقد تجاهلني، تصرف معي وكأنّني طفلة. لم يعد الأمر يهمني. بوسعي العودة إلى دياري والتنزه على طول الجادة الخامسة حاملة لافتة تقول ريك باركر شخص عديم الفائدة، أحمق مدلّل لا بدّ أنّه فعل شيئًا فظيعًا لهيذر لاندي حين كانت فتاة في العشرين وصلت للتوّ إلى نيويورك، لأنه بعد أربع سنوات كان لا يزال يرعبها. أرجو من أي شخص يملك معلومات بشأنه أن يتفضل ويعلمني بها.»

اكتفى سفنسون بالقول «هدّئي من روعك أليس. خفّفي عنك.» الواقع أنّ صوته كان من النوع الذي يمكن أن يسكّن أسدًا، كم بالأحرى أليس. هذا بالطبع من المواصفات الملازمة لوظيفته.

أحسّت لايسي في طريق العودة بمصدر قلق جديد. «ماذا لو أرسل بولدوين أحد أفراد فريقه للتكلّم مع والدتها أو مع كيت للتثبت من أنّها لم تكشف لهما مكان إقامتها؟ لن يستغرق الأمر أكثر من دقيقة حتّى يقرأوا الحقيقة على وجه والدتها. لن تكون قادرة البتة

على خداعهم. فهي، على خلافي، لم تتعلّم يومًا كيف تصبح منافقة محترفة. وإن تبين لبولدوين أن والدتي تعلم، فسوف يبدّل مكان إقامتي، إنّني واثقة من ذلك. لن أحتمل أن أعاود الكرّة وأبدأ من جديد مرة أخرى.»

هنا في مينيابوليس لديها على الأقلّ مظاهر وظيفة، وبوادر ما يمكن أن يشبه حياة خاصة.

«أليس، لم تدعيني للدخول. من الأفضل أن تفعلي، لأن لا نية لدي إطلاقًا للرحيل.»

هنا أيضًا التقت طوم لينش.

ابتسمت له لايسي ابتسامة شاحبة. «تفضّل، أرجوك. إنّني سعيدة لرؤيتك طوم. كنت على وشك أن أصبّ لنفسي كأسًا من النبيذ. إنّني بأمسّ الحاجة إليه. هل تنضم إليّ؟»

«بكلّ سرور.» خلع طوم معطفه ورماه على مقعد. «ما رأيك لو أتولّى بنفسي الضيافة؟»، سألها. «هل النبيذ في البرّاد؟»

«لا، الواقع أنّه في قبو النبيذ، مباشرة خلف مطبخي العصري الفاخر.»

المطبخ الضيّق في الشقّة الصغيرة كان كناية عن صفيحة تسخين وفرن صغير ومجلى أشبه بمجسّم وبرّاد بحجم بار صغير.

رفع طوم حاجبيه. «وهل أشعل الحطب في موقد الدار الرئيسي؟»

«فكرة ممتازة. سوف أنتظر على الشرفة.» فتحت لايسي الخزانة وملأت كوبًا من الكاجو. قبل دقيقتين فقط كنت على وشك الانهيار، وها أنا الآن أمزح، فكّرت في نفسها. من الواضح أنّ حضور طوم هو الذي أحدث هذا التحوّل.

جلس عند طرف الأريكة، استراح في جلسته غارقًا في المقعد الوثير ومدّ ساقيه الطويلتين. رفع كأسه ليشرب نخبها. «الجلسة معك طيّبة أليس». استعاد وجهه تعبيره الجدي. «لديّ سؤال أودّ طرحه عليك، وأرجو منك أن تقولي لي الحقيقة. هل ثمّة رجل آخر في حياتك؟»

أجل، أجابت لايسي في رأسها، ثمّة رجل، لكن ليس بالمعنى الذي تقصده. الرجل الذي في حياتي قاتل يطاردني.

«أليس، هل هناك أحد ما؟» كرّر طوم.

نظرت لايسي إلى طوم مليًا. في وسعي أن أحبك، وربّما بدأت أقع في غرامك. تذكّرت أزيز الرصاصات قرب رأسها، كتف بوني تنزف.

لا، لا يمكنني القيام بهذه المجازفة. إنّني مبعدة، منبوذة. وإن علم كالدويل أو أي كان اسمه أنّني هنا، سوف يلحق بي. لا يمكنني أن أعرّض طوم للخطر.

«نعم، أخشى أن يكون هناك أحد ما في حياتي»، أجابت وهي تقاوم مشاعرها لإبقاء نبرتها طبيعية.

بعدها بعشر دقائق، غادر طوم.

35

عرض ريك باركر شقّة إيزابيل وارينغ على أكثر من عشرة زبائن مهتمّين. بدا له أكثر من مرة أنّه شارف على إبرام صفقة البيع، لكن الزبون كان في كلّ مرة ينسحب عندما يحين وقت تقديم عرضه. والآن لديه إمكانية جدية للبيع. مطلّقة خمسينية اسمها شيرلي فوربس. زارت الشقّة ثلاث مرات واتفقت معه على أن يوافيها هناك في الساعة العاشرة والنصف.

حين دخل إلى مكتبه هذا الصباح، كان الهاتف يرن. كان ذلك المفتّش إيد سلون يتصل به. «ريك، لم نتكلّم منذ أسبوعين»، قال سلون. «أعتقد أنّه يجدر بك أن تأتي لمقابلتي اليوم. أريد فقط أن أرى إن كانت ذاكرتك تحسنت ربّما قليلًا منذ لقائنا الأخير.»

«لا أرى ما يمكن أن أتذكّره»، أجاب ريك بنبرة جافة.

«بل أنا واثق من العكس. عند الظهر. لا تتأخّر.»

انتفض ريك حين أقفل سلون الخطّ بشكل مفاجئ. جلس متثاقلًا في الكرسي وراح يفرك جبينه وقد بدأت قطرات من العرق

البارد تتصبّب عليه. ذلك الطرق الوحشي المتواصل داخل رأسه، وكأنّ جمجمته على وشك الانفجار.

إنّني أسرف في تناول الكحول، قال ريك لنفسه. يجدر بي أن أخفّف الوتيرة.

الليلة الماضية قام بجولة على حاناته المفضّلة. هل حصل أمر ما؟ يذكر بشكل مبهم أنّه أنهى جولته في مطعم لاندي لتناول كأس أخير، ولو انه لم يكن من روّاد هذا المكان. أراد أن يرى صور هيذر على الجداريات.

نسيت أنّهم محوا صورها، فكّر. هل أقدمت على حماقة ما وأنا هناك؟ هل قلت شيئًا ما لجيمي بشأن اللوحات؟ هل قلت أي شيء عن هيذر؟

كان بغنى تام هذا الصباح عن العودة إلى شقّة هيذر مباشرة قبل المثول في مكتب سلون، لكنّه لا يسعه إلغاء الموعد. شيرلي فوربس أوضحت له أنّها ستأتي إلى الشقّة مباشرة من موعد عند الطبيب وكان على يقين بأنّ آخر ما يودّ أن يقوله لوالده إنّه ترك صفقة محتملة جديدة لبيع هذه الشقّة تفلت من بين يديه.

«ريك.»

رفع عينيه فرأى ار. جي. باركر واقفًا أمام مكتبه، مسلّطًا عليه عينين صارمتين. «ذهبتُ لتناول العشاء الليلة الماضية في مطعم لاندي»، قال والده. «جيمي يريد أن يتم بيع الشقّة. قلتُ له إنك على موعد هذا الصباح مع شخص مهتم بها فعليًا. قال إنّه على استعداد لإتمام الصفقة بسعر أقل بمئة ألف من الستمئة ألف التي كان يطلبها، لمجرّد التخلص من الشقّة.»

«إنّني في طريقي الآن للقاء السيدة فوربس، أبي.»

يا إلهي! فكّر، ار. جي. كان في مطعم لاندي الليلة الماضية. كان من الممكن أن ألتقيه! راح قلبه يطرق بجنون في صدره لمجرد احتمال حصول لقاء كارثي كهذا.

«ريك، لا حاجة لأن أوضح لك أنّه كلما أسرعنا في التخلص من هذه الشقّة، تراجعت فرص أن يكتشف جيمي...»

«أعرف أبي، أعرف.» دفع بيل كرسيه إلى الخلف ونهض. «عليّ أن أذهب».

«آسفة، هذا ما أبحث عنه تمامًا، لكنّني واثقة من أنّني لن أتمكن من قضاء لحظة واحدة مطمئنة البال وأنا وحيدة في هذه الشقّة. سأفكر باستمرار كيف قتلت تلك المرأة المسكينة، محاصرة وعزلاء.»

أعلنت شيرلي فوربس قرارها فيما كانت واقفة مع ريك في غرفة النوم التي قتلت فيها إيزابيل وارينغ. قطع الأثاث تركت على حالها في الشقّة. نظرت فوربس من حولها في الغرفة. «راجعت كلّ تقارير الصحف عن الجريمة على الإنترنت»، قالت بصوت منخفض كأنها تكشف له سرًا. «كانت السيدة وارينغ على ما فهمت متّكئة إلى هذا اللوح بالذات عند مقدم السرير.»

أشارت السيدة فوربس إلى السرير وعيناها متسعتين خلف نظارتيها العريضتين. «قرأت كلّ شيء عن الجريمة. كانت مستلقية هنا تمامًا في غرفة نومها فدخل أحد ما وأطلق النار عليها. تعتقد الشرطة أنّها حاولت الفرار لكن القاتل اعترض الباب، فتراجعت إلى السرير ورفعت يدها لحماية نفسها. لذلك كانت يدها مضرّجة بالدماء

إلى هذا الحد. ثمّ دخلت الوسيطة العقارية تلك لتسمعها تستنجد. فكِّر للحظة أن تلك الوسيطة كان يمكن أن تقتل هي أيضًا. عندها لكانت وقعت جريمتا قتل دفعة واحدة في هذه الشقّة».

التفت ريك بجلافة. «ممتاز. لقد وضّحت وجهة نظرك. لنخرج الآن».

تبعته المرأة عبر غرفة الجلوس ونزولًا على السلالم. «أخشى أن أكون أثرت مشاعرك سيد باركر. إنّني آسفة على ذلك. هل كنت تعرف هيذر لاندي أو السيدة وارينغ؟». ودّ ريك لو ينتزع عن وجهها تلك النظارات الغبية ويطحنها تحت قدميه. ودّ لو يدفع هذه المرأة، هذه الفضولية المتلصصة، على الأدراج. هذا ما هي عليه في الواقع، قال لنفسه. مجرد متلصصة، تهدر وقتي وتبعث فيّ الغثيان. الأرجح أنّها لم تطلب زيارة الشقّة إلّا بسبب جريمة القتل، بدون أن تكون لديها أي نية في الشراء إطلاقًا».

كانت لديه شقق أخرى يعرضها عليها، لكنّه عدل عن ذلك. لتذهب إلى الجحيم! وفرت عليه عناء طردها من الشقّة إذ بادرت بالقول «علي أن أسرع الآن. سأتصل بك بعد بضعة أيام لأرى إن كانت لديك عروض جديدة لي».

خرجت. توجه ريك إلى حجرة التواليت الصغيرة، فتح باب خزانة المناشف وأخرج زجاجة من مخبئها. حمل الزجاجة إلى المطبخ، أخرج كوبًا من إحدى الخزائن وملأ نصفها بالفودكا. ابتلع جرعة طويلة وجلس على مقعد خلف البار الذي يفصل المطبخ عن غرفة الطعام.

راح يحملق بمصباح صغير عند طرف البار بدون أن يتمكن من تحويل نظره عنه. كانت قاعدة المصباح على شكل إبريق شاي. يذكر هذا المصباح جيّدًا.

«إنّه مصباح علاء الدين خاصتي»، قالت هيذر يوم لمحته في أحد محلات الأغراض المستعملة غرب الشارع الثمانين. أضافت «سوف أفركه ليجلب لي الحظ». أمسكت المصباح وراحت ترنّم بصوت خفيض غامض «يا جنيّ المصباح، حقق لي بقوتك أمنيتي. دعني أحصل على الدور الذي قمت باختبار لأجله. سلّط الأضواء على اسمي». ثمّ أضافت بصوت قلق «ولا تدع بابي يغضب مني كثيرًا حين أخبره أنّني اشتريت شقّة بدون طلب إذنه».

التفتت إلى ريك مقطّبة حاجبيها وقالت «إنّها أموالي، أو على الأقلّ هو قال لي أن بوسعي استخدامها كما أشاء. لكنّني في الوقت نفسه أعرف أنّه كان يود أن آخذ برأيه بشأن المكان الذي سأعيش فيه هنا. يكفيه قلقًا بعدما قرّرت التخلي عن دروسي الجامعية والانتقال إلى نيويورك للعيش بمفردي».

ثمّ عادت الابتسامة إلى وجهها كانت ابتسامتها ساحرة، تذكّر ريك وفركت المصباح مرة جديدة. «لكنّه قد لا يعترض»، قالت. «إنّني واثقة من أنّ العثور على هذا المصباح السحري هو إشارة إلى أن كلّ شيء سيكون على ما يرام».

نظر ريك إلى المصباح الموضوع على البار. مدّ يده وجذبه إليه، شادًا بعنف على الشريط الكهربائي.

في الأسبوع التالي، توسّلت هيذر إليه كي يلغي صفقة البيع ويعيد لها الدفعة المسبقة التي سددتها. «أخبرت والدتي على الهاتف أنّني وجدت شقّة أعجبتني. أقلقها الأمر كثيرًا وقالت لي إن والدي أعدّ لي مفاجأة، فقد اشترى لي شقّة على تقاطع الجادة الخامسة وشرق الشارع السبعين. لا يمكنني أن أقول له الآن إنّني اشتريت شقّة من تلقاء نفسي بدون إذنه. أنت لا تعرفه ريك»، تابعت

مستجدية. «ريك، أرجوك، الوكالة ملك لعائلتك. بوسعك مساعدتي.»

صوّب ريك إلى الجدار فوق المجلى ورمى المصباح بكلّ ما لديه من قوّة.

صحيح أن جني المصباح حصل لهيذر على ذلك الدور في المسرحية الاستعراضية، لكنّه لم يساعدها كثيرًا في ما بعد.

قدّمت المفتّشة بيتي بوندز التي عرفها ريك باركر باسم شيرلي فوربس، تقريرها إلى المفتّش سلون في مركز شرطة المنطقة التاسعة عشرة. قالت «باركر في حالة من العصبية لا توصف، إلى حدّ أنّه يرتعش ولا يتمالك نفسه عن الحراك باستمرار. سوف ينهار قريبًا. كان ينبغي أن ترى عينيه حين وصفت له كيف قتلت إيزابيل وارينغ. بدا ريك باركر مذعورًا تمامًا.»

«لو يعرف ما ينتظره، لكان أشدّ قلقًا بعد»، رد سلون. «العملاء الفدراليون يستجوبون في هذه اللحظة شخصًا يمكنه أن يؤكّد وجود باركر في ستوي بعد ظهر اليوم الذي قُتلت فيه هيذر لاندي.»

«في أي ساعة تنتظر حضوره؟» سألت بوندز.

«عند الظهر.»

«ستحين الساعة قريبًا. سأخرج من هنا. لا أريده أن يراني.» أشارت بيدها وخرجت من قاعة رجال الشرطة.

مضى الوقت. الثانية عشرة والربع، ثمّ الثانية عشرة والنصف. في الساعة الواحدة، اتصل سلون بوكالة باركر وباركر، فقيل له إن ريك باركر كان لديه موعد في العاشرة والنصف وغادر المكتب.

في صباح اليوم التالي، بدا جليًا أن ريك باركر اختفى بكلّ بساطة، سواء طوعًا أو قسرًا.

36

رأت لايسي بوضوح أنّه لم يعد بوسعها الاستمرار في الذهاب إلى نادي توين سيتيز، لأنها ستلتقي هناك في كلّ مرة بطوم لينش. حتّى لو قالت له إن هناك رجلًا في حياتها، فهي واثقة من أنّهما إن استمرا في الالتقاء يومًا بعد يوم في النادي الرياضي، فسوف يخرجان معًا في نهاية الأمر، وسيترتّب عليها الاستمرار في المراوغة والكذب، وهو ما لا يمكن أن تحتمله.

إنّه يعجبها بالتأكيد، ولكانت ودّت التعرف إليه أكثر. يمكنها تصور نفسها جالسة معه إلى طاولة أمام طبق من البيتزا وكأس من النبيذ الأحمر، تخبره عن والدتها ووالدها، عن كيت وجاي والأولاد.

لكن ما لا يمكن أن تتصوّره هو تلفيق القصص عن والدتها المقيمة في إنكلترا، عن المدرسة التي لم تذهب إليها يومًا، وعن صديقها غير الموجود.

قالت كايت نولز إن طوم مولع بنيويورك وإنه سيقيم هناك حتمًا في نهاية المطاف. إلى أي حد كان يعرف نيويورك حقًّا؟ تساءلت لايسي. كم كانت استمتعت باصطحابه في جولة على المدينة على طريقة جاك فاريل! شرق المدينة، غرب المدينة، في كلّ أرجائها.

تبيّن للايسي خلال الأيام التي تلت زيارة طوم الأخيرة إلى شقّتها، أنّها حين تغفو بعد طول أرق، تحلم به. وفي تلك الأحلام الغامضة، كان جرس بابها يرن، فتفتح الباب ويقول لها «لا أليس، إنّه السيد لينش»، تمامًا مثلما قال لها حين اتصل بها من هاتف المبنى الداخلي.

لكن في الليلة الثالثة، تبدّل الحلم. هذه المرة، فيما كان طوم يتقدّم صوبها في الرواق، فتح باب المصعد وخرج منه كورتيس كالدويل وبيده مسدس يصوّبه إلى ظهر طوم.

في تلك الليلة، استيقظت لايسي وهي تصرخ محاولة تنبيه طوم، محاولة جذبه إلى الشقّة وإغلاق الباب ليحتميا في الداخل.

كان العمل في وكالة ميليسنت رويس أشبه بطوق نجاة ألقي لها فيما كانت تتخبّط وسط بحر من الكآبة. دعتها ميليسنت لمرافقتها في عدد من المواعيد مع زبائن، سواء لعرض منازل على زبائن محتملين، أو لتسلم عروض جديدة للبيع.

الموقع، الموقع، الموقع. في مانهاتن، يرتفع سعر الشقق بشكل هائل إن كانت تطلّ على منتزه أو نهر. ودّت لايسي لو تتبادل قصصًا طريفة مع ميليسنت عن بعض الزبائن الغريبي الأطوار الذين تعاملت معهم خلال كلّ هذه السنوات.

كان المساء هو الوقت الأكثر كآبة من النهار. يمتدّ طويلًا وموحشًا وسط عزلتها. قامت بمجهود ليل الخميس وأرغمت نفسها على الذهاب إلى السينما. كانت الصالة نصف خالية فيها صفوف كاملة من المقاعد الفارغة. لكن قبل أن يبدأ الفيلم بقليل، دخل رجل منحدرًا عبر الممرّ، وحين تجاوز الصف الذي كانت جالسة فيه، التفت، نظر من حوله واختار الجلوس خلفها مباشرة.

كلّ ما تمكّنت من تمييزه في العتمة أنّه كان متوسّط القامة رشيقًا. تسارعت دقّات قلبها.

وفيما كانت أسماء الممثلين وفريق الإخراج تتوالى على الشاشة، كان بوسعها أن تشم رائحة فشار الذرة الذي أحضره معه. ثمّ أحسّت فجأة بيد تربت على كتفها. شلّها الفزع، لكنّها بذلت مجهودًا بدا لها فوق طاقتها البشرية لتدير رأسها وتنظر إليه.

مدّ لها قفّازًا وسألها «هل هذا لك سيدتي؟ كان تحت مقعدك».

لم تبق لايسي لمشاهدة الفيلم. وجدت من المستحيل أن تركّز انتباهها على الشاشة.

سألت ميليسنت لايسي صباح الجمعة إن كانت لديها مشاريع لنهاية الأسبوع.

«بشكل أساسي، البحث عن نادٍ أو مركز رياضي. النادي الذي اشتركت فيه جيد، لكنّه لا يتضمن ملعبًا للسكواش، واشتقت لممارسة هذه الرياضة.»

بالطبع، لم يكن هذا السبب الحقيقي خلف انقطاعها عن مركز توين سيتيز، لكن لمرة، لم تكن تكذب تمامًا.

«سمعت عن ناد رياضي جديد في إيدينا يقال إن فيه ملعب سكواش ممتازًا»، قالت ميليسنت. «دعيني أستوضح الأمر لك.»

بعد دقائق قليلة، عادت إلى مكتب لايسي وعلى وجهها ابتسامة انتصار. «كنت على حق»، قالت لها. «ولأنّ النادي جديد، فهو يقدّم حاليًا حسمًا للمنتسبين.»

حين خرجت ميليسنت لاحقًا في موعد، اتّصلت لايسي بجورج سفنسون لتقدّم له طلبين. أرادت التحدّث إلى المدعي العام الفدرالي غاري بولدوين مرة جديدة. «من حقّي أن أعرف ما يجري»، قالت له.

ثمّ أضافت «بدأ البعض يطرح أسئلة فضولية في نادي توين سيتيز. أجد نفسي مضطرّة أن أطلب منك تسليفي بدل الاشتراك في ناد آخر.»

متسوّلة، قالت لنفسها يائسة فيما كانت تنتظر الجواب. لست منافقة فحسب، بل متسوّلة أيضًا!

أجابها سفنسون بدون أي تردّد «موافق. التغيير سيكون مفيدًا لك.»

37

كانت لوتي هوفمان تقرأ صحف نيويورك كلّ صباح وهي تتناول فطورها وحيدة. ظلّت على مدى خمسة وأربعين عامًا تتناول الفطور برفقة ماكس. مضى أكثر من عام بقليل على رحيله، ولا تزال لوتي لا تصدّق كيف خرج ماكس في ذلك اليوم من أوائل ديسمبر للقيام بنزهته الصباحية اليومية ولم يعد.

لفت انتباهها خبر في الصفحة الثالثة من دايلي نيوز: اختفاء ريتشارد ج. باركر جونيور، مطلوب للاستجواب في قضية قتل إيزابيل وارينغ. ماذا حصل له؟ تساءلت متوتّرة.

نهضت لوتي دافعة كرسيها وذهبت إلى المكتب في غرفة الجلوس. فتحت الدرج في الوسط، أخرجت منه رسالة كتبتها إيزابيل وارينغ لماكس عشية مقتلها وقرأتها مرة جديدة.

«عزيزي ماكس،

حاولت الاتصال بك اليوم لكن رقمك لم يعد مدرجًا في الدليل، لذلك أكتب لك هذه الرسالة. وردك بالتأكيد أن هيذر قتلت في حادث سير في ديسمبر الماضي. كانت خسارة هائلة لي بالطبع، لكن الظروف المحيطة بمقتلها كانت مقلقة ومريبة للغاية.

فيما كنت أوضّب شقّتها، عثرت على يوميّاتها، وقد ذكرت فيها أنّها كانت ستلتقيك لتتناولا الغداء معًا. كان ذلك قبل خمسة أيام فقط من مقتلها. وبعد ذلك لم تأت على ذكرك أو على ذكر الغداء معك. عوضًا عن ذلك، يشير المقطعان التاليان من اليوميّات بوضوح إلى أنّها كانت قلقة ومشوّشة الأفكار، ولو أنّه ليس هناك أي ذكر لما كان يقلقها.

ماكس، أنت عملت في مطعم جيمي خلال أوّل خمسة عشر عامًا من حياة هيذر. كنت أفضل كبير خدم عمل لدى جيمي، وأعرف كم أسِف على رحيلك. أتذكّر، حين كانت هيذر طفلة في عامها الثاني، كيف كنت تقوم بألعاب سحرية حتّى تجلس بلا حراك ليتمكّن الفنّان من رسمها في الجدارية؟ كانت هيذر تحبّك وتثق بك، وآمل أن تكون فتحت لك قلبها حين قابلتك.

في مطلق الأحوال، هل يمكنك الاتصال بي؟ أقيم في شقّة هيذر. الرقم هو 555-2437.»

أعادت لوتي الرسالة إلى الدرج وعادت للجلوس إلى الطاولة. تناولت فنجان القهوة، لكن يدها اليمنى كانت ترتجف إلى حدّ أنّه ترتب عليها أن تسند الفنجان بأصابع يدها اليسرى. منذ ذلك الصباح الفظيع، حين رنّ جرس المدخل ففتحت الباب لترى شرطيًا واقفًا أمامها... منذ ذلك الصباح الفظيع، وهي تشعر بعبء كلّ سنة من سنواتها الأربع والسبعين.

سرحت بأفكارها في تلك الفترة. اتّصلتُ بإيزابيل وارينغ، تذكّرَتْ بتوتّر شديد، كم كانت صدمتها هائلة حين أخبرتها أن ماكس قُتل قبل

يومين فقط من مقتل هيذر. صدمته سيّارة ولاذت بالفرار. كنت لا أزال أعتقد في ذلك الوقت أنّه قُتل في حادث.

تذكّر أنّ إيزابيل سألتها إن كانت لديها مطلق فكرة عما دار من حديث بين ماكس وهيذر.

كان ماكس يقول على الدوام إنّه في مجال عمله، يسمع الواحد الكثير، لكنّه يتعلم أن يبقي فمه مغلقًا. هزت لوتي رأسها. حسنًا، لا بدّ أنّه خالف هذه القاعدة حين تكلّم مع هيذر، وأعرف الآن أنّه دفع الثمن بحياته.

حاولَتْ أن تساعد إيزابيل. أخبرتُها بما كنت أعرفه، تذكّرت، قلت لها إنّني لم ألتقِ هيذر يومًا، ولو أنّني ذهبت مع مجموعة صديقات لمشاهدة مسرحية «الصديق» وقت كانت تشارك فيها. وبعد ذلك بوقت قصير، ذهبت لوتي في رحلة مع المجموعة ذاتها إلى منتجع موهونك ماونتن هاوس في جبال كاتسكيلز. وهناك لمحَتْ هيذر مرة ثانية وأخيرة. كنت أقوم بنزهة في مسالك المنتجع حين لمحْتُ فتى وفتاة في ملابس التزلّج يتعانقان تحت سقيفة المَطَلّ مثل حبيبَين رومنطيقيَّين. عرَفْتُ هيذر، لكنّني لم أعرف الرجل الذي كانت معه. في تلك الليلة أخبرْتُ ماكس بالأمر.

تذكر أنّه سألها عن صديق هيذر. حين وصفْتُه له، عرف ماكس عمّن كنت أتكلّم وقلق قلقًا فظيعًا. قال إن ما يعرفه عن هذا الرجل كفيل بزرع الهلع في نفسي. قال إن الرجل يتوخى أقصى درجات الحرص، وإن أحدًا لا يشتبه به البتة، لكن ماكس قال إنّه تاجر مخدرات ويحترف الابتزاز.

لم يكشف لي ماكس اسم الرجل، وحين كنت على وشك أن أصفه لإيزابيل وارينغ ليلة اتصلْتُ بها، قالت إيزابيل «أسمع أحدًا في

الأسفل. لا بدّ أنّها الوكيلة العقارية. أعطني رقم هاتفك وسأتّصل بك حالًا».

تذكّر لوتي كيف ردّدت إيزابيل الرقم عدة مرات، ثمّ أقفلت الهاتف. انتظرْتُ اتصالها طوال المساء، فكّرت لوتي، ثمّ سمعْتُ نشرة أخبار الحادية عشرة.

عندها فقط أدركَتْ حقيقة ما حصل وتسلسل الأحداث. الشخص الذي دخل منزل إيزابيل حين كانت تكلّمها على الهاتف لا بدّ أنّه من قتلها. إيزابيل قُتلت لأنها لم تتوقّف عن البحث عن السبب في مقتل هيذر. والآن باتت لوتي على قناعة بأنّ ماكس قتل لأنه حذر هيذر من الرجل الذي كانت تواعده.

يمكنني التعرف إلى هذا الرجل إن رأيته، فكّرَتْ، لكن لا أحد يعرف ذلك والحمد لله. كانت لوتي واثقة من أمر، وهو أنّه أيًا كان ما قاله ماكس لهيذر حين نبهها إلى الرجل، فهو حرص بالتأكيد على عدم توريط لوتي بشيء. لم يكن ماكس ليعرّض حياتها للخطر مهما حصل.

لنفترض أن الشرطة حضرت إلى هنا في أي وقت من الأوقات، تساءلت فجأة، فما الذي كان ماكس يودّني أن أفعله في مثل هذه الحالة؟

كان الجواب على هذا السؤال مطَمْئنًا للغاية، وقد اتّضح في ذهنها بشكل جليّ وكأنّ ماكس جالس أمّامها عند الطرف المقابل من الطاولة يقول لها محذّرًا «لا تفعلي شيئا إطلاقًا لوتي، وأبقي فمك مغلقًا».

38

تبيّن لساندي سافارانو أنّ بحثه يستغرق من الوقت أكثر ممّا كان يتوقّع. بعض الوكالات العقارية تجاوبت معه وردّت على أسئلته. تلك التي قالت له إنّها وظفت نساء تتراوح أعمارهن بين الخامسة والعشرين والخامسة والثلاثين كان يتعيّن التثبت منها، ما يعني مراقبتها في موقعها. بعض الوكالات الأخرى رفضت إعطاءه معلومات على الهاتف، ما يعني أنّه سيترتّب عليه مراقبتها أيضًا.

في الصباح، كان يتوجّه بسيّارته إلى مختلف الوكالات، الواحدة تلو الأخرى للتحقّق منها، موليًا اهتمامًا خاصًا للوكالات العائلية الصغيرة. غالبًا ما تقع مكاتب هذا النوع من الشركات على الشارع مباشرة، بحيث يكون العبور أمامها واستراق النظر إلى داخلها كافيًا للكشف على ما يجري فيها. بعضها لم يكن يديره أكثر من شخصين، كان ذلك واضحًا. أمّا الوكالات التي يتبيّن أنّها أكبر حجمًا وازدهارًا ممّا كان يظنّ، فلم يكن يعيرها الكثير من الاهتمام. فهي ليست من النوع الذي يمكن أن يوظّف أحدًا بدون التدقيق في ماضيه وسيرته.

وفي المساء، كان يجول على النوادي والمراكز الرياضية. وقبل الدخول إلى أحدها، يركن سيّارته لفترة من الوقت أمّامها ليراقب الوافدين إليها والخارجين منها.

لم يكن يساور ساندي أدنى شك بأنّه سيعثر على لايسي فاريل في نهاية المطاف. نوع العمل الذي ستبحث عنه على الأرجح وطبيعة الترفيه الذي يستهويها كانا أكثر ممّا يكفي لإيصاله إليها. الأشخاص لا يبدلون عاداتهم بمجرد أن يبدلوا اسمهم. سبق أن طارد فرائس في الماضي انطلاقًا من أقل من ذلك بكثير. سوف يجدها، إنّها مسألة وقت وحسب.

ما زال ساندي يعتزّ بذكرى جونيور، مخبر الأف بي آي الذي اقتفى أثره حتّى دالاس. الخيط الوحيد المتين الذي كان يملكه هو أن جونيور كان مولعًا بالسوشي. لكن المشكلة كانت أن السوشي أصبح طبقًا رائجًا جدًّا وقد فتحت مؤخّرًا مطاعم يابانية كثيرة في دالاس. كان ساندي متوقّفًا في سيّارته خارج مطعم يدعى «سوشي زن» حين خرج منه جونيور.

يجد ساندي متعة في استذكار التعبير على وجه جونيور حين رأى زجاج السيّارة الداكن ينفتح وأدرك ما ينتظره. الرصاصة الأولى صوّبها إلى معدته لإيقاظ كلّ تلك الأسماك النيئة. الثانية أصابته في قلبه. والثالثة في رأسه كانت بمثابة خاطر أخير يستودعه به.

كان الوقت يقارب الظهر حين توجّه ساندي إلى إيدينا للكشف على وكالة رويس ريلتي. المرأة التي كلّمها على الهاتف بدت له صارمة من نوع معلمات المدارس. ردّت على أسئلته الأولى بدون أن تمانع.

نعم، كانت توظّف امرأة شابة في السادسة والعشرين من العمر، كانت تنوي خوض الامتحانات للحصول على رخصة الوكيل العقاري، لكنّها الآن في عطلة أمومة.

سألها ساندي إن كانت استبدلتها.

لحظة التردد في الطرف الآخر من الخطّ هي التي أثارت اهتمامه. لم تكن تشير إلى النفي، ولا إلى التأكيد. قالت السيدة رويس أخيرًا «لديّ مرشّحة لهذا المنصب في بالي. وهي أيضًا من شريحة الخامسة والعشرين إلى الخامسة والثلاثين.»

حين وصل ساندي إلى إيدينا، ركن سيّارته في موقف السوبرماركت في جهة الشارع المقابلة لمكتب رويس ريلتي. بقي في موقعه حوالى عشرين دقيقة يدرس المنطقة بشكل مفصّل. كان هناك محل للأطعمة الجاهزة ملاصقًا للوكالة، يشهد حركة زبائن متواصلة. وجد أيضًا متجرًا للأواني المطبخية على مسافة بضعة مبانٍ عليه إقبال كبير بدوره. غير أنّه لم يرَ أيًّا كان يدخل مكتب رويس ريلتي أو يخرج منه.

ترجّل ساندي أخيرًا من السيّارة، قطع الشارع وعبر متمّهلًا أمام الوكالة كمن يتسكّع، مسترقًا النظر إلى الداخل. ثمّ توقف أمام الواجهة، متظاهرًا بقراءة منشور معروض في وسطها.

رأى في ردهة الاستقبال مكتبًا عليه رزمة أوراق موضّبة بعناية، ما يوحي بوجود موظّف. لمح في الخلف امرأة جسيمة شعرها رمادي، جالسة خلف مكتب في غرفة خاصة.

قرر ساندي الدخول.

رفعت ميليسنت رويس عينيها عن ملفاتها حين سمعت جرس الباب يعلن دخول زائر. رأت رجلًا يرتدي ملابس رزينة من الطراز التقليدي، شعره ضارب في الشيب، قدّرت أنّه في أواخر الخمسينات من العمر. خرجت من مكتبها لاستقباله.

كانت قصّته بسيطة وقصيرة. قال إنّه يدعى بول غيلبرت وإنه يزور توين سيتيز في رحلة عمل لحساب ثري إم «إنّه اختصار لشركة مينيسوتا للمناجم والتصنيع»، كما أوضح وهو يبتسم لها كأنّما ليعتذر عن استخدامه تلك التسمية.

«زوجي عمل في هذه الشركة طوال حياته»، ردّت ميليسنت وهي تشعر بامتعاض لم تتمكن من تبريره لافتراض هذا الشخص الذي لا تعرفه أنّها لن تفهم معنى ثري إم.

«سيُنقل صهري إلى هنا»، تابع، «وقيل لابنتي إن إيدينا مكان يطيب فيه العيش. إنّها حامل. فكّرت أن أقوم بجولة من أجلها على بعض الشقق طالما أنّني موجود هنا.»

كبتت ميليسنت رويس إحساسها بالامتعاض وقالت له «إنك حقًّا والد محبّ! دعني أطرح عليك بعض الأسئلة لتكون لديّ فكرة عمّا تبحث عنه ابنتك».

ردّ ساندي بدون أدنى ارتباك على الأسئلة عن عمر ابنته وعنوانها وحاجات عائلتها، ومن بينها «دار حضانة لابنها البالغ من العمر أربع سنوات، وحديقة بحجم مقبول خلف المنزل، ومطبخ فسيح، فهي تهوى الطهو». غادر بعد نصف ساعة وفي جيبه بطاقة ميليسنت رويس، وقد وعدته بأنّها ستجد له المنزل المناسب. الواقع أنّ ثمّة منزلًا سيطرح للبيع قريبًا قد يكون مثاليًّا، كما وعدته.

عبر ساندي الشارع من جديد وجلس في سيّارته، محدّقًا في مدخل الوكالة بدون أن يحوّل نظره لحظة. تصوّر أنّه إن كانت هناك موظفة تستخدم مكتب الاستقبال، فلا بدّ أنّها خرجت لتناول الغداء وستعود قريبًا.

بعد عشر دقائق، دخلت الوكالة امرأة شابة شقراء. أتراها زبونة أم موظفة؟ تساءل ساندي. ترجّل وعبر الشارع للمرة الثالثة، محترسًا حتّى لا يشاهده أحد من داخل مكتب الوكالة العقارية. وقف بضع دقائق أمام واجهة متجر الأطعمة الجاهزة، مستغرقًا في قراءة قائمة الأطباق، وبين الحين والآخر، كان يسترق النظر من طرف عينه إلى وكالة رويس.

رأى المرأة الشابة الشقراء جالسة خلف مكتب الاستقبال، تتحدّث مع السيدة رويس بانفعال.

لسوء حظ ساندي، لم يكن يحسن قراءة الشفاه، لأنه لكان قرأ على شفاه ريجينا «ميليسنت، لا يمكن أن تتخيّلي كم أن الجلوس خلف هذا المكتب أسهل من الاعتناء بطفل مصاب بالمغص! ولا بدّ أن أقرّ بأنّ مساعدتك الجديدة تبقيه أكثر ترتيبًا منّي بكثير».

عاد ساندي مسرعًا إلى سيّارته وأقلع مغادرًا، وقد تملّكه الغضب لإهدار كلّ هذا الوقت. مناورة أخرى فاشلة! لكن ما زالت لديه خيوط أخرى يمكن تقصّيها في المنطقة، فقرر مواصلة جولاته على وكالات الضواحي. لكنّه كان عازمًا على العودة إلى وسط مينيابوليس عصرًا، في التوقيت المناسب لزيارة النوادي الرياضية.

النادي التالي على لائحته كان مركز توين سيتيز الرياضي، في جادة هينيبين.

39

«هيّا بوني، كوني طفلة لطيفة. تعلمين جيّدًا أنّك تفرحين حين تهتمّ بك جاين»، قالت كيت محاولة إقناع ابنتها. «أنا وبابا ونانا ذاهبون لتناول العشاء في نيويورك. لن نتأخر، أعدك بذلك. لكن يجب الآن أن تدعي ماما ترتدي ملابسها وتتحضّر.»

نظرت وقلبها يعتصر في وجه ابنتها الحزين. «لا تنسي، نانا وعدت بأنّه حين تتصل لايسي الأسبوع المقبل، سوف تتكلّمين معها».

كان جاي يعقد ربطة عنقه. التقت نظراتهما من فوق رأس بوني. كانت تتوسله بعينيها أن يبتكر حجة ما يُرضي بها ابنتهما.

«لديّ فكرة، بوني»، قال بصوت مبتهج. «من يريد سماعها؟»

لم تنظر بوني إليه.

«أنا أريد سماعها»، أجابت كيت متطوّعة.

«حين تعود لايسي، سوف أرسلهما هي وبوني إلى ديزني وورلد. الاثنتان معًا ولا أحد سواهما. ما رأيكما؟»

«لكن متى تعود لايسي؟» همست بوني.

«قريبًا جدًّا»، أجابت كيت بحماسة.

«هل ستكون هنا في عيد ميلادي؟» كان هناك بصيص أمل في صوت الفتاة.

بوني ستبلغ الخامسة في الأوّل من مارس.

«نعم، ستكون هنا في عيد ميلادك»، وعدها جاي. «والآن انزلي إلى المطبخ حبيبتي. جاين تريدك أن تساعديها في صنع كعك بالشوكولاتة.»

«عيد ميلادي لم يعد بعيدًا»، قالت بوني بفرح وهي تقفز مبتعدة عن مزيّنة كيت.

انتظرت كيت إلى أن سمعت خطى بوني تنزل الدرج. «جاي، كيف أمكنك...؟»

«اسمعي كيت، أعرف أنّني ارتكبت خطأ، لكن كان لا بدّ من قول أي شيء يفرحها. لا يمكننا أن نتأخّر على هذا العشاء تحديدًا. لا أعتقد أنّك تدركين كم بذلت من الجهود للحصول على هذه الطلبية لكازينو جيمي لاندي. بقيَتْ أبوابه لفترة طويلة موصدة تمامًا في وجهي. الواقع أنّه تلقّى عروضًا أفضل على بعض الطلبيّات الكبرى. الآن وقد عدت مطروحًا معهم، لا يمكن أن أدع أيّ شيء يخرج عن السكّة.»

ارتدى سترته. «أمر آخر كيت، تذكّري أنّ جيمي اكتشف للتو من خلال تحرّ خاص استأجر خدماته، أنّ لايسي شقيقة زوجتي. في الحقيقة، قال أليكس إنّ هذا ما جعل لاندي يطلب منه ترتيب العشاء.»

«ولماذا أليكس تحديدًا؟»

«لأنّه علم أيضًا أنّ أليكس يقابل والدتك.»

«ماذا يعرف عنّا بعد؟» سألت كيت غاضبة. «هل يعرف أن شقيقتي كادت تُقتل لو وصلت إلى تلك الشقّة قبل خمس دقائق فقط؟

هل يعرف أن طفلتنا لا تزال تتعافى من إصابة بالرصاص وهي تتلّقى علاجًا لإصابتها بالاكتئاب؟»

وضع جاي تايلور ذراعه حول كتفي زوجته. «كيت، أرجوك! ستسير الأمور على ما يرام، أعدك بذلك. لكن الآن علينا أن ننطلق. لا تنسي، ما زال علينا المرور بشقة والدتك».

سحبت منى فاريل الهاتف إلى مقربة من النافذة وكانت تنظر إلى الخارج حين رأت السيّارة تتوقّف. «لقد وصلا لايسي»، قالت. «عليّ أن أذهب الآن.»

كانتا تتكلّمان منذ حوالى أربعين دقيقة. تعرف لايسي أن نائب المارشال سفنسون سيفقد صبره، لكنّها تجد صعوبة هذه الليلة تحديدًا في إغلاق الخطّ. قضت يومًا طويلًا جدًّا، ويتهيّأ لها دائما أن نهايات الأسبوع تمتد أمّامها بلا نهاية.

في مثل هذا الوقت من يوم الجمعة الماضي، كانت تتطلع لموعدها مع طوم لينش. أمّا الآن، فليس لديها ما تنتظره.

حين سألت عن بوني، فهمت من اندفاع والدتها لطمأنتها بحماسة فائقة أنّها لم تشفَ بعد.

كما أنّها لم تطمئنّ للدعوة التي تلقتها والدتها وكيت وجاي لتناول العشاء في تلك الليلة مع جيمي لاندي في مطعم أليكس كاربين. نبّهت لايسي والدتها وهي تستودعها «باللّه أمي، انتبهي، لا تقولي لأحد أين أنا. يجب أن تقسمي لي».

«لايسي، ألا تعتقدين أنّني أدرك الخطر الذي أعرّضك له؟ لا تخافي، لن يعرف أحد منّي شيئًا.»

«آسفة أمّي، لكن...»

«لا تقلقي حبيبتي. عليّ أن أذهب الآن. لا يمكنني أن أؤخّرهما. ما الذي تنوين القيام به الليلة؟»

«لقد تسجلت في مركز رياضي جديد. لديهم ملعب سكواش رائع. أعتقد أنّني سأقضي وقتًا مسليًا هناك.»

«آه، أعرف كم تهوين لعب السكواش.» همست منى فاريل لابنتها وقد أفرحها هذا الخبر حقًا «أحبّك حبيبتي، اشتقت إليك. إلى اللقاء».

خرجت مسرعة نحو السيّارة. في وسعها على الأقلّ أن تخبر كيت وجاي وأليكس ما الذي تفعله لايسي للترويح عن نفسها.

40

كان طوم لينش يعتزم تناول كأس مع كايت مساء الجمعة بعد انتهاء المسرحية. فقد كان ذلك آخر عرض في مينيابوليس وأراد أن يودّعها. كان يأمل أيضًا بهذه المناسبة أن ترفع من معنوياته.

فهو مكتئب منذ أن قالت له أليس كارول أنّ هناك رجلًا آخر في حياتها. ونتيجة إحباطه، كان يبدو له أن كلّ شيء في حياته يسير بشكل سيء. اضطرّ منتج برنامجه الإذاعي إلى التدخل وحضّه أكثر من مرة على وضع بعض الحماسة في أدائه. حتّى هو كان يدرك أنّه كان مملًّا تمامًا خلال عدة مقابلات أجراها مع كتّاب.

ليلة السبت يبدأ مسرح أورفيوم بعرض مسرحية «شوو بوت» وكان طوم يتوق للاتصال بأليس ودعوتها لمشاهدة العرض معه. أعد حتّى ما كان سيقوله لها «هذه المرّة سأترك لك قطعة البيتزا الأخيرة».

قرّر مساء الجمعة الذهاب إلى المركز وممارسة الرياضة لبعض الوقت. فهو لن يلتقي كايت قبل الحادية عشرة، ولم يكن لديه أي خطط أخرى لقضاء الوقت حتّى ذلك الحين.

عليه أن يقرّ بأنّه كان يأمل سرًّا أن تأتي أليس إلى النادي، فيتحدّث إليها وتعترف له أن لديها شكوكًا جديّة بشأن ذاك الرجل في حياتها.

التفت طوم من حوله لدى خروجه من حجرة تبديل الملابس الخاصة بالرجال، فلم يجد أثرًا لأليس. في مطلق الأحوال، كان يعلم أنّها لم تظهر طوال الأسبوع.

لمح روث ويلكوكس من خلال الفاصل الزجاجي المحيط بمكتب الإدارة، كانت مستغرقة في الحديث مع رجل أشيب. رأى روث تهزّ رأسها عدّة مرات، وتهيّأ له أنّه لمس بعض النفور والاشمئزاز على وجهها.

ماذا عساه يطلب منها؟ حسمًا؟ كان طوم يعلم أنّه يجدر به البدء بالهرولة، لكنّه أراد أن يسأل روث إن كانت تلقّت أي أنباء عن أليس.

«أنباء؟ لديّ أنباء ستهمك بالتأكيد، طوم!» قالت روث. «أغلق الباب، لا أريد أن يسمع أيّ كان ما سأقوله لك.»

كان طوم على يقين بأنّ هذه الأنباء تتعلّق بأليس وبالرجل الأشيب الذي غادر للتوّ.

«ذلك الرجل يبحث عن أليس»، قالت روث بصوت يرتجف من شدّة الاضطراب. «إنّه والدها».

«والدها! هذا جنون. أليس قالت لي إن والدها توفّي منذ سنوات.»

«قد تكون قالت لك ذلك، لكن هذا الرجل والدها. أو على الأقلّ، هذا ما يقوله. حتّى أنّه أخرج لي صورتها وسألني إن كنت رأيتها.»

استيقظت في نفس طوم غريزة الصحافي. «ماذا قلت له؟» سأل بحذر.

«لم أقل شيئًا إطلاقًا. ما أدراني إن لم يكن محصّل ديون أو شيئًا من هذا القبيل؟ قلت إنّه لا يسعني أن أجزم. ثمّ قال إن شجارًا فظيعًا وقع بين ابنته وزوجته، وإنه علم أنّ ابنته انتقلت إلى مينيابوليس قبل أربعة أشهر. يبدو أنّ زوجته مريضة جدًّا وترغب يائسة بأن تتصالح مع ابنتها لترحل بسلام.»

«تبدو لي هذه القصّة مفبركة بالكامل»، علّق طوم بدون مواربة. «آمل ألّا تكوني أعطيته أي معلومات.»

«طبعًا لم أفعل»، أكّدت روث. «كلّ ما قلته له أن يترك لي اسمه وإن عثرت على الفتاة بين زبائننا، سأتّصل به.»

«ألم يعطك اسمه أو يقل لك أين ينزل؟»

«لا.»

«ألا تعتقدين أن هذا غريب؟»

«طلب مني ألّا أقول لابنته أنّه يبحث عنها. لا يريدها أن تختفي من جديد. شعرت بالأسف من أجله. كانت عيناه تدمعان.»

إن كنت واثقًا من أمر ما بشأن أليس كارول، فكّر طوم، فهو أنّها لن تدير ظهرها لوالدة مريضة على فراش الموت، مهما كان الشجار خطيرًا. ليست من هذا الصنف.

ثمّ خطرت له فكرة أخرى، فكرة أعجبته كثيرًا. إن لم تكن تقول الحقيقة عن حياتها، هذا يعني ان الرجل الذي تقول إنّها مرتبطة به قد لا يكون موجودًا. شعر بأنّه أفضل حالًا لمجرّد هذه الفكرة.

41

كان المفتّش سلون يعمل دوام الثامنة إلى الرابعة، لكنّه في الساعة الخامسة والنصف من مساء يوم الجمعة ذاك كان لا يزال في مركز شرطة المنطقة التاسعة عشرة، وملف ريك باركر مفتوحًا على مكتبه. كان سعيدًا أنّه يوم الجمعة. فقد يتركه العملاء الفدراليون بسلام قليلًا في نهاية الأسبوع على الأقلّ.

اليومان الماضيان كانا مرهقين. فمنذ الثلاثاء، حين تخلّف ريك باركر عن موعده، تحوّلت العلاقة العاصفة بين قسم شرطة نيويورك ومكتب المدّعي العام الفدرالي إلى عداء صريح.

ما أثار جنون سلون هو أن غاري بولدوين انتظر حضور عميلين فدراليّين بحثًا عن باركر، ليقرّ بأنّ لديه شاهدًا يمكنه تأكيد وجود ريك في منتجع التزلج في ستوي خلال بعد الظهيرة التي سبقت مقتل هيذر لاندي.

بولدوين لم يشاركنا هذه المعلومات، فكّر سلون، لكن حين علم أنّني أشدّد الضغط على باركر، ذهب بوقاحة إلى رئيس نيابة المنطقة متشكّيًا.

من حسن حظّي أنّ رئيس نيابة المنطقة ساندني، فكّر سلون بمرارة. فقد ذكّر بولدوين خلال مقابلة بينهما أنّ قسم شرطة نيويورك لا تزال لديه جريمة قتل لم تلق حلًا وقعت في المنطقة التاسعة عشرة، وأنّهم مصمّمون على العثور على الجاني. قال له بوضوح أيضًا إنّه إن كان أعضاء مكتب التحقيقات الفدرالي يرغبون في التعاون وتقاسم المعلومات، فقد يستفيدون من ذلك، لكنّ قسم شرطة نيويورك هو الذي يتولّى القضية، وليس العملاء الفدراليون.

ورغم أنّه اضطرّ إلى الجلوس والاستماع إلى بولدوين يذكّره بأنّ أدلّة جوهرية اختفت من خزانته المقفلة، إلّا أن موقف رئيس نيابة المنطقة الذي وصل إلى حدّ المواجهة من أجله حتّى أعطى سلون رغبة شديدة بأن يقبض بنفسه على ريك باركر.

هذا إن لم يكن قد قُتل، قال لنفسه، وهو احتمال آخر.

وإلّا، فإن اختفاء ريك هو أفضل دليل على أنّهم في الطريق الصحيح. وهو يفسّر بالتأكيد كيف استطاع قاتل إيزابيل وارينغ أن يقدّم نفسه بهذه السهولة على أنّه محام لدى مكتب محاماة مرموق هو بالصدفة من كبار زبائن وكالة باركر وباركر، الأمر الذي لم يتمكّن سلون من تفسيره حتّى الآن.

إنّهم يعرفون الآن بيقين أن باركر كان في منتجع التزلّج وأن هيذر ذعرت حين لمحته هناك قبل ساعات قليلة من مقتلها.

عمل سلون خلال الأشهر الأربعة الماضية منذ مقتل إيزابيل وارينغ، على جمع سيرة وافية عن ريك باركر. صرت الآن أعرف عنه أكثر ممّا يعرف هو عن نفسه، فكّر سلون وهو يتصفّح مرة جديدة الملفّ الضخم.

ريتشارد جي. باركر جونيور. إبن وحيد. في الواحدة والثلاثين من العمر. طرد من مدرستين خاصّتين مرموقتين لحيازته مخدّرات. شبهات ببيع مخدرات بدون أن تؤكدها أدلّة على الأرجح الشاهد تلقى مبلغًا ماليّا للتراجع عن إفادته. استغرقه الأمر ستّ سنوات للتخرج أخيرًا من الجامعة وهو في الثالثة والعشرين من العمر. والده سدّد بدل أضرار تسبّب بها في دار الإقامة الجامعية خلال سهرة صاخبة.

مصروف جيب طائل على الدوام خلال السنوات المدرسية. سيّارة مرسيدس مكشوفة هدية عيد ميلاده السابع عشر. شقّة غرب سنترال بارك هدية لدى تخرّجه من الجامعة.

وظيفته الأولى والوحيدة هي في وكالة باركر وباركر. خمس سنوات في المكتب الفرعي غرب الشارع 67، وثلاث سنوات حتّى الآن في المكتب الرئيسي شرق الشارع 62.

تطوّع زملاء ريك في فرع غرب المدينة بدون أن يبذل سلون أي جهد للاعراب عن ازدرائهم المطلق له. وروى موظّف سابق لدى باركر وباركر للمفتّش أنّ «ريك كان يحتفل طوال الليل، يحضر في الصباح وهو لا يزال تحت تأثير السكر أو الكوكايين، ثمّ ينفش ريشه ويبدأ بتوزيع الأوامر في المكتب».

قبل خمس سنوات، فضّل والد ريك استخدام أمواله لتسوية شكوى بالتعدي الجنسي قدّمتها سكرتيرة شابة ضد ريك، على أن يواجه فضيحة علنية. وعلى أثر هذه الحادثة، قام باركر الأب بقطع الموارد عن ابنه. فقد جُمّدت إيرادات الودائع الإئتمانية الخاصة بريك وبات يتقاضى الراتب الأساسي زائد عمولة على صفقات البيع، مثل سائر الموظّفين تمامًا.

لا بدّ أن الوالد تلقّى درسًا في قسوة الحب، فكّر سلون بشيء من السخرية. لكن هذا السيناريو يطرح مشكلة واحدة: فالقسوة في الحب لا تدفع تكاليف الإدمان على الكوكايين. تصفح الملف من جديد. من أين كان ريك يأتي بالمال لشراء المخدّرات، وإن كان لا يزال على قيد الحياة، فمن الذي يدفع له ليتوارى عن الأنظار؟

أخرج سلون سيجارة أخرى من العلبة التي لم تكن تفارق جيب قميصه.

تكشف سيرة ريتشارد جي. باركر جونيور عن نمط ثابت يتكرر على الدوام: فعلى الرغم من نوبات الغضب والتهديد والوعيد، فإن باركر الأب يتّخذ دائمًا التدابير اللازمة في نهاية المطاف، حين يقع ابنه في ورطة حقيقية.

وهو ما فعله الآن.

نهض إيد سلون متململًا ومهمهمًا. كان متفرّغًا في المبدأ خلال في عطلة نهاية الأسبوع، وزوجته تنتظر منه أن ينظّف مرآب المنزل ويوضّبه. لكن مشروعها الطموح هذا لا بدّ أن يتغيّر، والمرآب لا بدّ أن ينتظر على حاله. أمّا هو، فسوف يتوجه إلى غرينيتش في كونيتيكت ليدردش قليلًا مع ار.جي. باركر الأب. نعم، حان الوقت بالتأكيد للقيام بزيارة إلى المنزل الملكي الذي نشأ فيه ريك باركر وحصل فيه على كلّ ما يمكن شراؤه بالمال.

42

كانت حركة السير بين نيو جيرسي ونيويورك مساء يوم الجمعة كثيفة في الاتجاهَين. ففي تلك الليلة من الأسبوع يخرج العديدون إلى المطاعم والمسارح ودور السينما، وكانت كيت تقرأ التوتّر على وجه زوجها فيما السيارات تتقدم كسلاحف بطيئة على جسر جورج واشنطن. كانت ممتنّة له لعدم توجيهه أي ملاحظة إلى والدتها بأنّه كان يجدر بهم المغادرة في وقت أبكر.

سألتها لايسي مرة «كيف يمكنك احتماله حين ينهرك لأمر لا علاقة لك به؟»

أجبْتُ لايسي بأنني لا أعلّق أهمية على ذلك، تذكّرت كيت. إنّني أفهمه. جاي شخص قلق بالفطرة، وهذه طريقته في التعبير عن ذلك. نظرت إليه من جديد. يمكنها قراءة أفكاره: في هذه اللحظة بالذات، هو قلق لأننا سوف نصل متأخّرين إلى موعد عشاء مع زبون مهم. أعرف أيضًا أن باله مشغول على بوني، ولا بدّ أنّ ذلك الوعد الذي قطعه لها بدون أن يكون بوسعه تنفيذه يعذّبه الآن.

أطلق جاي تنهيدة عميقة حين انعطف بالسيارة أخيرًا خارجًا من الجسر عبر المسلك المؤدّي إلى جادة وست سايد. شعرت كيت

بالارتياح لتقدم السيّارات بسهولة أكبر الآن في سيل متواصل نحو وسط المدينة.

وضعت يدها على ذراع زوجها كأنما لطمأنته، ثمّ التفتت نحو المقعد الخلفي. كانت والدتها تصارع الدموع، كما في كلّ مرة تتكلّم مع لايسي. بادرتهما قائلة عند دخولها السيّارة «دعونا لا نتكلّم في الأمر الآن».

«أنت بخير أمي؟» سألتها كيت.

حاولت منى فاريل أن تبتسم لابنتها. «إنّني بخير عزيزتي.»

«هل شرحت للايسي لماذا لم أتمكن من التكلّم معها هذا المساء؟»

«قلت لها إنّنا ذاهبون إلى نيويورك وإنك تودّين التأكّد من أنّ بوني تناولت عشاءها قبل أن تغادري. إنّها تتفهمك بالتأكيد.»

«هل قلت لها إنّنا سنلتقي جيمي لاندي؟» سأل جاي.

«نعم.»

«ما كان تعليقها؟»

«قالت...» تداركت منى فاريل وهي على وشك القول إنّ لايسي أوصتها بعدم كشف مكان إقامتها. لم تكن كيت ولا جاي على علم بأنّ لايسي أسرّت بذلك إلى والدتها.

«تفاجأت»، أكملت منى بارتباك، غير مرتاحة لوضعها.

«إذًا كارلوس، عيّنك أليكس كبير خدم؟» قال جيمي لاندي لموظّفه السابق وهو يجلس إلى الطاولة المحجوزة لهم في مطعم أليكس.

«نعم سيد لاندي»، أجاب كارلوس بابتسامة عريضة.

«لو انتظرت قليلًا، لكنت تلقيت ترقية من جيمي»، قال ستيف أبوت.

«ليس بالضرورة»، علّق جيمي بنبرة جافة.

«في مطلق الأحوال، هذه المسألة لم تعد مطروحة للنقاش»، قال أليكس كاربين. «جيمي، هذه أوّل مرّة تأتي فيها إلى هنا. قل لي ما رأيك بالمكان؟»

نظر جيمي لاندي من حوله، متفحصًا قاعة المطعم الجميلة بجدرانها الخضراء الداكنة تزينها لوحات متوهجة بالألوان في أطر ذهبية مزخرفة.

«يبدو أنّك استلهمت من مطعم راشن تي روم، أليكس»، قال أخيرًا.

«أصبت»، أقرّ أليكس كاربين بطيبة خاطر. «تمامًا مثلما قمت أنت بتكريم مطعم لا كوت باسك لدى افتتاح أحد فروع مطعمك. والآن، ماذا تودان أن تشربا؟ اريدكما أن تتذوّقا نبيذي.»

جيمي لاندي ليس من الصنف الذي كنت أتوقّعه، فكّرت كيت وهي تتذوّق كأس شاردوني. كان جاي متخوفًا للغاية من التأخر عليه، لكنّه لم يبدِ أي امتعاض على الإطلاق لوصولنا بضع دقائق بعد الموعد. بل قال ردًّا على اعتذارات جاي «في مطعمي، يسرّني أن يتأخر الناس. فمن يبقى في انتظارهم يتناول كأسًا إضافية، وهكذا ترتفع الفاتورة.»

كان بوسع كيت أن تلمس توتّرًا شديدًا لدى جيمي لاندي على الرغم من تظاهره بالمرح. فقد كان وجهه شاحبًا وكأنه مريض، وملامحه تكشف عن إرهاق. قد تكون هذه علامة حزنه وأساه لخسارة

ابنته، قالت كيت لنفسها. روت لهم لايسي أن مقتل هيذر لاندي حطم قلب والدتها. ومن الطبيعي أن يكون قد حطّم قلب والدها أيضًا.

عندما تمّ تقديم منى لجيمي، قالت له مباشرة «أعرف كم عانيت. ابنتي...»

قاطعها أليكس رافعًا يده. «لم لا ننتظر قبل أن نتكلّم في هذا الموضوع عزيزتي؟»، قال لها بهدوء وحزم.

شعرت كيت تلقائيًا بالودّ حيال شريك جيمي، ستيف أبوت. أليكس قال لهم إن جيمي يعتبره بمثابة ابن له، وإنهما قريبان جدًا الواحد من الآخر. في المقابل، لم ترَ كيت أيّ تقارب بينهما في المظهر. وجدت أبوت وسيمًا للغاية.

ظهر جليًا لكيت خلال العشاء أن ستيف وأليكس كانا يتعمدان تحويل الحديث عن أي ذكر سواء للايسي أو لإيزابيل وارينغ، وقد نجحا في حمل لاندي على سرد بعض القصص الطريفة عن بعض المشاهير الذين يرتادون مطعمه.

كان لاندي قاصًا من الطراز الأوّل، وهي ميزة تتقاطع برأي كيت مع مظهره الجلف وخشونته، لإعطائه جاذبًا غريبًا. بدا أيضًا لكيت أنّه يظهر لهم اهتمامًا وودًّا صادقَين.

لكنّه في المقابل تجهّم حين رأى نادلًا يلقي نظرة استياء إلى امرأة تتردّد طويلًا في اختيار مقبلاتها.

«اطرده أليكس، إنّه عديم الفائدة وسيبقى عديم الفائدة»، قال بشكل قاطع.

واو! فكّرت كيت. إنّه فعلًا قاسٍ! لا عجب أن يخشى جاي إثارة غضبه.

في نهاية الأمر، كان جيمي أوّل من بادر بالكلام عن لايسي وإيزابيل وارينغ بشكل مباغت. قال بعدما قدّمت لهم القهوة «سيدة فاريل، التقيت ابنتك مرة. كانت تحاول الوفاء بوعد قطعته لزوجتي السابقة بأنّ تسلمني يوميّات ابنتي».

«أعرف ذلك»، قالت منى بهدوء.

«لم أعاملها بكثير من اللباقة. فقد أحضرت لي نسخة عن اليوميّات بدل اليوميّات الأصلية، وقلت لنفسي حينها إنّه من الوقاحة فعلًا أن تقرّر من تلقاء نفسها إعطاء النسخة الأصلية للشرطة.»

«هل ما زلت على هذه القناعة؟» سألت منى. ثمّ تابعت بدون انتظار الجواب «سيد لاندي، لقد هدّدوا ابنتي بمقاضاتها بتهمة إخفاء أدلة لأنها حاولت تحقيق أمنية إيزابيل وارينغ الأخيرة وهي تحتضر».

يا إلهي، فكّرت كيت، ها هي والدتي على وشك الانفجار.

«علمت بذلك قبل يومَين فقط»، قاطعها لاندي بدون مواربة. «خطرت لي أخيرًا فكرة استخدام تحرٍّ خاص حين تبين لي أن رجال الشرطة يراوغون ويخادعون معي. وهو الذي اكتشف أن روايتهم الملفقة تلك التي يصعب تصديقها عن سارق محترف قتل إيزابيل عرضًا، كانت مجرّد ترّهات.»

رأت كيت وجه لاندي يحمرّ وهو يتكلّم إلى أن قارب اللون القرمزي.

لا بدّ أن ستيف أبوت لاحظ ذلك أيضًا. قال له «هدّئ من روعك جيمي، سوف تكون أسوأ مريض إن أصابتك نوبة.»

رمقه جيمي بنظرة من طرف عينه، ثمّ التفت مجدّدًا إلى منى. «هذا ما كانت ابنتي تقوله لي تمامًا.» ابتلع ما تبقى من القهوة في

قعر الفنجان وتابع «أعلم أن ابنتك في برنامج حماية الشهود ذاك. أتصوّر أنّ الوضع صعب عليها وعليكم جميعًا».

«نعم، هذا صحيح»، قالت منى. «الواقع أنّ سبب تأخرنا عشر دقائق عن موعد العشاء أنّني كنت أكلمها إلى أن حضر جاي وكيت لاصطحابي».

«ألا يمكنك الاتصال بها؟» سأل جيمي.

«قطعًا لا. لا أدري حتّى الرقم.»

«يجب أن أكلّمها بنفسي»، قال جيمي بشكل مفاجئ. «قولي لها ذلك. التحري الخاص قال لي إنّها كانت تقضي الكثير من الوقت مع إيزابيل في الفترة الأخيرة قبل مقتلها. لديّ أسئلة كثيرة أود أن أطرحها عليها.»

«سيد لاندي، هذا الطلب يجب أن يمر عبر مكتب المدعي العام الفدرالي»، قال جاي متدخّلًا في الحديث بعدما كان لزم الصمت حتّى ذلك الحين. «لقد أطلعونا على كلّ شيء قبل أن تدخل لايسي البرنامج.»

«تقصد أنّهم سيرفضون طلبي على الأرجح»، قال جيمي مدمدمًا. «حسنًا، ربّما هناك وسيلة أخرى. اطرحي عليها السؤال التالي عني. اسأليها إن كانت تذكر وجود صفحتين بدون سطور كتبت عليهما هيذر في آخر يوميّاتها.»

«لماذا تعلّق أهمية على هذا الأمر، جيمي؟» سأله أليكس كاربين.

«لأنه إن كانت هناك فعلًا صفحتان مماثلتان، فهذا يعني أن أي إثباتات تتلقاها الشرطة في هذه الدائرة لن تكون بأمان، بل سيتمّ تزويرها أو إخفاؤها. وعليّ أن أجد وسيلة لمعالجة هذا الأمر.»

أومأ جيمي بيده باستياء إلى كارلوس، الواقف خلفه وهو يحمل القهوة، مشيرًا له بالابتعاد. ثمّ نهض ومدّ يده لمنى. «حسنًا، هذه هي الحال إذًا. دعيني أعرب لك عن أسفي، من أجلك ومن أجل ابنتك. وردني أنّها كانت في غاية الرقة مع إيزابيل، كما أنّها حاولت مساعدتي. أدين لها باعتذار. كيف حالها؟»

«لايسي فتاة مكابدة»، قالت منى. «لم أسمعها تتذمّر مرّة، بل هي التي تحاول دائمًا رفع معنوياتي.» التفتت إلى كيت وجاي مضيفةً «نسيت أن أخبركما في السيّارة، لقد اشتركت لايسي في نادٍ رياضي جديد لديه على ما يبدو ملعب سكواش رائع». ثمّ نظرت إلى لاندي من جديد لتوضح له «لطالما كانت مولعة بالرياضة».

43

بعدما أقفلت الخطّ مع والدتها، نزلت لايسي إلى ردهة الفندق الصغير حيث كان ينتظرها جورج سفنسون ومشت بصمت معه إلى السيّارة.

فكّرت بشكل عابر بما يمكنها القيام به لقضاء تلك الليلة الطويلة التي تنتظرها. الأمر الوحيد الذي كانت واثقة منه هو أنّه لن يكون في وسعها البقاء طوال هذا الوقت وحيدة في الشقّة الفارغة. لكن ماذا عساها تفعل؟ لم تكن جائعة، ولم تكن تستلطف فكرة الذهاب إلى المطعم وحيدة. كما أنها، بعد تجربتها في السينما ليل الخميس، لم تعد تحتمل فكرة الجلوس وحيدة في صالة مظلمة.

لكانت ودّت مشاهدة العرض الأخير لمسرحيّة «أنا والملك» في مينيابوليس، لو كان بوسعها الحصول على بطاقة. لكنّها كانت واثقة من أنّها سوف تنهار تمامًا ما إن تسمع النغمات الأولى من المسرحية. لا تزال تذكر حين كانت تجلس في قاعة المسرح قبل سنوات مديدة تسترق النظر إلى حفرة الاوركسترا بحثًا عن والدها.

أبـي، كم أنّني مشتاقة إليك، فكّرت وهـي تجلس في سيّارة

لكن صوتًا داخل رأسها أجابها.

كوني صريحة مع نفسك، لايسي فتاتي. لست مشتاقة إليّ أنا في هذه اللحظة. لا تتهربي من الحقيقة. التقيت رجلًا يعجبك، لكنك تستنجدين بصورتي لحجبه عن فكرك. اعترفي بذلك. ليس وجهي ما تبحثين عنه، وليست صورتي ما تتهرّبين منه.

لم يتفوّه سفنسون بكلمة طوال الطريق، تاركًا لايسي سارحَة في أفكارها. سألته لايسي أخيرًا إن كان تلقّى أي معلومات جديدة من غاري بولدوين.

«لا أليس، لم يردني شيء.»

أن يكون الشخص الوحيد الذي تقيم معه علاقة تنطوي على قدر من الصراحة في حين أنّه لا يناديها باسمها الحقيقي، هذا أمر كان يغيظ لايسي.

«أرجوك إذًا أن تقول للمراجع العليا إنّني أريد أن أعرف ما يجري. أعطيته بعض المعلومات المهمّة ليل الثلاثاء. يجدر به، ولو من باب اللياقة الصرف، إبقائي على علم بالتطوّرات. لا أعتقد أنّ في مقدوري الاستمرار في العيش على هذا النحو لوقت طويل.»

عضّت لايسي على شفتها وغاصت في مقعدها. كما في كلّ مرة تنفّس عن غضبها أمام سفنسون، شعرت أنّها تتصرف مثل طفلة نزقة وأحست بالخجل. كانت واثقة من أنّه كان يفضل أن يكون الآن في بيته مع زوجته وفتياته الثلاث، وليس على الطرقات يجول بها على فنادق صغيرة تجري منها اتصالات هاتفيّة.

«أودعت مبلغًا من المال في حسابك، أليس. يمكنك الانضمام إلى النادي الرياضي الجديد اعتبارًا من صباح غد.»

كانت هذه طريقة سفنسون ليقول لها إنّه يفهم ما تشعر به.

«شكرًا»، قالت بصوت منخفض. ودّت لو تزعق به «أرجوك، نادني لايسي ولو لمرّة! اسمي لايسي فاريل!»

حين وصلا إلى المبنى حيث تقطن، دخلت الردهة، غير واثقة ممّا تود القيام به. وقفت حائرة لحظات طويلة أمام المصعد، ثمّ استدارت فجأة، وبدل أن تصعد إلى طابقها، خرجت من جديد، وهذه المرة استقلت سيّارتها. هامت في الشوارع لبعض الوقت، وفي نهاية الأمر سلكت طريق وايزاتا، ضاحية مينيابوليس حيث حضرت الحفل على شرف فرقة مسرحية «أنا والملك». عند وصولها، راحت تبحث عن مطعم صغير تذكر أنّها لمحته لدى عبورها من هناك في تلك الليلة. وجدت بعض العزاء في عثورها عليه بسهولة على الرغم من حس التوجّه الضعيف لديها. ربّما بدأتُ أعتاد المنطقة، خطر لها. هذا ما سأحتاج إليه بالتأكيد إن كنت سأعمل في المجال العقاري هنا لبعض الوقت.

كان المطعم الذي اختارته يشبه مطاعم غرب الشارع الرابع في قرية غرينتش في نيويورك. ما إن فتحت الباب حتّى غمرتها رائحة طيبة، رائحة الخبز بالثوم الخارج من الفرن للتو. كانت هناك حوالى عشرين طاولة مكسوّة جميعها بأغطية ذات مربعات حمراء وبيضاء وتتوسّطها شموع.

نظرت لايسي من حولها، وجدت القاعة مكتظة. «يبدو أنّه لم يعد لديكم كرسي شاغر»، قالت للمضيفة.

«بلى، الواقع أننا تلقينا للتو إلغاء حجز.» قادتها المضيفة إلى طاولة في زاوية لا يمكن رؤيتها من مكتب الاستقبال.

فيما كانت لايسي تنتظر أن يحضروا لها طلبيتها، راحت تقضم لفافة خبز إيطالي ساخنة مقرقشة وتحتسي كأسًا من النبيذ الأحمر. كان الناس من حولها يأكلون ويدردشون، مستمتعين بسهرتهم. لم يكن هناك أحد سواها وحيدًا.

ما الذي يميّز هذا المكان عن غيره؟ تساءلت. لماذا يغمرها فيه إحساس مختلف؟

أحسّت لايسي بذهول أنّها وضعت إصبعها على أمر إما كانت تحاول التهرب منه أو أنّها لم تكن تدركه. هنا، في هذا المطعم الصغير، حيث كان بوسعها أن ترى كلّ من يدخل من الباب بدون أن يراها هو على الفور، هنا شعرت بالأمّان أكثر من أي وقت خلال هذا الأسبوع.

ترى لماذا تشعر على هذا النحو؟

هذا لأنني أخبرت أمي بمكان وجودي، أقرّت لنفسها نادمة على ما فعلت.

تردّدت في ذهنها أصداء التحذيرات التي تلقّتها في المخبأ. قيل لها هناك: هذا لا يعني أن أفراد عائلتك سيفضحون موقعك عن قصد، لكن ما يصدر عنهم من ملاحظات لاشعورية قد يؤدي إلى تهديد سلامتك.

كان والدها يقول دائمًا ممازحًا أنّه إن كتبت والدتها مذكّراتها، فأفضل عنوان لها سيكون «أسرار دفينة»، لأنها بكلّ بساطة غير قادرة على حفظ سرّ.

ثمّ تذكّرت كم بدت والدتها مصدومة حين حذّرتها لايسي بإصرار من كشف أي معلومات أمام جيمي لاندي يمكن أن تلمح إلى موقعها. قد تسير الأمور على أفضل وجه، قالت لايسي لنفسها في

محاولة لتبديد مخاوفها، راجية أن تكون والدتها التزمت بتحذيراتها.

كانت السلطة طازجة، طبق اللينغويني بصلصة المحار كان شهيًا، لكن الإحساس بالأمان لم يدم طويلًا، بل فارق لايسي ما إن خرجت من المطعم. وفيما كانت تقود سيّارتها عائدة إلى شقّتها، سكنها من جديد ذلك الإحساس الغامض بأنّ شيئًا ما أو أحدًا ما يقترب منها وسيطبق عليها.

وجدت رسالة من طوم لينش في انتظارها. «أليس، من الضروري أن أراك غدًا. أرجو أن تتّصلي بي.» وقد ترك رقم هاتفه.

لو كان بوسعي فقط الاتصال به، فكّرت لايسي بأسف.

روث ويلكوكس أيضا اتّصلت بها. «أليس، اشتقنا إليك. أرجو أن تأتي إلى المركز خلال عطلة نهاية الأسبوع. أود أن أكلمك عن رجل كان يسأل عنك.»

ها هي روث تلعب دور الوسيطة العاطفية، قالت لايسي لنفسها ساخرة.

أوت إلى فراشها وبعد جهد غفت. لكن سرعان ما راودها كابوس عكّر نومها. رأت نفسها راكعة إلى جانب جثّة إيزابيل. أحسّت بيد تلامس كتفها... نظرت إلى الأعلى فرأت قاتل إيزابيل، كان يحدّق بها بعينيه الزرقاوين الشاحبتين، ممسكًا بيده مسدّسًا يصوّبه إلى رأسها.

انتفضت وانتصبت في السرير محاولة الصراخ. ثمّ عجزت عن النوم بعد ذلك، وانقضى الليل بدون أن يغمض لها جفن.

حين طلع الصباح، أرغمت لايسي نفسها على الخروج للهرولة، لكنّها لم تكن تتمالك نفسها من إلقاء النظرات باستمرار من فوق كتفها للتثبت ممّا إذا كان أحد يتعقّبها.

إنّني أتحوّل إلى حالة ميئوس منها، أقرّت حين عادت إلى الشقّة وأقفلت الباب بالمزلاج.

كانت لا تزال الساعة التاسعة صباحًا، ولم يكن لديها أي خطط إطلاقًا لما تبقى من ذلك النهار الطويل. قالت لها ميليسنت رويس إنّها غالبا ما ترتّب مواعيد في عطلة نهاية الأسبوع لعرض شقق على زبائن، وأن بوسع لايسي مرافقتها في جولاتها، لكن لم يكن هناك أي موعد للأسف في نهاية ذلك الأسبوع تحديدًا.

سوف أتناول الفطور، ثمّ أزور النادي الجديد، قرّرت لايسي. هذا ما سيشغل على الأقلّ بعضًا من وقتي.

وصلت إلى مركز إيدينا الرياضي في العاشرة والربع، وطُلب منها الانتظار في مكتب الاستقبال. راحت تفتّش في حقيبتها بحثًا عن استمارة الاشتراك التي ملأتها فيما أنهت المديرة مكالمتها الهاتفية قائلة «نعم سيّدي بالتأكيد. لدينا منشآت جديدة تمامًا وملعب سكواش رائع. نرجو منك أن تتفضّل بزيارتنا لإلقاء نظرة على تجهيزاتنا».

44

صعد المفتّش إيد سلون في سيّارته صباح السبت وانطلق من منزله في منطقة ريفردايل في حي برونكس لعقد مقابلة أصرّ عليها مع ريتشارد جي. باركر الأب في غرينتش، كونيتيكت. لاحظ على طريقه أنّ الثلج الذي كان ناصعًا قبل أيام قليلة، بدأ يذوب تاركًا كتلًا من الوحول الداكنة. كانت السماء ملبّدة تنذر بهطول أمطار ستتحول بحسب الأرصاد الجوية إلى مزيج من المطر والبرَد مع هبوط درجات الحرارة.

يوم آخر من أيام الشتاء القذرة، فكّر سلون، تلك الأيام التي تحول أصحاب الحظوة الميسورين إلى طيور مهاجرة تغادر إلى الجنوب، أو ربّما إلى هاواي. تلك كانت الرحلة التي يدّخر من أجلها منذ فترة. كان يخطّط لاصطحاب بيتي إلى هناك في الذكرى الثلاثين لزواجهما، بعد سنتين.

تمنّى لو يغادرا في اليوم التالي. أو ربّما في اليوم ذاته.

لكنّه كان على يقين بأنّ ذلك لم يكن ممكنًا وسط كلّ ما يجري في قسمه حاليًّا. لم يكن يتوقّف عن التفكير في اختفاء تلك الأدلّة، أدلّة قد تكون أساسية في فكّ لغز جريمة قتل إيزابيل وارينغ. قال لنفسه

إن قيام لايسي فاريل بسلب اليوميّات من مسرح الجريمة أمر أضرَّ بالتحقيق، غير ان إقدام شخص مجهول يُرجَّح أن يكون شرطيًا فاسدًا على سرقة اليوميّات من داخل خزانته الشخصية في مركز الشرطة، أسوأ بما لا يقارن. ولم تتوقّف المسألة عند هذا الحدّ بل سرقت كذلك على الأرجح صفحات من النسخة التي سلمها جيمي لاندي في ما بعد.

قد يكون يعمل ويأكل ويشرب مع شرطي يلعب لعبة مزدوجة، وهذه فكرة تبعث فيه الاشمئزاز.

حين انعطف من طريق ميريت باركواي سالكًا المخرج 31، فكر إيد في الفخ الذي نصبه في قاعة رجال الشرطة بهدف ضبط الشخص الذي سلب تلك الأدلة. فقد أخرج مفاتيحه من جيب سترته، وضعَها داخل درجه، أقفله بالمفتاح، وكل ذلك بحركات مسرحية مبالغ بها للتأكد من أنّ الجميع يراه.

«لن أدع أيّ شيء يختفي من خزانتي بعد الآن»، أعلن متوعّدًا بأعلى صوته كلّ من كان في القاعة. ثمّ أشاع معلومات، بمساعدة رئيس القسم، عن وجود دليل مخبأ في خزانته قد يكون الإثبات الرئيسي الذي يدين قاتل إيزابيل وارينغ. لكنّه تعمّد لزوم الغموض حول طبيعة هذا الدليل.

في هذه الأثناء، نُصبت كاميرا مراقبة خفيّة في سقف القاعة موجّهة نحو مكتبه. الأسبوع المقبل سوف يعود إلى عادته السابقة، تاركًا مفاتيحه في جيب سترته المعلّقة على ظهر مقعده. كان لديه إحساس بأنّ فرص كشف المذنب كبيرة بعد ما روّجه من معلومات زائفة. فهو واثق من أنّ قاتل إيزابيل وارينغ يقف خلف سرقة الأدلة من القاعة، وسيقلقه وجود أيّ أدلة جديدة محتملة. غير أنّ سلون يستبعد أن يكون شخص مثل ساندي سافارانو يرتكب عمليات السرقة

هذه. سافارانو مجرّد قاتل. لا، لا بدّ أن يكون من يحرك الخيوط شخصًا نافذًا يملك الكثير من المال. وحين ترده المعلومات بشأن هذا الإثبات الجديد، سيصدر تعليمات بالقضاء عليه.

غير أنّ إيد سلون كان يواجه معضلة. فبقدر ما كان يرغب في الكشف عن أيّ شرطي فاسد، كان على يقين بأنّ هذا الشرطي الفاسد قد يكون أحد الذين أنقذوه من ورطةٍ في وقت ما خلال السنوات الخمس والعشرين الماضية. هذا النوع من المواقف لا يكون سهلًا على الإطلاق.

كان منزل باركر يقع على خليج لونغ آيلند ساوند. كان منزلٌ فخمٌ من حجر القرميد الأحمر الفاتح أضفت عليه السنوات أناقة مهيبة. انبثق من بين بقع الثلج المبعثرة على الأرض الشاسعة من حوله، يحيط به برجان عاليان عند طرفيه.

عبر سلون البوّابة المفتوحة وركن سيّارته عند حافة الممر نصف الدائري المؤدي إلى المدخل الرئيسي، مستبعدًا أن يكون الكثير من السيارات، مثل سيّارته ساتورن التي يعود طرازها إلى خمس سنوات مضت قد توقف هنا قبله.

سلك الممرّ المرصوف بالحجارة وهو ينقّل نظره من نافذة إلى أخرى، علّه يضبط ريك باركر يسترق النظر من خلف إحداها.

فتحت له امرأة شابة فاتنة ترتدي زيّ خادمة، وحين عرّف عن نفسه، قالت له إن باركر في انتظاره. «السيد باركر سيستقبلك في مكتبه»، قالت له. كان هناك شيء من الحميمية في نبرتها، وبدا لإيد أنّها خرجت من ذلك المكتب للتوّ.

فيما كان يتبعها عابرًا ردهة فسيحة مكسوّة ببساط، راجع في ذهنه المعلومات التي جمعها عن باركر الأب. فقد ورده أنّ له سمعة زير نساء، وتساءل وهو ينظر إلى المرأة الجميلة التي تتقدمه إن كان باركر متهوّرًا إلى حدّ مغازلة نساء داخل منزله.

قد يكون متهوّرًا فعلًا إلى هذا الحدّ، قال سلون لنفسه بعد لحظات، حين وجده جالسًا على أريكة جلدية يتناول القهوة، وإلى جانبه فنجان ثان نصف فارغ.

لم ينهض باركر لمصافحته، كما لم يعرض عليه فنجان قهوة. «اجلس، حضرة المفتّش سلون.» لم تكن تلك دعوة للجلوس بل أمر.

كان سلون واثقًا من أنّ باركر سيقول له الآن إنّه مشغول جدًّا ولا يمكنه أن يخصص له أكثر من بضع دقائق.

وهو تمامًا ما قاله له باركر.

لاحظ سلون أن الخادمة لم تغادر الغرفة، فالتفت نحوها قائلا بنبرة قاطعة «يمكنك العودة فور خروجي آنستي».

انتفض ريتشارد باركر ساخطًا وقال «من تظنّ...».

لكنّ سلون قاطعه. «أعتقد سيد باركر أن عليك أن تعرف منذ البداية أنّني لست أحد خدامك. وأن هذه ليست عملية بيع عقار او صفقة كبرى تديرها على هواك. جئت إلى هنا لبحث مسألة ابنك. إنّه على وشك أن يصبح مشتبهًا به، ليس في جريمة قتل واحدة، بل في جريمتَي قتل.»

انحنى إلى الأمام وضرب قبضته على طاولة القهوة تأكيدًا على كلامه. «إيزابيل وارينغ كانت مقتنعة بأنّ ابنتها لم تُقتل في حادث. والوقائع تشير إلى أن السيدة وارينغ قضت بيد قاتل محترف، قاتل

معروف لدى أجهزتنا، ويعرف عنه أيضًا أنّه عمل لحساب عصابة تهريب مخدرات. هذه المعلومات لم تكشف علنًا بعد، لكنّني أطلعك عليها. لا شك أنّك على علم بأنّ ابنك هو الذي مهّد الطريق للقاتل حتّى يدخل إلى شقّة إيزابيل وارينغ. هذا وحده يكفي لاعتباره شريكًا في التحضير للجريمة. وثمة أمر إحضار على وشك الصدور لتوقيفه بهذه التهمة.»

«لكن هناك معلومات أخرى ينبغي أن تعرفها عن ابنك، أو ربّما تعرفها أساسًا. ريك كان في ستوي بعد ظهر اليوم الذي قتلت فيه هيذر لاندي، ولدينا شاهد عيان يمكنه أن يؤكد أنّها بدت مذعورة وهرعت للخروج من الفندق ما إن رأته يدخل.» صمت سلون ونظر إلى الرجل الجالس أمامه وقد سيطر عليه توتّر شديد.

ظهرت على وجه باركر بقع حمراء فضحت اضطرابه، لكنّه تكلّم بصوت هادئ جليدي. «هل هذا كلّ ما لديك حضرة المفتّش؟»

«ليس تمامًا. ابنك الحبيب ريتشارد جي. باركر جونيور مدمن على المخدرات. يبدو أنّك توقّفت عن دفع فواتيره، لكنّه ما زال يتدبر أمره للحصول على مخدرات بوسيلة ما. ما يعني على الأرجح أنّه يدين لأحد ما بمبالغ طائلة من المال. وهذا الوضع قد يكون في غاية الخطورة. نصيحتي لك هي أن توكل محاميًا جنائيًا من أجله وأن تحضّه على تسليم نفسه للشرطة. وإلّا، فقد تواجه بنفسك تهمًا.»

«لا أدري أين هو»، قال باركر على مضض وكأنه يبصق الكلمات في وجه سلون.

نهض سلون. «بل أعتقد أنّك تدري. أحذّرك، قد يواجه خطرًا كبيرًا. لن يكون أوّل شخص يتورّط في قضية حتّى رأسه ويدفع الثمن باختفائه. نهائيًا.»

«ابني في عيادة لإعادة تأهيل مدمني المخدرات في هارتفورد»، قالت بريسيلا باركر.

التفت المفتّش سلون متفاجئًا، وقد باغته هذا الصوت غير المتوقّع.

كانت بريسيلا باركر واقفة عند الباب. «اصطحبته بنفسي إلى هناك الأربعاء الماضي»، قالت. «زوجي يقول الحقيقة حين يؤكّد أنّه لا يعرف أين هو ابنه. جاء ريك طالبًا منّي المساعدة. كان والده منشغلًا بأمور أخرى في ذلك النهار.» وقعت عيناها على فنجان القهوة الثاني، فرمقت زوجها بنظرة ملؤها الازدراء والكراهية.

45

بعدما سلّمت مديرةَ نادي إيدينا الرياضي استمارة الاشتراك والشيك برسم التسجيل، توجّهت لايسي مباشرة إلى ملعب السكواش وبدأت ترمي كرات على الحائط. لكنّها لم تصمد طويلًا قبل أن يتبين لها أنّها منهكة تمامًا بعد ليلة من الأرق وجولة هرولة صباحية مطوّلة. فكانت تخفق في رد الكرات الأكثر سهولة، وفي نهاية الأمر سقطت أرضًا ولوت كاحلها وهي تحاول التقاط كرة مستحيلة. الصورة المثالية لحياتها في الوقت الحاضر.

خرجت من الملعب وهي تعرج، مشمئزّة من نفسها وعلى شفير الدموع. جلبت معطفها وحقيبتها من الخزانة.

كان باب مكتب المديرة مشقوقًا. لمحت في الداخل زوجين شابين جالسين أمام مكتب المديرة، فيما رجل شائب الشعر ينتظر للتحدّث إليها.

شعرت لايسي بكاحلها بدأ يتورّم. توقفت لحظة أمام الباب مترددة، تفكر في ما إذا كان من الأفضل أن تدخل وتسأل المديرة إن كانوا يحتفظون بربطات مطاطية في صيدلية النادي، لكنّها قرّرت

في نهاية الأمر العودة إلى منزلها مباشرة ووضع مكّعبات من الثلج على كاحلها.

ربّما كانت لايسي في الصباح تتوق لمغادرة شقّتها، لكن كلّ ما تريده الآن هو العودة والاحتماء في داخلها وإقفال الباب بالمفتاح والمزلاج.

حين خرجت في الصباح للهرولة، كانت بضع غيوم مبعثرة في السماء. أمّا الآن، فقد تكاثفت وتراكمت إلى حدّ تكاد تسد الأفق. بدا واضحًا لها في طريق العودة من إيدينا إلى مينيابوليس أنّ الثلج سيتساقط قريبًا بغزارة.

كان لديها موقع خاص بها تركن فيه سيّارتها في المرآب خلف المبنى. توقّفت فيه، أطفأت المحرك وبقيت للحظة جالسة بصمت. حياتها في حال من الفوضى العارمة. ها هي، على بعد مئات الأميال عن عائلتها، تعيش حياة غير جديرة بهذا الاسم، وحيدة ومعزولة. إنّها تعيش كذبة حاصرتها وأطبقت عليها، ترغمها على الادعاء بأنّها شخص آخر. ولم كلّ ذلك؟ لماذا؟ لمجرد أنّها كانت شاهدة على جريمة. تجد نفسها أحيانًا تتمنّى لو لمحها القاتل في الخزانة. لم تكن ترغب في الموت، لكنّها فكّرت يائسة أن ذلك كان أسهل بكثير من العيش على هذا النحو. عليّ أن أجد وسيلة لمعالجة هذا الوضع.

فتحت الباب وخرجت من السيّارة، متجنّبة إلقاء ثقلها على كاحلها الأيمن الذي كان يؤلمها. حين استدارت لإقفال الباب، أحسّت بيد على كتفها.

تملّكها الذعر ذاته الذي أحسّت به في كابوسها، وكأن الحياة تتحرّك متباطئة فيما هي تفتح فمها لتصرخ بدون أن يخرج أي صوت

من بين شفتيها. اندفعت متهاوية إلى الأمام، محاولة الفرار، لكنّها أطلقت أنينًا مكبوتًا وتعثرت فيما اخترق كاحلَها وميض ألم لاذع مثل خيط من النار الملتهبة.

أحاطت بها ذراع سندتها وقال صوت أليف بندم «أليس إنّني آسف! لم أكن أقصد إخافتك. اعذريني».

كان ذلك طوم لينش.

أحسّت بساقَيها متراخيتَين بالكاد تحملانها من شدّة الارتياح، واتّكأت عليه. «آه طوم... يا إلهي... أنا... إنّني بخير، كلّ ما هنالك... أظن أنّك فاجأتني.»

انهارت بالبكاء. كم كان إحساسًا طيّبًا أن تشعر بذراعه القوية تحضنها وتحميها. بقيت واقفة هكذا لحظات طويلة بلا حراك، مستسلمة لذلك الشعور بالأمان الذي ملأ كيانها. ثمّ انتصبت واستدارت لتواجهه. لا يمكنها التصرّف على هذا النحو، سواء تجاهه هو، أو تجاهها هي نفسها. «آسفة أنّك اضطررت إلى المجيء إلى هنا طوم. سوف أصعد الآن»، قالت وهي تمسح دموعها، محاولة ضبط أنفاسها.

«سأصعد معك، أجابها. يجب أن نتكلّم.»

«ليس هناك ما نتكلّم عنه.»

«غير صحيح إطلاقًا. بداية، والدك يجوب مينيابوليس بحثًا عنك لأنّ والدتك تحتضر وتريد أن تتصالح معك.»

«ماذا... تقول؟» شعرت لايسي بشفتيها جافتين وانقبض صدرها حتّى باتت الكلمات بالكاد تخرج منها.

«ما أقوله هو إن روث ويلكوكس أخبرتني أمس بعد الظهر أنّ رجلًا حضر إلى المركز الرياضي حاملًا صورة لك، وهو يبحث عنك مدّعيًا أنّه والدك.»

إنّه في مينيابوليس! فكّرت لايسي. سوف يعثر عليّ!

«أليس، انظري إليّ! هل هذا صحيح؟ هل كان ذلك الرجل حقًا والدك يبحث عنك؟»

هزّت رأسها. كلّ ما كانت تريده الآن هو أن يتركها وشأنها. «أرجوك طوم، ارحل.»

«لن أرحل.» أمسك وجهها بين يديه ورفعه، مرغمًا إيّاها على النظر إليه.

مرّة جديدة تردّد صوت جاك فاريل داخل رأسها. إنك تضعين وجهي نصب عينيك لحجب وجه الرجل الذي تودّين رؤيته فعلًا. عليك أن تقرّي بذلك.

إنّني أقرّ، قالت لنفسها، وهي تحدّق في وجه طوم، فكّه العريض الصلب، جبينه المتغضّن من شدة خوفه عليها، تعبير عينيه.

تلك النظرة التي نخص بها من يعزّ علينا، فكّرت. لن أدعكَ تتعرّض لأي أذى بسبب ذلك.

لو تمكّن قاتل إيزابيل وارينغ من انتزاع عنواني من روث ويلكوكس في مركز توين سيتيز الرياضي، لما كنت على الأرجح على قيد الحياة الآن، فكّرت. لا داعي إذًا في الوقت الحاضر للاستسلام للخوف. لكن أين يجول بصورتي أيضًا؟

«أليس، أعرف أنّك في ورطة، ومهما كانت هذه الورطة، سوف أقف إلى جانبك. لكن لا يمكنني الاستمرار على هذا النحو بدون أن أعرف شيئًا»، قال طوم بإصرار. «ألا تفهمين ذلك؟»

نظرت إليه. كان إحساسًا غريبًا فعلًا، أن ترى ذلك الرجل الواقف أمّامها والذي يظهر جليًا أنّه يكن لها مشاعر خاصة مشاعر حبّ؟ ربّما

وهو تمامًا الرجل الذي كانت تأمل أن تلتقيه ذات يوم... لكن ليس الآن! ليس هنا! ليس في موقف كهذا! لا يمكنني أن أورّطه في هذا الوضع، قالت لنفسها.

دخلت سيّارة المرآب. سارعت لايسي تلقائيًا إلى جذب طوم إلى الأسفل والاختباء معه خلف سيّارتها. يجب أن أهرب، فكّرت. ويجب أن أبعد طوم عنّي.

حين اقتربت السيّارة وباتت على مرأى منها، لمحت خلف المقود امرأة تعرفها. إنّها تقيم في المبنى.

لكن من سيكون سائق السيّارة التالية التي تدخل المرآب؟ تساءلت والغضب يتملّكها. قد يكون هو.

بدأت أولى ندفات الثلج تتساقط.

«طوم، أرجوك ارحل»، توسّلت إليه. «يجب أن أتّصل بعائلتي وأن أتكلّم مع أمي.»

«إذًا هذه القصّة صحيحة.»

هزّت رأسها، متجنّبة النظر إليه. «يجب أن أكلّمها. يجب أن أستوضح بعض الأمور. هل يمكنني الاتصال بك لاحقًا؟» رفعت عينيها أخيرًا ونظرت إليه.

حدّق بها بعينين حائرتين قلقتين.

«أليس، هل ستتصلين بي حقًّا؟»

«أقسم لك بذلك.»

«إن كان بوسعي تقديم المساعدة، تعلمين جيّدًا...»

«ليس الآن، لا يمكنك ذلك الآن»، قاطعته.

«هل يمكنك أن تقولي لي أمرًا واحدًا بصراحة؟»

«بالتأكيد.»

«هل هناك رجل آخر في حياتك؟»

نظرت في عينيه. «لا، ليس هناك رجل.»

هزّ رأسه. «هذا كلّ ما كنت أريد معرفته.»

كانت سيّارة أخرى تسلك مدخل المرآب. ابتعد عنّي، كانت تصيح في داخلها. «طوم، عليّ أن أتّصل بعائلتي الآن».

«دعيني على الأقلّ أرافقك إلى الباب»، ردّ ممسكًا بذراعها. وبعدما تقدما بضع خطوات توقف قائلًا «إنّك تعرجين!»

«لا شيء خطيرًا. تعثّرت وسقطت»، شرحت لايسي وهي ترجو ألّا يكون وجهها يفضح الالم الذي تشعر به حين تمشي.

فتح لها طوم بوابة المدخل. «متى ستتّصلين بي؟»

«بعد حوالى ساعة.» نظرت إليه مجدّدًا، متصنّعة ابتسامة.

وضع قبلة على وجنتها. «إنّني قلق بشأنك. أخشى عليك.» أمسك بيديها وحدّق مليًّا في عينيها. «لكنّني سأنتظر اتّصالك. أعطيتني بشرى سارّة جدًّا، وأملًا جديدًا كبيرًا.»

انتظرت لايسي في ردهة المبنى إلى أن رأت سيّارته الزرقاء الداكنة من نوع بي ام في تبتعد، ثمّ هرعت إلى المصعد.

انقضّت على الهاتف بدون أن تخلع معطفها حتّى، واتّصلت بالنادي الرياضي. أجابها صوت المديرة بحفاوة وحرارة «نادي إيدينا الرياضي. لحظة وأوافيكم.» مرّت دقيقة، ثمّ دقيقة ثانية. اللعنة، فكّرت لايسي وهي تصفق السماعة بعنف مغلقة الخطّ.

كان ذلك يوم السبت. كان هناك احتمال كبير بأن تجد والدتها في المنزل. لأوّل مرّة منذ أشهر، اتّصلت لايسي مباشرة بالرقم الذي تعرفه عن ظهر قلب.

ردّت والدتها منذ الرنّة الأولى.

لم تُضِع لايسي ثانية واحدة. «أمّي، لمن قلت إنّني هنا؟»

«لايسي؟ لم أقل لأحد إطلاقًا. لماذا؟» ارتفع صوت والدتها من شدة القلق.

لم تقولي لأحد إطلاقًا عن قصد، فكّرت لايسي. «أمّـي، ذلك العشاء الليلة الماضية، من كان فيه؟»

«اليكس وكيت وجاي وجيمي لاندي وشريكه ستيف أبوت، وأنا. لماذا؟»

«هل قلت أيّ شيء على الإطلاق بشأني؟»

«لا شيء مهمًا. مجرّد أنّك انتسبت إلى ناد رياضي جديد لديه ملعب سكواش. لم يكن ذلك مهمًا، أليس كذلك؟»

يا إلهي، فكّرت لايسي.

«لايسي، السيد لاندي يودّ التحدث إليك. طلب مني أن أسألك إن كنت تعلمين ما إذا كانت الصفحات الأخيرة من يوميّات ابنته مكتوبة على أوراق غير مسطّرة.»

«لماذا يريد أن يعرف ذلك؟ أعطيته نسخة كاملة.»

«لأنه يقول إنّه لو كانت الصفحات الأخيرة غير مسطّرة، فهذا يعني أنّ أحدهم سلب هذه الأوراق من نسخته فيما كانت في مركز الشرطة، تمامًا مثلما سرق النسخة الأصلية بكاملها. لايسي، هل تقولين لي إن من حاول قتلك يعرف أنّك في مينيابوليس؟»

«لا يمكنني أن أتكلّم أمي، سوف أتصل بك لاحقًا.»

أغلقت لايسي الخطّ وحاولت من جديد الاتصال بالنادي الرياضي. لم تدَع هذه المرّة أي فرصة للمديرة حتّى تضعها قيد الانتظار بل قاطعتها قائلة «معك أليس كارول، لا...».

«آه أليس، بادرتها المديرة بكثير من المراعاة حين تعرّفت إليها. والدك حضر إلى هنا يسأل عنك. رافقته إلى ملعب السكواش، ظننت أنّك لا تزالين هناك. لم ألمحك تغادرين. قال لنا أحد إنك سقطت أرضًا وإن كاحلك يؤلمك. كان والدك خائفًا عليك كثيرًا. أعطيته عنوانك. لا اعتراض لك على الأمر، أليس كذلك؟ غادر للتو، قبل دقيقتين فقط.»

لم تترك لايسي لحظة واحدة تضيع منها. حشرت نسخة يوميّات هيذر لانـدي في حقيبة يدها وأسرعت إلى السيّارة بين الهرولة والقفز، وانطلقت إلى المطار مباشرة. كانت الرياح القوية تقذف ندفات الثلج على الزجاج الأمّامي. آمل ألّا يخمّن على الفور أنّني غـادرت، قالت لنفسها. هذا سيمهلني بعض الوقت.

حين وصلت إلـى مكتب التذاكر، وجـدت طائرة على وشك الإقلاع إلى شيكاغو بعد اثنتي عشرة دقيقة. نجحت في الصعود على متنها قبل إغلاق البوابات بقليل.

وبعد ذلك جلست ثلاث ساعات في الطائرة المتوقّفة على المدرج في انتظار الحصول على إذن بالاقلاع.

46

جلس ساندي سافارانو في سيّارته المستأجرة فارشًا أمامه خارطة شوارع المدينة، وقد بدأت إثارة المطاردة تستيقظ في داخله.

أحسّ بقلبه يخفق. سوف ينتهي منها قريبًا.

عثر على الرقم 520 جادة هينيبين على الخارطة. كان العنوان يبعد عشر دقائق فقط عن فندق راديسون بلازا حيث ينزل. بدّل محوّل السرعة للإنطلاق وضغط على دوّاسة البنزين.

هزّ رأسه. كان لا يزال مغتاظًا وهو يفكّر كيف أنّها أفلتت منه بفارق ثوان في النادي الرياضي. لو لم تسقط في ملعب السكواش، لكانت واصلت اللعب ولكان وجدها هناك عند وصوله، هدفًا سهلًا أطبق عليه الفخّ.

كان يشعر بالأدرينالين يشدّ جسده. قلبه يدقّ بقوة، أنفاسه تتسارع. تلك هي اللحظات التي يفضّلها على كلّ ما تبقى من مهماته.

قال البوّاب إن فاريل كانت تعرج حين خرجت من النادي. إن كانت تأذّت إلى حدّ أنّها تعرج، فمن المرجح أن تكون عادت إلى شقّتها مباشرة.

اسمها الآن أليس كارول، بات يعرف ذلك. لن يكون من الصعب الحصول على رقم شقّتها، لا شك أنّه مدوّن على علبة البريد في ردهة المبنى.

في المرّة الأخيرة التي التقاها، صفقت الباب بوجهه قبل أن يتمكن من الوصول إليها، تذكر ناقمًا. هذه المرة لن يترك لها أي فرصة للقيام بذلك.

أخذ الثلج يتساقط أكثر غزارة. تجهّم سافارانو. لم يكن يرغب في مواجهة أي مشكلات بسبب الطقس. كانت حقيبته في غرفة الفندق مفتوحة. حالما ينتهي من فاريل، كان يعتزم حزم أمتعته، تسديد فاتورته ومغادرة الفندق في عشر دقائق. فالنزلاء الذين يتوارون تاركين أمتعتهم وفاتورة الفندق يثيرون الشبهات. لكن إن أغلق المطار وساءت حال الطرقات، سوف يبقى عالقًا هنا، وهو احتمال يتخوّف منه إن وقع حادث ما.

لكن لن يحصل أي مكروه، طمأن نفسه.

ألقى نظرة إلى اللوحة في الشارع، كانت تشير إلى الرقم 400، جادة هينيبين.

الطرف الآخر من الجادة أقرب إلى مركز نيكوليت التجاري ومحلّاته الفخمة. إنّه حيّ الفنادق ومباني المكاتب الجديدة. أمّا هذا الطرف، فيمكن وصفه بالتواضع، لاحظ سافارانو.

عثر على الرقم 520. كان مبنى عاديًا تمامًا من سبع طبقات عند زاوية شارعين. لم يكن مبنى ضخمًا، وهو أمر لصالحه. كان سافارانو واثقًا من أنّ التدابير الأمنية فيه بالحد الأدنى.

التفّ حول المبنى ودخل المرآب. كان يتضمّن مواقع مرقّمة للمقيمين، وبضعة مواقع على حدة مخصّصة للزائرين، جميعها

مشغولة. وبما أنّه لم يكن يرغب في لفت الانتباه بتوقيف سيّارته في موقع أحد المقيمين، عاد وخرج من المرآب وركن سيّارته في الجانب الآخر من الشارع. ترجّل وقطع الطريق متوجّهًا إلى مدخل المبنى. لم يكن باب المدخل الصغير مغلقًا. وجد أسماء جميع سكان المبنى وأرقام شققهم مدوّنة على الجدار فوق علب البريد. أليس كارول كانت تقيم في الشقّة 4 إف. مثل جميع المباني من هذا النوع، كان يمكن الدخول إلى الردهة إما بواسطة مفتاح أو باستخدام الهاتف الداخلي للاتصال بالشخص المطلوب حتّى يضغط الزر لفتح الباب.

انتظر سافارانو بفارغ الصبر إلى أن رأى أحدًا ما يتقدّم في الممر. كانت امرأة مسنّة. فيما كانت تفتح الباب الخارجي، أسقط حمّالة مفاتيحه أرضًا وانحنى لالتقاطها.

عندما أخرجت المرأة مفتاحها وفتحت باب الردهة، نهض وأمسك لها الباب، ثمّ تبعها إلى الداخل.

ابتسمت له ابتسامة شكر. لحقها إلى المصعد، وانتظر إلى أن ضغطت الزر على الطابق السابع قبل أن يضغط بدوره على زر الطابق الرابع. كان ذلك من باب الاحتياطات الضرورية، ذلك الحرص على أدق التفاصيل هو ما جعل ساندي سافارانو ماهرًا في مجاله، وناجحًا إلى هذا الحدّ. لم يشأ أن يجد نفسه يخرج من المصعد برفقة جارة تسكن الشقّة الملاصقة لشقة فاريل. كلما بقي بعيدًا عن الأنظار، كان الأمر أفضل له.

عند وصوله إلى الطابق الرابع، سلك الرواق المقفر الذي تضيئه مصابيح ضعيفة. هذ ما يناسبني تمامًا، فكّر. الشقّة 4 إف كانت الأخيرة إلى اليسار. كانت يد ساندي اليمنى مطبقة على المسدّس

في جيبه، فيما رنّ الجرس بيده اليسرى. كان لديه حجّة جاهزة في حال سألت فاريل ماذا يريد قبل أن تفتح الباب. سوف يقول «أجهزة الطوارئ، ندقّق في تسرب غاز». تلك حجة لطالما نجحت معه.

لم يلقَ أي جواب.

دق الجرس مرة ثانية.

كان القفل جديدًا، لكنّه لم يصادف في حياته قفلًا صمد أمّامه. كان يحتفظ بالأدوات الضرورية في علبة لوازم صغيرة معلّقة على خصره، يخالها من يراها محفظة نقود. لطالما وجد أنّه من الطريف أن يكون، في الليلة التي قصد شقّة إيزابيل وارينغ، قد دخل مستخدمًا بكلّ بساطة المفتاح الذي كانت تحتفظ به على الطاولة في مدخل المنزل.

ما هي إلّا أربع دقائق، حتّى خلع قفل الشقّة 4 إف ودخل، معيدًا القفل إلى سابق حاله. سوف ينتظرها في الداخل، هذا أفضل. لم يكن يظن أنّها ستتأخر. وعند وصولها، تنتظرها مفاجأة كبرى!

فكر أنّها قد تكون ذهبت لإجراء صورة أشعة لكاحلها.

طوى أصابعه وفردها من جديد. كان يضع قفازين جراحيين. لقد أثبت على غير عادته عن إهمال ليلة دخوله إلى شقّة لايسي فاريل في نيويورك، إذ ترك بصمة على قبضة الباب. لم يلاحظ في تلك الليلة أن سبابة القفّاز الأيمن كانت مشقوقة. ذلك خطأ لن يرتكبه من جديد.

قيل له أن يفتش شقّة فاريل للتثبّت ممّا إذا كانت تحتفظ بنسخة عن يوميّات هيذر لاندي لنفسها. توجّه نحو المكتب لمباشرة البحث.

في هذه اللحظة رنّ الهاتف. عبر الغرفة بخطى خفيفة صامتة ليقف قرب الهاتف، ملاحظًا بارتياح أنّ المجيب الآلي موصول به.

ارتفع صوت فاريل المسجّل، منخفضًا وهادئًا، في ردّ مقتضب: «أنتم على اتّصال بالرقم 555-1247. يرجى ترك رسالة».

كان المتّصل رجلًا. كان يتكلّم بنبرة ملحّة وجازمة. «أليس، معك جورج سفنسون. إنّنا في طريقنا. اتّصلت والدتك للتو برقم الحالات الطارئة في نيويورك لتبلغ بأنك تواجهين متاعب. ابقي في الداخل وأقفلي الباب. لا تفتحي لأحد حتّى وصولي.»

تسمّر سافارانو في مكانه. إنهم في طريقهم! إن لم يهرب على الفور، فسيكون هو من يقع في الفخّ! لم يستغرق الأمر ثواني حتّى كان خرج من الشقّة، عبر الرواق وانحدر على سلالم النجاة.

جلس بأمان في سيّارته وانطلق مختلطًا بحركة السير الخفيفة على جادة هينيبين، حين عبرت أمامه سيارات شرطة مطلقة صفارات إنذارها ومشعلة أضواءها الدوارة.

كانت هذه أخطر مرة في حياته. كاد الفخ يطبق عليه. هام في الشوارع للحظات بدون أن يدري أين يذهب، محاولًا تهدئة توتّره والتفكير بتمعّن.

أين يمكن أن تذهب فاريل؟ سأل نفسه. هل اختبأت في منزل صديق لها؟ أو لجأت إلى فندق صغير في مكان ما؟

في مطلق الأحوال، وأينما كانت، فهي لم تسبقه بأكثر من ثلاثين دقيقة بحسب تصوّره.

عليه أن يحاول ويتصوّر كيف يمكن أن تفكّر. ماذا كان هو نفسه ليفعَل لو كان في برنامج حماية الشهود وتمّ تعقّبه؟

لما كنتُ وثقتُ بأي مارشال بعد الآن، قال ساندي لنفسه. لما كنتُ انتقلت للاختباء في مدينة أخرى وأنا أتساءل كم من الوقت لديّ قبل أن يُكشف أمري من جديد.

الناس الذين يخرجون طوعًا من برنامج حماية الشهود، إنّما يفعلون عادة مدفوعين بالشوق إلى عائلاتهم وأصدقائهم، وعادة ما يعودون إلى بيوتهم وأحبّائهم.

فاريل لم تتّصل بالعملاء الفدراليين حين أدركت أنّه تم رصدها، بل اتّصلت بوالدتها.

هذه هي وجهتها، قرّر سافارانو. إنّها في طريقها إلى المطار للعودة إلى نيويورك. بات ساندي واثقًا من ذلك.

حسنًا، ستكون هذه وجهته هو أيضًا.

لا بدّ أنّها مذعورة. لكنّها لن تثق بعد الآن بالشرطة لحمايتها. ما زالت لديها شقّتها في نيويورك. كما أن والدتها وشقيقتها تقيمان في نيو جيرسي. لن يجد صعوبة في العثور عليها.

سبق أن نجح البعض في الإفلات منه لفترة، لكنّ أحدًا لم ينجُ بنفسه. فهو دائمًا يعثر على طريدته في نهاية المطاف. المطاردة متعة على الدوام، لكن لحظة القتل لا يضاهيها شيء.

توجّه أوّلًا إلى مكتب شركة نورثوست إيرلاينز. بدا جليًا من عدد العملاء لديهم، أنّها الشركة التي تسجّل أكبر حركة ركاب في مينيابوليس. قالوا له إن جميع الرحلات معلقة حاليًا بسبب الثلوج. «ربّما يمكنني إذًا الانضمام إلى زوجتي»، قال. «غادرت قبل حوالى أربعين دقيقة. والدتها تعرّضت لحادث في نيويورك، وأعتقد أنّها استقلت أوّل رحلة متاحة. اسمها أليس كارول.»

سارعت الموظّفة إلى مساعدته، مبدية تعاطفها. «لم تقلع أي رحلة مباشرة إلى مطارات نيويورك خلال الساعة الأخيرة سيد كارول. ربّما ذهبت عبر شيكاغو. دعني أتحقّق من الأمر على الكمبيوتر.»

راحت تنقر على لوحة المفاتيح. «ها هي. زوجتك على الرحلة 62 إلى شيكاغو التي غادرت في الساعة 11،48.» أطلقت تنهيدة أسف وأضافت «الواقع أنّ الطائرة ابتعدت قليلًا فقط من البوابة وهي الآن جاثمة على المدرج. لكن أخشى ألّا يكون بوسعك الصعود على متنها. هل تريد الانضمام إليها في شيكاغو؟ ثمّة طائرة يجري تسجيل المسافرين عليها حاليًا. من المرجّح أن تهبط الطائرتان في شيكاغو بفارق بضع دقائق فقط».

47

جلس إيد سلون مع بريسيلا باركر في انتظار وصول ابنها ريك. كانت قاعة الانتظار في عيادة هاردينغ مريحة بشكل استثنائي. فقد أقيمت تلك العيادة في منزل خاصّ وهبه زوجان لإقامة مركز إعادة تأهيل للمدمنين على المخدرات بعدما قضى ابنهما الوحيد بجرعة زائدة.

الأريكة والمقاعد المكسوّة بقماش قطني أبيض ذي زهور زرقاء زاهية، الجدران المطليّة بلون أزرق يميل إلى الرمادي، والبساط المتناسق مع باقي القاعة، كلّ ذلك يتّسم بأناقة تشير بالتأكيد إلى أنّه أثاث المنزل الأصلي، وإلى أن الذين يمكنهم تحمّل تكاليف هذا المكان لمجرّد التخلّص من عاداتهم السيئة، إنّما ينفقون ثروة هنا.

غير أنّ السيدة باركر أوضحت له على الطريق من غرينيتش أن نصف مرضى العيادة على الأقلّ لا يدفعون سنتًا واحدًا.

شرحت له بعصبية فيما كانا ينتظران ريك باركر «أعرف ما يمكن أن يكون رأيك بابني. لكنك لا تدرك كلّ ما لديه من طيبة ومن إمكانات واعدة. ما زال بوسعه النجاح في حياته. إنّني واثقة من ذلك. والده لطالما دلّله، علّمه أن يخال نفسه فوق القوانين، بل فوق أبسط

حدود الأدب. حين واجه مشاكل في المدرسة بسبب المخدرات، توسّلت إلى زوجي أن يدعه يواجه عواقب أعماله. لكنّه عوضًا عن ذلك فضّل شراء الضمائر بأمواله. كان ينبغي أن ينهي ريك دروسه بنجاح في الجامعة. فهو ذكي، لكنّه لم يكترث يومًا للإجتهاد في دراسته. هل يمكن أن تشرح لي ما حاجة فتى في السابعة عشرة من العمر لسيارة مرسيدس مكشوفة؟ ما حاجة فتى بهذا العمر إلى الإنفاق بدون حدود؟ كيف يمكن تلقين شاب أي حسّ بالأدب حين يقوم والده بإدخال عشيقته إلى قلب داره متنكّرة في ملابس خادمة؟»

نظر سلون إلى الموقد المصنوع من الرخام الإيطالي، متأمّلًا الزخرفات الدقيقة التي تزيّنه. «يبدو لي سيدة باركر أنّك تحمّلت الكثير لوقت طويل. ربّما أكثر ممّا كان يجدر بك.»

«لم يكن أمامي من خيار. لو غادرت المنزل، لكنت خسرت ريك نهائيًا. أعتقد أنّني، ببقائي، أنجزت شيئًا ما. مجرّد أنّه موجود هنا ومستعدّ للتحدّث إليك يؤكد أنّني على حقّ».

«لماذا بدّل زوجك رأيه بالنسبة لريك؟»، سأل سلون. «نعرف أنّه قبل حوالى خمس سنوات قطع عنه إيرادات ودائعه الإئتمانية. ما الذي دفعه إلى ذلك؟»

«فليخبرك ريك بنفسه»، أجابت بريسيلا باركر. أحنت رأسها جانبًا، مرهفة السمع. «هذا صوته. إنّه قادم سيد سلون. إنّه في ورطة كبرى، أليس كذلك؟»

«ليس إن كان بريئًا سيدة باركر. وليس إن تعاون معنا. إنّه قرار يعود إليه.»

كرّر سلون هذا الكلام لريك باركر حين قدم له وثيقة إعلان حقوقه ليوقعها. الحقيقة أنّه صدم حين رأى مظهر الشاب. فقد تبدل كليًا منذ آخر مرة رآه فيها قبل نحو عشرة أيام. وجهه بات شاحبًا نحيلًا، وعيناه محاطتان بدائرتين داكنتين. الشفاء من الإدمان ليس بنزهة، قال سلون لنفسه، لكنّني لا أعتقد أنّ برنامج إعادة التأهيل وحده خلف هذا التحوّل.

سلّمه باركر الإعلان موقعًا. «حسنًا حضرة المفتّش»، قال، «ماذا تريد أن تعرف؟» كان جالسًا إلى جانب والدته على الأريكة. رأى سلون السيدة باركر تمدّ يدها وتضعها على يدي ابنها.

«لماذا أرسلت كورتيس كالدويل، سوف أشير إليه بهذا الاسم بما أنّه الاسم الذي كان يستخدمه، إلى شقّة إيزابيل وارينغ؟»

أخذت قطرات عرق ترشح على جبين باركر وهو يتكلّم. «في وكالتنا...» توقّف ونظر إلى والدته. «أو ربّما يجدر القول في وكالة والدي، نتبع سياسة تقضي بعدم عرض الشقق على الزبائن إلّا بعد التأكّد من أنّهم زبائن محتملين إلّا أنّهم يظلّون زبائن مؤهلين بحسب مواصفاتنا وحتّى إن كان ذلك لا يحمينا كليًّا من المتسكّعين».

«يعني أنّهم قادرون على دفع ثمن الشقق التي تعرضونها عليهم؟»

هزّ ريك باركر رأسه. «تعرف جيّدًا السبب الذي قادني إلى هنا. إنّني مدمن على المخدرات. في الحقيقة، إنّها عادة باهظة الثمن، وبكل بساطة، لم يكن بمقدوري تغطية نفقاتها. كنت أشتري كمّيات متزايدة على الحساب. وفي مطلع أكتوبر، تلقّيت اتصالًا من مزوّدي، ذلك الذي أدين له بمبالغ من المال، يبلّغني بأنّ أحد معارفه يرغب في تفقّد الشقّة. شرح لي أن هذا الشخص قد لا يكون يتمتّع بالمواصفات التي نطلبها، لكنّه في حال أعجبته الشقّة، يمكن ربّما ترتيب الأمور.»

«هل تلقّيت تهديدات في حال لم توافق؟» سأل سلون.

فرك باركر جبينه. «اسمع، كلّ ما يمكنني قوله هو إنّني كنت أعرف بيقين ماذا عليّ أن أفعل. كان واضحًا في ذهني أنّه لا يطلب منّي خدمة، بل يعطيني تعليمات بما يجب علي القيام به. اختلقت إذًا قصة. كنّا بعنا للتوّ في الوكالة عددًا من الشقق لمحامين نقلتهم شركة كيلر، رولاند وسميث إلى مانهاتن، فاخترعت اسم كورتيس كالدويل مدّعيًا أنّه يعمل في هذه الشركة. لم يدقّق أحد في المسألة. هذا كلّ ما فعلته»، تابع بنبرة محتدّة. «لا شيء آخر. تخيّلت أن يكون هذا الشخص مريبًا بعض الشيء، لكن لم يخطر لي أنّه بهذه الخطورة. حين قالت لي لايسي فاريل أنّه هو الذي قتل والدة هيذر، لم أدر ماذا أفعل.»

لاحظ سلون على الفور النبرة الحميمة حين يتكلّم ريك باركر عن هيذر لاندي.

«حسنًا. والآن، ما الذي كان بينك وبين هيذر لاندي؟»

رأى سلون بريسيلا باركر تضغط على يد ابنها. «عليك أن تقول لهم ريك»، قالت بصوت هادئ.

نظر باركر مباشرة إلى سلون. بدا للمفتش أنّ البؤس في عينيه صادق. «التقيت هيذر قبل حوالى خمس سنوات، حين قدمت إلى مكتبنا بحثًا عن شقّة في غرب نيويورك. رحت أصطحبها في جولات على الشقق. كانت... كانت رائعة، مفعمة بالحيوية وطريفة للغاية.»

«كنت على علم بأنّها ابنة جيمي لاندي؟» قاطعه سلون مستفهمًا.

«نعم، وهذا كان من العوامل التي جعلتني أستمتع بالموقف إلى هذا الحدّ. فقد طردني جيمي من مطعمه في إحدى الليالي التي

كنت فيها ثملًا، الأمر الذي أغضبني كثيرًا. لم أكن معتادًا أن أجابَه بالرفض بشأن أي أمر كان. وبالتالي حين أرادت هيذر فسخ عقد لشراء شقّة غرب الشارع السابع والسبعين، وجدت في ذلك فرصة مناسبة كي ألهو قليلًا، ولو بصورة غير مباشرة، على حساب جيمي لاندي.»

«وقّعَتْ عقدًا؟»

«عقدًا محكمًا. وبعد ذلك جاءتني مصابة بالهلع. اكتشفَتْ أنّ والدها اشترى لها شقّة شرق الشارع السبعين، فراحت تتوسّل إليّ كي أفسخ العقد.»

«وماذا حصل؟»

صمت ريك لبرهة، محدّقًا في يديه. «قلت لها إنّني سوف أمزّق العقد إن كان بوسعي الحصول على تعويض عيني».

أيّها النذل الحقير، قال سلون في نفسه، كانت طفلة وصلت حديثًا إلى نيويورك، وأوقعت بها.

«أترى»، تابع ريك باركر وقد بدا لسلون وكأنه يخاطب نفسه، «لم أكن حاذقًا بما يكفي لأدرك مشاعري الحقيقية تجاه هيذر. كان يكفي حتّى ذلك الحين أن أقوم بإشارة بإصبعي حتّى تهرع الفتيات إليّ. أمّا هيذر، فتجاهلت محاولاتي لإغوائها. وبالتالي، رأيت في الاتفاق الذي توصّلنا إليه بشأن عقد الشقّة فرصة للحصول على ما أريده، وأكثر من ذلك، تسوية حسابي مع والدها. لكن في تلك الليلة حين قدمت إلى شقّتي، بدا واضحًا أنّها كانت مذعورة، فقرّرت عدم المضي قدمًا. كانت فتاة لطيفة حقًا، من النوع الذي يمكنني الوقوع في غرامه. وربّما وقعت في غرامها في الواقع. كلّ ما أعرفه أنّني شعرت فجأة بإحراج شديد لوجودها هناك. أغظتها قليلًا فبدأت تبكي. نصحتها

عندها أن تنضج قليلًا، قلت لها أن ترحل، وأنني أكبر سنًّا من أن أخالط أطفالًا. أعتقد أنّني نجحت في إذلالها بما يكفي لأبعدها عنّي نهائيًا. حاولت لاحقًا أن أتصل بها، أن أراها مجدّدًا، لكنّها لم تشأ الاستماع إليّ إطلاقًا.»

نهض ريك وتوجّه إلى الموقد وكأنه بحاجة إلى الدفء المنبعث من النار المشتعلة فيه. «في تلك الليلة بعدما قدمت إلى شقّتي، خرجت وثملت. وعند خروجي من حانة في الشارع العاشر في غرينيتش فيلاج، وجدت نفسي فجأة مدفوعًا إلى داخل سيّارة. انهال عليّ رجلان بالضرب المبرح. قالا إنّني إن لم أمزّق العقد وأدَع هيذر وشأنها، فإنني لن أبقى على قيد الحياة حتّى عيد ميلادي المقبل. أُصِبتُ بكسور في ثلاثة من ضلوعي.»

«وهل مزّقت العقد؟»

«بالتأكيد سيد سلون، مزّقته. لكن ليس قبل أن ترد أصداء المسألة إلى والدي ويرغمني على أن أروي له ما حصل. مكتبنا الرئيسي هو الذي كان قد باع شقّة هيذر لجيمي لاندي. لكن عقد البيع هذا لم يكن بشيء يُذكر مقارنة مع صفقة أخرى اكتشفْتُ أنّها كانت في الطريق. فقد كان والدي يفاوض في الوقت نفسه على بيعه العقار في أتلانتيك سيتي. ولو علم لاندي بما فعلته لابنته، لكان الأمر كلّف والدي الملايين. عندها قال لي والدي إمّا أن أسوّي المسألة، أو أن أختفي. لا تنس أنّه حين تكون صفقة ما على المحك، لا يعود والدي يكترث لكوني ابنه. إن تدخلّت في مشاريعه، أنزل بي العقاب.»

«لدينا شاهد عيان يؤكّد أن هيذر هرعت خارجة من الفندق في ستوي خلال بعد الظهيرة التي سبقت مقتلها، حين رأتك هناك»، قال سلون.

«لم ألمحها في ذلك اليوم»، أجاب ريك باركر وهو يهزّ رأسه. بدا صادقًا في كلامه. «المرّات القليلة التي صادفتها، كان ردّ فعلها هو ذاته: الهرب منّي بأسرع ما أمكنها. وللأسف لم يكن من الممكن تغيير ذلك بأي وسيلة.»

«من الواضح أنّ هيذر لجأت إلى أحد ما، وأنه أمر بالتعرّض لك. هل كان ذلك والدها؟»

«غير وارد!»، أجاب ريك وهو على وشك أن يضحك لمجرد هذه الفكرة. «تريدها أن تقول له إنّها وقعت ذلك العقد؟ لا بدّ أنّك تمزح. ما كانت لتجرؤ على ذلك.»

«إذًا من؟»

تبادل ريك باركر نظرة تفاهم مع والدته. «أخبره، ريك»، قالت وهي تربّت على يده.

«كان والدي من روّاد مطعم لاندي المواظبين منذ ثلاثين عامًا»، قال ريك. «ولطالما أبدى الكثير من الاهتمام بهيذر. أعتقد أنّ والدي هو من أرسل الشباب لترويعي.»

48

حين أقلعت طائرتها أخيرًا في الساعة الثالثة بعد الظهر، لم تنضمّ لايسي إلى جوقة المهللين والمصفقين فرحًا بين الركاب، بل غرقت في مقعدها وأغمضت عينيها، وهي تحس بأنّ طوق الرعب الذي كان يطبق على عنقها بدأ يفك قبضته. كانت جالسة في المقعد الوسطي، محاصرة بين رجل مسنّ ظلّ نائمًا – وراح يشخر – معظم الوقت الذي بقيت فيه الطائرة مسمّرة على أرض المدرج، وشاب دائم الحركة من صنف المسؤولين التنفيذيين، قضى الوقت يعمل على حاسوبه المحمول، ولو أنّه حاول أكثر من مرة الدخول في حديث معها.

ثلاث ساعات طويلة من الذعر، بقيت خلالها خائفة من أن يتمّ إلغاء الرحلة وأن تتراجع الطائرة عن المدرج عائدة إلى البوّابة، لتجد كورتيس كالدويل في انتظارها.

أخيرًا باتوا في الجو! وهي الآن بأمان لحوالى ساعة، إلى حين الهبوط في شيكاغو على الأقلّ.

كانت لا تزال تنتعل الحذاء المطاطي ذاته وترتدي الملابس الرياضية ذاتها التي وضعتها في الصباح للذهاب إلى نادي إيدينا

الرياضي. أرخت رباط حذائها الأيمن قدر المستطاع، لكنّها لم تخلعه خشية ألّا تتمكّن من حشر رجلها المتورّمة فيه مجدّدًا. كاحلها بات الآن بضعف حجمه الطبيعي، ووخز الألم المنبعث منه يصل إلى ركبتها.

انسي أمر كاحلك، قالت لنفسها. لا يمكن أن تسمحي لإصابتك بالوقوف في طريقك. إنّها نعمة أن تكوني على قيد الحياة حتّى تشعري بالألم. عليك الآن أن تضعي خطّة.

عند وصولها إلى شيكاغو، سوف تستقلّ أوّل رحلة تتاح لها إلى نيويورك. لكن ماذا أفعل حين أصل إلى هناك؟ تساءلت. أين أذهب؟ لا يمكنني بالتأكيد الذهاب إلى شقّتي. ولا يمكنني كذلك الذهاب إلى منزل أي من والدتي أو كيت. فذلك سيعرضهما للخطر.

إلى أين أذهب إذًا؟

اشترت حتّى الآن تذكرة سفر رخيصة بتعرفة كاملة على حساب بطاقة الاعتماد باسم أليس كارول. والآن سيترتّب عليها حجز تذكرة ثانية كاملة التعرفة إلى نيويورك. بطاقتها لديها سقف قدره ثلاثة آلاف دولار، وقد لا يكون هذا المبلغ كافيًا لتغطية نفقات غرفة في أحد فنادق مانهاتن. كما أنّها واثقة من أنّه حين يعلم مكتب المدعي العام الفدرالي باختفائها، سوف يصدر أمرًا بتعقّب أي مدفوعات بواسطة بطاقة الاعتماد. وبالتالي، إن حجزَت غرفة في فندق، فسوف يصل عملاء غاري بولدوين بحلول منتصف قبل الظهر. وعندها ستقع في الفخّ من جديد، لا سيّما أنّه قادر على احتجازها بمثابة شاهدة أساسية فارّة.

لا، عليها أن تجد مكانًا تبيت فيه، مكانًا لا تعرّض فيه أيًّا كان للخطر ولا يخطر لأحد أن يبحث عنها فيه.

فيما كانت الطائرة تحلّق فوق الغرب الأوسط الأميركي المكسوّ بالثلوج، استعرضت لايسي الخيارات المتاحة لها. بوسعها الاتصال بغاري بولدوين والاتفاق معه على العودة إلى برنامج حماية الشهود. عندها سوف يخفيها المارشالات من جديد، فتبقى في ملجأ آمن لبضعة أسابيع قبل إرسالها إلى مدينة مجهولة جديدة، تظهر فيها بهوية وكيان جديدين بالكامل.

غير وارد إطلاقًا، وعدت نفسها. أفضّل الموت على ذلك.

استعادت لايسي تسلسل الأحداث الذي قادها إلى حيث هي الآن. لو انها فقط لم تتلقّ اتصال إيزابيل وارينغ حين أوكلت إليها حصريًا بيع شقّة هيذر لاندي. لو أنّها فقط أجابت على الهاتف وتكلّمت مع إيزابيل حين اتّصلت بها الليلة التي سبقت قتلها.

لو أنني تكلّمت إلى إيزابيل في تلك الليلة، لكانت ربّما أعطتني اسمًا ما، قالت لايسي لنفسها. ربّما كانت قالت لي ما الذي اكتشفته في يوميّات هيذر. مان... تلك كانت آخر كلمة تفوّهت بها. ما معنى مان؟ لكن أيًا كان من يقف خلف هذه القضية برمّتها، فإنني أقترب منه. هذا واضح. ما حصل أحد أمرين. إمّا أن تكون أمي كشفت عن غير قصد معلومات قادت إلى مكان وجودي، أو أن يكون أحد ما يحصل على معلومات بشأني من داخل الشرطة. قد يكون سفنسون اضطرّ إلى طلب موافقة من نيويورك لإعطائي مبلغ ألف وخمسمئة دولار إضافية لدفع بدل الاشتراك في نادي إيدينا الرياضي. إن كان هناك تسريب على مستوى ما داخل مكتب المدعي العام الفدرالي، فقد تكون هذه المعلومات وصلت إلى أحد. لكن هذا السيناريو يبدو رغم كلّ شيء مستبعدًا. ثمّة العديد من الأشخاص في البرنامج، ولا

شكّ أن المسؤولين عنهم يتم اختيارهم بعناية فائقة ومراقبة عملهم عن كثب.

ماذا عن والدتها؟ تناولت أمي العشاء ليلة أمس في مطعم أليكس كاربين، فكّرت لايسي. أكن الكثير من المودة لأليكس، تصرّف بشكل رائع ليلة أصيبت بوني. لكن ماذا نعرف عنه فعلًا؟ حين التقيته لأول مرة عندما قدم لتناول العشاء في منزل جاي وكيت، قال لنا إنّه التقى هيذر.

جاي أيضًا قد يكون عرف هيذر، همس صوت في داخلها. صحيح أنّه أنكر ذلك، لكنّه اضطرب لسبب ما حين ورد اسمها في الحديث وحاول تغيير الموضوع.

إيّاكِ أن تتخيلي حتّى أن زوج كيت قد يكون ضالعًا في القضيّة، قالت لايسي لنفسها. جاي لديه ربّما نزواته، لكنّه بشكل أساسي شخص طيّب جدًّا ومستقيم.

وجيمي لاندي؟ لا، لا يعقل أن يكون الفاعل. لقد رأت الأسى في عينيه حين أخذ منها نسخة يوميّات هيذر.

ماذا بشأن الشرطيين؟ فقد اختفت يوميّات هيذر المكتوبة بخطّ يدها بعدما سلّمتهم إياها. والآن يسأل جيمي لاندي إن كانت هناك صفحات غير مسطّرة في نهاية اليوميّات. أذكر جيّدًا تلك الصفحات الثلاث، كانت ملطّخة بالدماء. إن كانت نسخة هذه الأوراق الثلاث اختفت فيما كانت في عهدة الشرطة، فهذا يعني أنّها تحتوي على شيء مهمّ.

كانت تحمل نسختها من اليوميّات داخل حقيبة يدها الموضوعة تحت المقعد أمامها. ودّت لايسي لو تتناولها من الحقيبة

وتلقي نظرة عليها، لكنّها فضلت الانتظار إلى أن يصبح بوسعها التمعّن في الأوراق غير المسطرة تلك بعيدًا عن الأنظار. الشاب إلى يمينها مع الكمبيوتر بدا لها من الصنف الذي قد يعلّق على الأوراق، ولم تكن تنوي التفوّه بكلمة واحدة بهذا الشأن مع أي كان. ولا حتّى مع غرباء. أو بالأحرى تحديدًا مع غرباء.

«نبدأ الهبوط...»

شيكاغو. وبعدها نيويورك. إلى دياري!

انتهت المضيفة من إعطاء تعليماتها بشأن تقويم المقاعد وربط أحزمة الأمّان، ثمّ أضافت «إن شركة نورثوست تعتذر عن التأخير الناجم عن الأحوال الجويّة. قد يسركم أن تعلموا بأنّ الانقشاع تراجع فور إقلاعنا، وأننا كنّا آخر طائرة غادرت المطار إلى أن استؤنفت الرحلات قبل دقائق قليلة فقط».

إذا فإنني أتقدّم ساعة على الأقلّ على أي شخص قد يكون يطاردني، قالت لايسي مطَمْئنة نفسها.

لكن هذا العزاء لم يدم طويلًا بل بدّدته فكرة أخرى خطرت لها. إن كان أحد ما يطاردها وافترض أنّها تنوي الذهاب إلى نيويورك، ألن يجد من الأفضل له أن يستقلّ رحلة مباشرة إلى هناك وينتظر وصولها؟

49

كانت كلّ خلية من خلايا جسد طوم لينش تصرخ فيه ألّا يترك أليس وحيدة. بعدما قطع مسافة خمسة أميال على الطريق إلى شقّته في سانت بول، استدار فجأة بسيّارته وعاد أدراجه على وجه السرعة. سيوضح لها أن لا نية له إطلاقًا للتدخّل في شؤونها فيما تتكلّم مع والدتها أو مع أي من أقربائها قد يكون ضالعًا في هذا الخلاف، لكنّها لن تمانع بالتأكيد أن ينتظرها في ردهة المبنى أو حتّى في سيّارته إلى أن تعطيه الإشارة للصعود إلى شقّتها. من الواضح أنّها في ورطة، وأريد أن أكون إلى جانبها، قال لنفسه.

الآن وقد اتخذ طوم قراره بالعودة، لم يعد يحتمل السائقين الشديدي الاحتراس الذين يتقدمون ببطء شديد خوفًا من الثلج المتساقط.

ما إن اقترب من شقّتها حتّى علم أن أمرًا ما حصل. أوّل مؤشر إلى ذلك كان مشهد سيّارات الشرطة المتوقّفة أمام المبنى وإلى جانبه، مشعلة أضواءها الدوّارة، فيما يقوم شرطي بتوجيه حركة السير، مشيرًا بحزم إلى السائقين الفضوليين أن يواصلوا طريقهم.

أدرك طوم بحدس مخيف أنّ وجود الشرطة على علاقة بأليس. وجد مكانًا ركن فيه سيّارته على مسافة بضعة مبان وعاد أدراجه مهرولًا. استوقفه شرطي عند مدخل المبنى.

«أريد الصعود»، قال للشرطي. «صديقتي تقيم هنا وأريد الاطمئنان عليها.»

«من هي صديقتك؟»

«أليس كارول، في الشقّة 4 إف.»

التغيير المفاجئ في سلوك الشرطي أكّد لطوم أن شيئًا ما حصل لأليس. «تعال معي. سوف أرافقك إلى شقّتها»، قال له الضابط.

في المصعد، أرغم طوم نفسه على طرح السؤال الذي كان يخشى التفوّه به. «هل هي بخير؟»

«لِمَ لا تنتظر سيدي حتّى تقابل الشخص المسؤول؟»

كان باب شقّة أليس مفتوحًا. في الداخل كان ثلاثة شرطيين يتلقّون تعليمات من رجل أكبر سنًّا عرفه طوم: فهو الذي أعاد أليس إلى شقّتها الليلة الماضية.

قاطعه طوم. «ماذا حصل لأليس؟ أين هي؟»

فهم طوم من المفاجأة التي عبّرت عنها ملامح الرجل أنّه ليس غريبًا عنه بالكامل، لكنّه لم يهدر لحظة في الشكليّات، مفضّلًا الخوض مباشرة في صلب الموضوع. «من أين تعرف أليس، سيد لينش؟» سأله جورج سفنسون.

«اسمع»، قال طوم. «لن أجيب على أسئلتك قبل أن تجيب أنت على أسئلتي. أين أليس؟ لماذا أنت هنا؟ ومن تكون؟»

ردّ سفنسون على أسئلته باقتضاب. «إنّني نائب مارشال فدرالي. لا نعرف أين الآنسة كارول. ما نعرفه في المقابل أنّها كانت تتلقّى تهديدات.»

«إذًا ذلك الرجل في المركز الرياضي، الذي ادّعى أمس أنّه والدها كان يكذب»، قال طوم بحدّة. «هذا ما قلته لنفسي، لكنّني حين أخبرت أليس عنه، لم تقل شيئًا سوى أن عليها الاتصال بوالدتها.»

«عن أيّ رجل تتكلّم؟»، سأل سفنسون. «أخبرني كلّ ما تعرفه عنه سيد لينش. معلوماتك قد تنقذ حياة أليس كارول.»

حين عاد طوم أخيرًا إلى منزله، كانت الساعة الرابعة والنصف. أشار وميض ضوء المجيب الآلي إلى تلقّيه أربع رسائل. ومثلما كان يتوقّع، لم تكن أي منها من أليس.

جلس إلى طاولته قرب الهاتف، غير آبه لخلع سترته حتّى، ممسكًا رأسه بين يديه. كلّ ما قاله له سفنسون هو أن الآنسة كارول كانت تتلقّى اتّصالات تهديد وقد اتّصلت بمكتبه. لكن هذا الصباح، يبدو أنّها أصيبت بالهلع، وهذا ما دفعهم إلى الحضور. «قد تكون ذهبت لزيارة اصدقاء»، قال سفنسون بنبرة غير مقنعة إطلاقًا.

أو ربّما خُطفت، فكّر طوم. بإمكان طفل حتّى أن يرى أنّهم لا يقولون لي حقيقة ما يحصل. حاولت الشرطة العثور على روث ويلكوكس في مركز توين سيتيز الرياضي، لكنّها كانت في عطلة نهاية الأسبوع. قالوا إنهم يأملون في الحصول على وصف أوفى للرجل الذي ادعى أنّه والد أليس.

قال طوم لسفنسون إن أليس وعدته أن تتصل به. أجابه سفنسون بنبرة آمرة «إن كلّمَتك، قل لها أن تتّصل بي. فورًا».

استرجع طوم في ذهنه صورة أليس واقفة أمام النافذة في منزل المصرفي في وايزاتا قبل أسبوع فقط. كم كانت هادئة وجميلة! لماذا لم تثقي بي؟ قال بحنق. لم يكن يسعكِ الانتظار للتخلص مني هذا الصباح!

كان هناك خيط محتمل أطلعته عليه الشرطة. فقد قال أحد الجيران إنّه رأى أليس تدخل سيّارتها قرابة الساعة الحادية عشرة. تذكّر طوم أنّه ترك أليس في الساعة الحادية عشرة إلّا ربعًا. وإن صحّ كلام ذلك الجار، فهذا يعني أنّها رحلت بعدي بحوالى عشر دقائق فقط.

أين يمكن أن تذهب؟

من عساها تكون في الحقيقة؟

حدّق طوم في الهاتف الأسود القديم الطراز بقرصه الدائري المرقّم. هيّا أليس، اتصلي بي، قال ما بين التمني والطلب. مرّت الساعات، الواحدة تلو الأخرى، طلع الفجر باهتًا وواصل الثلج تساقطه بدون توقّف، ولم يرن الهاتف.

50

وصلت لايسي إلى شيكاغو في الساعة الرابعة والنصف. من هناك، استقلّت طائرة أقلعت عند الساعة الخامسة والربع إلى بوسطن. استخدمت بطاقة اعتمادها مرة جديدة لشراء التذكرة، لكنّها كانت تعتزم دفع ثمن الرحلة من بوسطن إلى نيويورك في طائرة شركة دلتا نقدًا. تلك الطائرة تحطّ على مدرج مارين تيرمينال، على مسافة ميل من المدارج الرئيسية في مطار لا غوارديا. إن كان أحد ما سيتبعها إلى نيويورك، فمن المؤكّد أنّه لن يبحث عنها هناك. كما أن عدم استخدامها بطاقة الاعتماد لشراء تذكرة الطائرة إلى نيويورك قد يجعل مكتب بولدوين يعتقد أنّها بقيت في منطقة بوسطن.

قبل صعودها على متن الطائرة من شيكاغو، اشترت لايسي صحيفة نيويورك تايمز. فتحتها في منتصف الرحلة وشرعت تقرأ الصفحة الأولى. لكنّها تنبهت إلى أنّها لم تكن تستوعب كلمة ممّا تقرأ، فراحت تقلب الصفحات حين كادت تصرخ فجأة من شدة الدهشة: طالعتها صورة لوجه ريك باركر في الصفحة الأولى من قسم المحليّات.

قرأت المقال مرة، ثمّ مرة ثانية، محاولة استخلاص مغزى منه.

كان يتضمن توضيحات جديدة على مقال سابق عن ريك. ريتشارد جي. باركر جونيور الذي شوهد آخر مرة بعد ظهر الأربعاء، حين اصطحب زبونة لمعاينة شقّة إيزابيل وارينغ، يعتبر مشتبهًا به في قضية قتل وارينغ، بحسب ما أكّدت الشرطة الآن.

هل يختبئ؟ تساءلت لايسي. أم أنّه قُتل؟ هل المعلومات التي نقلتها ليل الثلاثاء إلى غاري بولدوين على علاقة باختفائه؟ تذكر أن بولدوين لم يظهر أي رد فعل حين أخبرته أن ريك كان في ستوي قبل ساعات من مقتل هيذر لاندي. وها هي الشرطة تعتبر الآن ريك مشتبهًا به في جريمة قتل إيزابيل. لا بدّ أن يكون الأمران مترابطين، قالت لنفسها.

كانت الطائرة باشرت هبوطها في بوسطن حين خطر للايسي أخيرًا المكان حيث يمكنها الاختباء في نيويورك بدون أن يخطر لأي كان أن يبحث عنها فيه.

كانت الساعة الثامنة وخمس دقائق بالتوقيت المحلي حين نزلت من الطائرة في مطار لوغان. اتّصلت بتيم باورز، مسؤول الصيانة في مبنى إيزابيل وارينغ، آملةً أن تجده في منزله.

قبل أربع سنوات، فيما كانت لايسي تغادر الرقم ثلاثة شرق الشارع السبعين بعد عرض شقّة على أحد الزبائن، كاد يقع حادث فظيع لو لم تكن هناك لمنعه. حادث لكان ألقي اللوم فيه على تيم باورز. حصل الأمر بشكل سريع جدًّا. أفلت طفل من يد مربيته وخرج راكضًا إلى الشارع بعدما ترك تيم بوابة المدخل الرئيسي مفتوحة أثناء قيامه بأشغال فيها. أسرعت لايسي وبلمحة بصر تمكّنت من إبعاد الطفل من أمام شاحنة تسليم بضائع كانت على وشك أن تدهسه.

أصيب تيم بصدمة شديدة إزاء الكارثة التي كادت تقع. يومها قطع وعدًا للايسي وهو يرتعد مذعورًا «لو وقع الحادث لكان بسببي. إن احتجت يومًا إلى أي شيء لايسي، أي شيء على الإطلاق، يمكنك الاعتماد عليّ».

إنّني بحاجة إلى خدمة منك الآن تيم، فكّرت وهي تنتظر أن يردّ عليها.

ذهل تيم لسماع صوتها. قال «لايسي فاريل، ظننتك اختفيت عن وجه الأرض».

وهو ما فعلته تقريبًا، فكّرت لايسي. «تيم، إنّني بحاجة إلى مساعدة. وعدتني مرّة...»

«أيّ شيء تريدينه لايسي»، قاطعها.

«إنّني بحاجة إلى مكان أبيت فيه»، قالت له بصوت بالكاد يسمع. كانت وحيدة في صفّ حجرات الهاتف، لكنّها رغم ذلك كانت تتلفت من حولها خشية أن يسمعها أحد.

قالت مسرعة «تيم، ثمّة من يطاردني. أعتقد أنّه الرجل الذي قتل إيزابيل وارينغ. لا أريد أن أعرّضك للخطر، لكن لا يمكنني الذهاب إلى شقّتيَ، ولا إلى عائلتي. إنّني واثقة أنّه لن يفكّر في البحث عني في مبناك. أود المكوث في شقّة إيزابيل وارينغ لهذه الليلة على الأقلّ. أمر آخر، أرجوك تيم، وهذا في غاية الأهميّة، لا تتفوه بكلمة عن ذلك لأي كان. تصرف وكأننا لم نتحادث إطلاقًا».

51

لم يكن اليوم أوشك على الانتهاء بالنسبة للمفتّش إيد سلون. بعدما ترك ريك باركر في مركز إعادة التأهيل في هارتفورد، رافق بريسيلا باركر إلى منزلها في غرينيتش حيث استعاد سيّارته.

اتّصل في طريقه إلى مانهاتن بمركز الشرطة للاستعلام عن أي جديد. وجد نيك مارس في مكتبه. قال له نيك «بولدوين يسأل عنك بدون توقّف، يتّصل كلّ دقيقتين تقريبًا. يريد مقابلتك بأسرع ما يمكن. لم يتمكّن من الاتّصال بك في سيارتك.»

«بالتأكيد، لما كان استطاع ذلك»، ردّ سلون وهو يتساءل ماذا كان ليقول لو علم أنّني كنت أتجوّل في سيّارة ليموزين يقودها سائق. «ماذا يريد الآن؟»

«إنّها الفوضى التامة»، قال مارس. «لايسي فاريل كادت تُقتل في مينيابوليس حيث كان العملاء الفدراليون يخبّئونها. والآن اختفت ويعتقد بولدوين أنّها في طريقها إلى نيويورك. يريد أن ينسّق معنا من أجل العثور عليها قبل أن يضبطها القاتل هنا. يعتزم توقيفها بصفتها شاهدة أساسية». ثمّ بعد برهة أضاف «كيف جرت الأمور معك إيد؟ هل حالفك الحظ وعثرت على باركر؟»

«وجدته»، قال سلون. «اتصل ببولدوين ورتب موعدًا معه. سوف أوافيك إلى مكتبه. يمكنني الوصول إلى هناك في الساعة السابعة.»

«هناك حلّ أفضل. إنّه في وسط المدينة. سوف يلاقينا هنا في المركز.»

حين وصل المفتّش سلون إلى مركز شرطة المنطقة التاسعة عشرة، توقف عند مكتبه وخلع سترته. ثمّ ذهب للاجتماع بالمدعي العام الفدرالي غاري بولدوين الذي كان ينتظر في غرفة الاستجواب، ولحق به نيك مارس.

كان بولدوين لا يزال غاضبًا لاختفاء لايسي فاريل، لكنّه كبت غيظة وهنأ سلون لعثوره على ريك باركر. «ماذا قال لك؟» سأله.

رفع له سلون تقريرًا كاملًا عن مقابلته، مستعينًا مرة أو مرتين فقط بالملاحظات التي دوّنها.

«هل تصدّقه؟» سأل بولدوين.

«أجل، أعتقد أنّه يقول الحقيقة»، أجاب سلون. «أعرف الرجل الذي يزوّد باركر بالمخدرات. إن كان هو من أمر باركر بترتيب ذلك الموعد الذي أتاح لسافارانو الدخول إلى شقّة إيزابيل وارينغ، فلم يكن هو من خطّط للأمر من تلقاء نفسه. إنّه مجرد رسول. شخص نقل إليه التعليمات.»

«ما يعني أنّنا لن نصطاد السمكة الكبيرة من خلال باركر»، تابع بولدوين.

«تمامًا. باركر سافل، لكنّه ليس مجرمًا.»

«هل تعتقد أنّ والده هو الذي أمر حقًا بضربه عندما حاول التحرّش بهيذر لاندي؟»

«أعتقد أنّ هذا ممكن»، ردّ سلون. «بل إنّه مرجح حتّى، إن كانت هيذر لاندي قصدت باركر الأب واشتكت له من ريك. لكن من جهة أخرى، لا يبدو لي الأمر محتملًا، لأنني لست متأكّدًا من أنّها كانت ستثق بباركر الأب. أعتقد أنّها لكانت خافت من أن يقول شيئًا لوالدها.»

«حسنًا. إذًا سنقبض على مزوّد ريك باركر ونضغط عليه ليتكلّم، لكنّني أعتقد أنّك على حقّ. فهو على الأرجح همزة وصل، ولا يلعب دورًا أساسيًّا. كما يجب ألّا ندع قدمي ريك باركر تطآن خارج مركز إعادة التأهيل بدون أن نرسل من يواكبه. والآن، ملف لايسي فاريل.»

وضع سلون يده في جيبه بحثًا عن سيجارة، وظهرت تكشيرة على وجهه. «إنّها في جيب سترتي. هلا أحضرتها لي نيك؟»

«طبعًا إيد.»

عاد نيك بعد حوالى دقيقة. رمى علبة السجائر نصف الفارغة ومنفضة قذرة على الطاولة أمام سلون.

«ألم يخطر لك يومًا أن تتوقف عن التدخين؟» سأل بولدوين وهو ينظر باشمئزاز إلى علبة السجائر والمنفضة.

«أكثر من مرة»، أجاب سلون. «ما آخر الأخبار عن فاريل؟»

بدا واضحًا لسلون منذ الكلمة الأولى التي تفوّه بها بولدوين أنّه ناقم بشدة على لايسي. «والدتها أقرّت بأنّها كانت على علم بأنّ فاريل في مينيابوليس، لكنّها تُقسم بأنّها لم تقل شيئًا لأحد، ولو أنّني لا أصدّق ذلك للحظة.»

«ربّما حصل تسريب في مكان آخر»، اقترح سلون.

«لم يكن هناك أيّ تسريب من مكتبي ولا من مكتب المارشال الفدرالي»، أكّد بولدوين بنبرة جافة. «إنّنا نحافظ على قواعد السلامة، خلافًا لما يجري في مركز الشرطة هذا.»

ملاحظة جلبتها أنا لنفسي، أقرّ سلون في نفسه. «ما هي خطتك للتحرّك الآن سيدي؟» سأل بولدوين. شعر للحظة عابرة بالعزاء، علمًا منه بأنّ بولدوين لن يتأكّد إن كان القصد من مخاطبته بلقب سيدي هو السخرية أم فائق الاحترام.

«وضعنا إشارة على بطاقة الاعتماد التي زودناها بها لتعقب أي عمليات دفع أو سحب أموال. نعرف أنّها استخدمتها للسفر إلى شيكاغو، ثمّ إلى بوسطن. لا بدّ أنّها في طريقها إلى نيويورك.»

«نراقب أيضًا خطّ الهاتف في شقّتها، ولو أنّني لا أظنها غبية إلى حدّ العودة إلى هناك»، تابع بولدوين. «فرضنا مراقبة على المبنى. كما نراقب خط والدتها وشقيقتها، وسنباشر الاثنين مراقبة خطوط الهاتف في مكتب صهرها. ثمّة عميل يتعقّب كلًّا من أفراد العائلة، في حال حاول أي منهم لقاءها في مكان ما.»

توقّف بولدوين وحدّق بسلون متفحّصًا. «خطر لي أيضًا أن لايسي فاريل قد تحاول الاتصال بك مباشرة. ما رأيك؟»

«أشكّ في ذلك كثيرًا. لا يمكنني القول إنّني عاملتها بكثير من المراعاة.»

«إنّها لا تستحق المراعاة»، قال بولدوين بنبرة قاطعة. «لقد أخفت أدلة في جريمة قتل. وكشفت مكان إقامتها فيما كانت بحمايتنا. وها هي الآن تضع نفسها في موقف خطير للغاية. لقد خصصنا الكثير من الوقت والمال لإبقاء الآنسة فاريل على قيد الحياة،

ولم نحصل منها في المقابل سوى على الشكوى وقلة التعاون. لنفترض أنّها تفتقر إلى الحد الأدنى من المنطق، فمن حقنا أن ننتظر منها على الأقلّ بعض الامتنان!»

«إنّني واثق من أنّها ستبقى ممتنّة لنا إلى الأبد!» قال سلون وهو ينهض. «كما أنّني واثق من أنّها تفضل على الأرجح البقاء على قيد الحياة، حتّى لو لم تخصّص لها كلّ هذا الوقت والمال.»

52

اتّصلت لايسي بتيم باورز من مدرج مارين تيرمينال، طبقًا لما اتّفقا عليه. قالت له «سوف أستقلّ سيّارة أجرة. من المفترض أن تكون حركة السير خفيفة في مثل هذه الساعة، أتوقّع أن أصل عندك بعد عشرين دقيقة، أو نصف ساعة على أبعد تقدير. أرجوك تيم، انتظرني. من المهمّ جدًّا ألّا يراني أحد أدخل المبنى.»

«سوف أصرف البوّاب في استراحة»، وعدها طوم، «وسأجهّز المفتاح لأسلّمك إياه على الفور».

كم هو غريب إحساس العودة إلى نيويورك، فكّرت لايسي فيما أسرعت سيّارة الأجرة عابرةً جسر ترايبرو إلى مانهاتن. حين دارت الطائرة لآخر مرة قبل الهبوط أثناء رحلتها، ألصقت وجهها بالكوة، تتشبّع من بمنظر نيويورك من السماء، مدركة كم اشتاقت إلى هذه المدينة.

لو كان بوسعي فقط العودة إلى شقّتي، لكنت ملأت الجاكوزي، طلبت عشاء واتّصلت بأمي وبكيت. وطوم أيضًا.

ترى ماذا يجول في بال طوم الآن؟ تساءلت.

كانت حركة السير خفيفة مثلما توقّعت، وفي غضون دقائق كانت السيّارة تتجه بها جنوبًا على طريق فرانكلين روزفلت درايف.

أحسّت بالتوتر يشد جسدها شيئًا فشيئًا. أرجو أن يكون تيم في انتظاري، فكّرت. لا أريد أن يراني باتريك. لكنّها تذكرت أن باتريك لن يكون هناك على الأرجح. ففي آخر مرة رأت البواب، كان يعتزم التقاعد في الأوّل من يناير.

انعطف السائق خارجًا من روزفلت درايف عند مفرق الشارع الثالث والسبعين، ليتجه غربًا نحو الجادة الخامسة. انعطف يسارًا عند الجادة الخامسة، ثمّ يسارًا مرة جديدة، وتوقّف. كان تيم باورز واقفًا خارج المبنى في انتظارها. فتح الباب وحيّاها بابتسامة قائلًا «مساء الخير آنستي»، بدون أن يظهر عليه أنّه يعرفها. سدّدت لايسي أجرة السائق ونزلت من السيّارة بصعوبة وهي تجرّ رجلها المتورمة. أخيرًا، سيكون بوسعها بعد كلّ هذا التجوال الجلوس والاستراحة. فهي لم تعد قادرة على إخفاء الألم الذي تشعر به في كاحلها.

فتح لها تيم باب الردهة وناولها مفتاح شقّة إيزابيل وارينغ. ثمّ ساعدها للوصول إلى المصعد، أدخل مفتاحه في قفل التحكّم وضغط على زر الطابق العاشر.

«برمجته بحيث ينقلك مباشرة إلى الطابق العاشر بدون أن يتوقّف، هكذا لن تلتقي أحدًا تعرفينه»، قال لها.

«هذا ما لا أريده بالتأكيد، تيم. لا يمكن أن أعبّر لك عن...»

قاطعها قائلًا «لايسي، اصعدي بسرعة وأقفلي الباب. سوف تجدين بعض الطعام في البرّاد.»

كان انطباعها الأوّل لدى دخولها هو أنّه تمّ الاهتمام بالشقة لتبقى نظيفة ومرتّبة. اتّجهت عيناها إلى خزانة المدخل حيث اختبأت ليلة مقتل إيزابيل وارينغ. تهيأ لها أنّها إن فتحت الباب، سوف ترى حقيبتها

لا تزال في الداخل، وفيها صفحات اليوميّات الملطّخة بالدماء.

أقفلت الباب بالمفتاح، لكنّها تذكرت أن كورتيس كالدويل كان سرق المفتاح الذي تحتفظ به إيزابيل على طاولة المدخل. فهل تم تغيير القفل في ما بعد؟ شدّت سلسلة الأمّان، رغم أنّها تعرف انها لا تجدي نفعًا في حال كان أحد ما مصممًا على الدخول.

كان تيم أغلق جميع الستائر وأشعل الأضواء من أجلها، ما يمكن أن يشكل خطأ إن لم تكن الستائر تُسدل عادة. إن كان أيّ شخص يراقب الشقّة، سواء من الجادة الخامسة أو من الشارع السبعين، فقد يستنتج أن أحدًا في داخلها.

من جهة أخرى، إن كانت الستائر تسدل عادة، ففتحُها سوف يلفت الانتباه. يا إلهي، فكّرت، كيفما فعلت، لا مجال لأن أكون واثقة من أنّني بأمان.

صور هيذر لا تزال موزعة في أطر في أرجاء غرفة الجلوس. الواقع أنّ كلّ ما في الشقّة لا يزال على حاله مثلما تركته إيزابيل تمامًا. اعترت لايسي قشعريرة. شعرت فجأة وكأن إيزابيل ستظهر نازلة على السلالم.

لاحظت أنّها لم تخلع بعد سترتها. ملابسها الرياضية على تباين صارخ مع الملابس التي كانت ترتديها في زياراتها السابقة إلى هذه الشقّة، ما زاد من إحساسها بالغربة. ارتعشت لايسي من جديد وهي تفتح سحاب سترتها. أحسّت فجأة بأنّها دخيلة، تتنقّل وسط أشباح.

سيترتّب عليها عاجلًا أم آجلًا الصعود إلى الطابق الأوّل وتفقّد غرفة النوم، ولو اضطرت إلى إرغام نفسها على ذلك. لم تكن ترغب في الاقتراب من تلك الغرفة، لكنّها تدري أنّه لا بدّ من إلقاء نظرة عليها للتخلص من ذلك الإحساس بأنّ جثّة إيزابيل لا تزال ممدّدة فيها.

كانت هناك كنبة سرير جلدية في المكتبة، وحجرة تواليت ملاصقة. سوف تستخدم هاتين الغرفتين. غير وارد إطلاقًا أن تنام في السرير الذي قتلت عليه إيزابيل.

قال لها تيم إن هناك طعامًا في البرّاد. علّقت لايسي سترتها الرياضية في خزانة المدخل. هناك اختبأت وراحت تراقب كالدويل فيما عبر أمامها مندفعًا إلى الخارج.

عليّ تناول بعض الطعام، قالت لنفسها. إنّني جائعة، والجوع يزيدني توتّرًا، وبالنتيجة يزيد الوضع سوءًا.

تدبّر طوم أمره ليجمع لها وجبة حقيقية. وجدت شريحة دجاج مشوي، سلطة خضراء، لفافات خبز، قطعة من جبنة التشيدار وبعض الفاكهة. كان إناء نصف فارغ يحتوي على قهوة سريعة التحضير موضوعًا على رفّ. تذكّرت أن إيزابيل كانت تعدّ لهما القهوة من هذا الإناء نفسه.

«اصعدي»، خاطبت نفسها بصوت عال. «تخلّصي من هذا الحاجز.» توجّهت إلى السلالم وهي تقفز على رجل واحدة، وبدأت تصعد السلالم إلى غرفة النوم، مستندة إلى الدرابزون الحديدي المزخرف.

عبرت غرفة الجلوس، دخلت غرفة النوم وقلّبت النظر في أرجائها. كانت الستائر مسدلة هنا أيضًا والغرفة مظلمة. أشعلت الضوء.

لم يتغيّر شيء هنا منذ آخر زيارة لها برفقة كورتيس كالدويل. ما زالت تذكر كيف راح يتفحّص الغرفة، ممعنًا في التفكير. انتظرت بصمت، اعتقادًا منها أنّه يفكّر قبل أن يقرر إن كان سيقدّم عرضًا لشراء الشقّة. تعرف الآن أنّه كان في الواقع يتثبت من أنّ إيزابيل لن تجد سبيلًا للفرار منه حين يهاجمها.

أين هو كالدويل الآن؟ تساءلت فجأة، وقد انتابها شعور بالذعر والإذعان معًا. هل لحقها إلى نيويورك؟

نظرت لايسي إلى السرير وتذكّرت يد إيزابيل تقطر دمًا، تحاول انتزاع صفحات اليوميّات من تحت الوسادة. تهيأ لها أنّها تسمع صدى كلماتها الأخيرة وهي تتوسّل إليها: «لايسي... أعطي يوميّات... هيذر... إلى والدها... هو... وحده... أقسمي...»

تذكرت بوضوح مروع الحشرجات فيما إيزابيل تكاد تختنق محاولة بكثير من العناء النطق بكلماتها الأخيرة.

«اقرئيها... أنـت... أشيري لـه... إلـى...» ثمّ في جهد كبير همست كلمة أخيرة وهي تلفظ أنفاسها «مان...»

استدارت لايسي وعبرت غرفة الجلوس من جديد قافزة على رجل واحدة، وانحدرت على الأدراج ببطء. عليكِ أن تأكلي، تستحمّي وتنامي، قالت لنفسها. تغلّبي على عصبيّتك. تعرفين جيّدًا أنّك ستبقين هنا، شئت أم أبيت. فلا مكان آخر تقصدينه.

بعد أربعين دقيقة، كانت جالسة على الكنبة في المكتبة، مدثّرة بغطاء، وقد وضعت أمامها على المكتب نسختها من يوميّات هيذر لاندي، الصفحات الثلاث غير المسطّرة مفروشة جنبًا إلى جنب. في النور الخافت المتسرّب من ردهة المدخل، ظهرت بقع الدم التي تلطّخ خطّ هيذر أشبه ببقع حبر في اختبار رورشاش لتقييم الشخصية. بدت وكأنها تسألها: ماذا يعني ذلك بالنسبة لك؟

ماذا ترين فيها؟ سألت لايسي نفسها. كانت منهكة، لكنّها واثقة من أنّها لن تغفو بسهولة. أشعلت الضوء ومدّت يدها لتناول الأوراق الثلاث غير المسطّرة. كانت بقع الدم تجعل قراءتها صعبة.

خطرت لها فكرة. هل يعقل أن تكون إيزابيل بذلت جهدًا خاصًا لوضع يديها على هذه الصفحات الثلاث تحديدًا في آخر لحظات من حياتها؟

راحت لايسي تقرأ الصفحات مرة جديدة، بحثًا عن أي دليل يمكن أن يفك رموزها ويفسر لها لماذا هي على هذا القدر من الأهمية، إلى حدّ دفَع أحدهم لسرقة النسختين الوحيدتين الأخريين عنها. لا شك لديها بأنّ تلك هي الصفحات التي اعتبر كالدويل أنّها تستحقّ أن يقتل من أجلها، لكن لماذا؟ هل هناك سر خفيّ مخبأ فيها؟

كتبت هيذر في إحدى هذه الصفحات أنّها واقعة بين المطرقة والسندان، ولا تعرف ما ينبغي عليها أن تفعل.

آخر ملاحظة فيها بعض الفرح في اليوميّات وردت في مطلع اولى الصفحات غير المسطّرة، وكتبت فيها هيذر أنّها ستتناول الغداء مع ماكس أو ماك هافنر، لم يكن من الممكن تمييز الحروف جيّدًا. وأضافت «أتوقّع قضاء وقت ممتع. يقول إنّه شاخ وإنني كبرت.»

تعرض المسألة وكأنها سوف تلتقي صديقًا قديمًا، فكّرت لايسي. ترى هل تحدّثت الشرطة إلى هذا الرجل لمعرفة ما إذا كانت هيذر كشفت له عن أمر ما؟ أم أن غداءهما كان قبل أن تنقلب أمورها وتتّخذ هذا المنحى الخطير؟

اليوميّات الأصلية سُرقت من الشرطة. هل وضعوا قائمة بأسماء الأشخاص المذكورين فيها قبل أن تُسرق؟

نظرت في أرجاء الغرفة، ثمّ هزت رأسها. لو كان معي فقط شخص يمكنني مناقشة المسألة معه، شخص أتبادل الأفكار معه لبلورتها. لكن بالطبع، ليس لديّ أحد، قالت لنفسها. إنك وحيدة تمامًا، ومن الأفضل لك أن تتقبّلي الأمر.

أخذت الصفحات من جديد بين يديها. لم يعد أحد يملك هذه الصفحات الثلاث الآن. لا الشرطة، ولا جيمي لاندي. هذه هي النسخة الوحيدة المتبقّية.

هل هناك وسيلة لمعرفة من يكون ذلك الرجل؟ تساءلت لايسي. يمكنني البحث في دليل الهاتف والاتّصال ببعض الأرقام. أو ربّما يمكنني بكلّ بساطة الاتصال بجيمي لاندي نفسه.

سرحت مرة جديدة في أفكارها. كانت على يقين بأنّ عليها السعي لفك اللغز الكامن في هذه الصفحات. إن كان من الممكن كشف سرها، فمن الواضح أن هذه المهمّة ملقاة على عاتقها هي. لكن هل بوسعها القيام بذلك قبل فوات الأوان لإنقاذ حياتها؟

53

حين استؤنفت الرحلات من مطار مينيابوليس، صعدساندي سافارانو على متن أوّل رحلة مباشرة إلى نيويورك. افترض أن لايسي فاريل استقلت أوّل طائرة سنحت لها، ما يفسر ذهابها إلى شيكاغو. لكنّه كان واثقًا من أنّ وجهتها الأخيرة من هناك ستكون نيويورك. أين يمكنها الذهاب غير ذلك؟

في انتظار موعد إقلاع رحلته، استحصل على قائمة بالرحلات التي تنظمها كبرى شركات الطيران من شيكاغو إلى نيويورك. كان يرجح أن تواصل لايسي فاريل سفرها مع شركة نورثوست. فمن المنطقي عند نزولها من الطائرة أن تتوجّه مباشرة إلى أقرب مكتب للشركة وتستعلم عن رحلاتهم.

وبالرغم من أنّ حدسه كان يقول له إنّها ستستقل طائرة تابعة لهذه الشركة، إلّا أن ساندي عمد إلى مراقبة معظم المخارج التي يسلكها الركّاب القادمون من شيكاغو.

لم يعد العثور على لايسي فاريل وقتلها بالنسبة له مجرد مهمّة عليه إنجازها، بل بات هوسًا يستحوذ عليه كليًا. الرهان خلف العملية

تخطّى الحدّ الذي يمكنه المجازفة به. فهو سعيد بحياته الجديدة في كوستاريكا، سعيد بوجهه الجديد. زوجته الشابة تفتنه.

المبلغ الذي سيتقاضاه للتخلّص من لايسي كارول طائل، لكنّه ليس بحاجة إليه للحفاظ على نمط حياته. ما هو بحاجة ماسة إليه في المقابل، هو ألّا يواصل حياته مع العلم أنّه أخفق في مهمّته الأخيرة. وأن يصفّي شخصًا قادرًا على إرساله إلى السجن مدى الحياة.

بعدما راقب ساندي جميع الرحلات القادمة إلى نيويورك على مدى خمس ساعات، قرر التخلّي عن مشروعه. كان يخشى أن يلفت الانتباه إن بقي في المطار لمزيد من الوقت. استقل سيّارة أجرة إلى الشقّة التي تم استئجارها له في مبنى من الحجر الرملي غرب الشارع العاشر، في انتظار تلقّي معلومات جديدة بشأن لايسي فاريل.

لم يخطر له أنّه قبل حلول عصر اليوم التالي، سيكون مرة جديدة في أثر فريسته.

54

كان جيمي لاندي ينوي الذهاب إلى أتلانتيك سيتي في عطلة نهاية الأسبوع للكشف بنفسه على الأشغال الجارية هناك، والتثبّت من أنّ كلّ شيء جاهز لافتتاح الكازينو. كانت هذه الفترة مليئة بالإثارة والحماسة، ويجد من الصعب أن يبقى بعيدًا خلالها فالمشروع يعد بدرّ الملايين. غير أنّ الأمر لم يكن يقتصر على الأرباح، فهو يتطلع بلهفة إلى لذة الترحيب بأصحاب النفوذ والسلطة، وإلى الانفعال عند سماع رنين ماكينات النقود وهي تقذف مئة دولار من القطع النقدية، جاعلة اللاعبين يتوهّمون بأنّهم ربحوا الجائزة الكبرى.

كان جيمي على يقين بأنّ لاعبي القمار الحقيقيين لا يكنّون سوى الازدراء للمدمنين على آلات القمار، لكنّه لم يكن يشاطرهم هذا الشعور. هو شخصيًا لم يكن يحتقر سوى اللاعبين الذين يراهنون بأموال غيرهم. مثل أولئك الذين يلعبون بأجورهم، في حين يُفترض بهم أن يدفعوا قسط منزلهم أو جامعات أولادهم.

أمّا الذين تسمح لهم إمكاناتهم بلعب القمار، فليلعبوا ولينفقوا قدر ما يشاؤون عنده. هذا كان تصوّره للأمور. كان يفاخر بمشروعه

بثقة كبيرة وقد نقلت عنه الصحف مرارًا وتكرارًا قوله «سوف أقدم لكم غرفًا وخدمة ومأكولات وسبل تسلية وترفيه أفضل ممّا يقدمه لكم أي مكان آخر، سواء في أتلانتيك سيتي، أو لاس فيغاس، أو حتّى موناكو». الأسابيع الأولى بعد الافتتاح كانت محجوزة بالكامل. كان يعلم أن البعض يأتي بحثًا عن أي سبب للشكوى والانتقاد. حسنًا، هؤلاء سوف يبدّلون نبرتهم حتمًا. هذا كان رهانه.

كان جيم يؤمن بأنّه من المهمّ أن يواجه المرء على الدوام تحديات ينجح في التغلّب عليها، غير أنّه يقرّ بأنّه لم يواجه من قبل تحدّيًا يحمل هذا القدر من الأهمية بالنسبة له. كان ستيف أبوت يُعنَى بالإجراءات الروتينية اليومية الملازمة لإدارة العملية، ما يسمح لجيمي بالتفرغ للمسائل الجوهرية. لم يكن جيمي يود الدخول في التفاصيل حول من طبع قوائم الطعام أو كوى المحارم. ما كان يهمّه هو كلفتها ومظهرها.

لكنّه لم يكن رغم كلّ ذلك قادرًا على تركيز اهتمامه على الكازينو، مهما بذل من جهود في هذا السبيل. فمنذ أن وصلته نسخة يوميّات هيذر الاثنين الماضي، استحوذت على أفكاره وبات يقضي وقتًا مديدًا وهو يقرأها ويعيد قراءتها. وكأنها بوابة مشرّعة على ذكريات لم يكن واثقًا من أنّه يودّ فعلًا استرجاعها. الأمر الذي وجده مدهشًا فيها، هو أن هيذر لم تبدأ بكتابة يوميّاتها إلّا عند انتقالها إلى نيويورك لمحاولة الانطلاق في مجال الاستعراض، غير أنّها على مرّ الصفحات تستعيد أوقاتًا من الماضي، تروي أمورًا قامت بها سواء معه أو مع والدتها. كانت كتاباتها مزيجًا من اليوميّات الجارية وكتاب الذكريات.

ما أحزنه في اليوميّات هو أنّها توحي بأنّ هيذر كانت تخشاه. ما الذي كانت خائفة منه؟ بالطبع، وبّخها بضع مرات بشدة، مثلما كان

يفعل مع كلّ من يخرج عن السكة، لكن ذلك يجب أن يدفعها للخوف منه. تلك الفكرة كانت تزعجه إلى أقصى حد.

ما هو ذلك الأمر الخطير الذي حصل لها قبل خمس سنوات وكانت حريصة كلّ الحرص على كتمه عنه؟ ذلك الجزء من اليوميّات لم يكن يفارق ذهنه. أن يكون أحد ما أوقع بهيذر ونجا بفعلته، فهذه فكرة كانت تفقده صوابه. لا بدّ أن يكشف حقيقة القضية، حتّى بعد مضي كلّ هذا الوقت.

كانت هناك أيضًا مسألة أخرى تشغل باله، مسألة تلك الصفحات غير المسطّرة في اليوميّات. كان يقسم بأنّه رآها. صحيح أنّه ألقى فقط نظرة سريعة على اليوميّات ليلة سلّمته إياها لايسي فاريل، وأنه في الليلة التالية حين حاول قراءتها، ثمل لأول مرة منذ سنوات، لكن لديه رغم ذلك انطباع غامض بأنّه رآها فعلا.

يدّعي رجال الشرطة أنّه لم تكن هناك صفحات غير مسطّرة حين تسلّموا النسخة. قد يكونون على حقّ، قال لنفسه. لكن إن افترضنا أنّني لم أخطئ، وأن تلك الصفحات كانت موجودة بالأساس، فهذا يعني أنّها لما كانت اختفت لو لم يكن أحد ما يعتقد أنّها مهمّة. ثمّة شخص واحد يمكنه أن يؤكد لي الحقيقة: لايسي فاريل. حين طبعت لي نسخة عن اليوميّات، لا بدّ أنّها لاحظت إن كانت بعض الصفحات في آخر اليوميّات مختلفة عن الباقي.

كانت هناك بقع على تلك الصفحات، يذكر ذلك بشكل مبهم. قرّر جيمي الاتصال بوالدة لايسي فاريل ليطلب منها مجدّدًا أن تطرح على لايسي السؤال الذي يحتاج إلى إجابة عليه: هل هذه الصفحات موجودة؟

نظرت لايسي إلى الساعة حين استيقظت في الصباح. لا بدّ أنّها نامت حوالى ثلاث ساعات. فتحت عينيها، فراودها ذلك الإحساس الذي يلازمها حين تذهب إلى عيادة طبيب الأسنان، تحت تأثير بنج طفيف. شعرت بألم غامض في مكان ما من جسدها، ولو أن مصدر الألم هذه المرّة كان كاحلها وليس أسنانها. وفي الوقت نفسه شعرت وكأنها خدرة، لكن ليس إلى حدّ أن تفقد الحس بما يجري من حولها. تناهت إليها أصوات الشارع خافتة، صفارة سيّارة إسعاف أو شرطة أو إطفاء.

تلك كانت أصوات مانهاتن الأليفة التي أثارت فيها على الدوام مشاعر متناقضة. كانت تشعر بالتعاطف مع المريض في سيّارة الإسعاف تلك، وفي الوقت نفسه تحسّ بأنّها في أمان. سوف أجد دائمًا من يأتي لعوني إن احتجت إلى مساعدة، هذا ما كانت تقوله لنفسها على الدوام.

لم أعد أشعر على هذا النحو الآن، فكّرت وهي تزيح الأغطية وتجلس على الكنبة. المفتّش سلون ناقم عليها لأخذها يوميّات هيذر

من الشقّة. المدّعي العام الفدرالي بولدوين جنّ جنونه من دون شك حين علم بأنّها أخبرت والدتها بمكان إقامتها ثمّ هربت.

الواقع أنّه هدّدها باعتقالها بصفتها شاهدة أساسية إن لم تلتزم بقوانين برنامج حماية الشهود، وهي واثقة من أنّه سينفّذ تهديده إن تمكن من رصد مخبئها. نهضت ملقية تلقائيًا القسم الأكبر من ثقلها على رجلها اليسرى، وهي تعضّ شفتها تحت وطأة الألم المنبعث من كاحلها الأيمن المتورّم.

اتكأت بيديها إلى المكتب محاولة تثبيت توازنها. الصفحات الثلاث غير المسطّرة المفروشة عليه لفتت انتباهها على الفور. قرأت من جديد السطر الأوّل من الصفحة الأولى: «تناول الغداء مع ماكس (أو ربّما ماك؟) هافنر: أتوقّع قضاء وقت ممتع. يقول إنّه شاخ وإنني كبرت».

يبدو أنّ هيذر تتكلّم عن شخص تعرفه منذ زمن بعيد. من يمكن أن أطرح عليه السؤال؟ فكّرت لايسي. لم تجد سوى جواب واحد بالتأكيد: والد هيذر.

إنّه المفتاح لهذه المسألة برمتها.

عليها أن ترتدي ملابسها وتتناول بعض الطعام. يجب أن تزيل أيضًا أي أثر لوجودها هنا. كان ذلك يوم أحد. قال تيم باورز إنّه سوف ينبّهها في حال كان وكيل عقاري يعتزم إحضار زبون إلى الشقّة، لكنّها رغم ذلك كانت تخشى أن يصل أحد ما بشكل مباغت. نظرت من حولها، مستعرضة في ذهنها حال الشقّة. الطعام في البراد سيكشف على الفور أن أحدًا ما نزل في الشقّة. وكذلك المنشفة ومنشفة الوجه الصغيرة المبلّلتان.

قرّرت أخذ دوش سريع علّه ينشّطها. كانت تريد أن تخلع قميص النوم الذي استعارته من خزانة هيذر لاندي وترتدي ملابس. لكن أي ملابس؟ تساءلت. كانت مضطرة مكرهة إلى التفتيش مرة جديدة بين ثياب هيذر.

بالأمس أخذت دوشًا بعد قليل على وصولها إلى الشقّة، ثمّ التفّت بمنشفة حمّام وأرغمت نفسها على الصعود إلى الطابق الأوّل بحثًا عن ملابس نوم تقضي الليل فيها. اعتراها إحساس بالوجل والرهبة وهي تفتح أبواب حجرة الملابس الملاصقة لغرفة النوم. كلّ ما كانت تريده كان العثور على أي شيء ترتديه للذهاب إلى النوم، لكنّها لاحظت بدون أن تتعمد التدقيق في الملابس المعلقة، أنّها من نوعين مختلفين ينمّان عن ذوقين مختلفين. إيزابيل كانت ترتدي على الدوام ملابس كلاسيكية أنيقة، وكان من السهل أن تخمّن لايسي التايورات والفساتين التي كانت لها. أمّا باقي الثياب المعلّقة والمطوية على الرفوف، فكانت تتضمن مجموعة كبيرة من التنانير القصيرة والطويلة، والقمصان العصرية المزركشة، والفساتين من الطراز القديم، وفساتين السهرات المصنوعة ممّا لا يزيد على متر واحد من القماش، والكنزات العريضة الفضفاضة، وأكثر من عشرة سراويل جينز... كلها كانت لهيذر على ما يبدو.

انتشلت لايسي قميص نوم واسعًا ذا خطوط حمراء وبيضاء بدا لها أنّه كان لهيذر.

إن خرجْتُ، لا يمكنني ارتداء سترتي وملابسي الرياضية. فأنا كنت أرتديها بالأمس، ما سيجعل من السهل رصدي.

أعدّت لنفسها كوبًا من القهوة ولفافة خبز محمّصة ثمّ أخذت

دوشًا. الملابس الداخلية التي غسلتها في وقت سابق جفّت، غير أنّ جاربيها الغليظين لا يزالان مبلّلين. وجدت نفسها مرغمة من جديد على التفتيش بين ملابس امرأتين متوفّيتين بحثًا عما يمكنها ارتداؤه.

في الساعة الثامنة، اتصل بها تيم باورز على الهاتف الداخلي. «لم أشأ استخدام الهاتف في شقّتي، قال لها. من الأفضل ألّا يعلم الأولاد ولا حتّى كاري أنّك هنا. هل يمكنني الصعود؟»

تناولا القهوة معًا في المكتبة. «كيف يمكنني مساعدتك لايسي؟» سألها تيم.

«لقد ساعدتني كثيرًا حتّى الآن»، ردّت وهي تبتسم له بامتنان. «هل ما زالت وكالة باركر وباركر تتولى بيع الشقّة؟»

«نعم، على حدّ علمي. هل سمعت باختفاء جونيور؟»

«قرأت الخبر. هل اصطحب أي كان من الوكالة زبائن جددًا لزيارة الشقّة؟»

«لا، اتصل جيمي لاندي قبل أيام ليسأل عن الأمر. بدأ يفقد صبره حيال باركر. يريد بيع الشقّة، ويريد بيعها بدون تأخير. قلت له بصراحة إن بيعها سيكون أسهل بحسب اعتقادي إن أفرغناها من أثاثها.»

«تيم، هل لديك رقمه الخاص؟»

«أعتقد أنّ لدي رقم خطّه المباشر في المكتب. كنت خرجت حين اتصل واضطررت إلى الاتصال به عند عودتي. ردّ بنفسه.»

«هلّا أعطيتني الرقم تيم أرجوك؟»

«طبعًا. تعلمين أنّ الهاتف هنا ما زال موصولًا. لم يرغبوا في قطعه. تكلّمت إلى باركر مرّتين في المسألة حين وردت الفاتورة، لكن

أعتقد أنّه فضّل إبقاءه موصولًا في حال أراد إجراء اتصال. كان يزور الشقّة بمفرده بين الحين والآخر.»

«ما يعني أنّه قد يفعل ذلك في أيّ وقت»، أجابت. كانت تعلم أنّه لو تمّ ضبطها هنا، فسوف يخسر تيم وظيفته. لم تشأ تعريضه للخطر بالبقاء في الشقّة للمزيد من الوقت. لكن ما زالت هناك خدمة تودّ أن تطلبها منه. «تيم، عليّ أن أبلغ والدتي أنّني بخير. إنّني واثقة من أنّ هاتفها يخضع للتنصت، وأن بوسعهم بالتالي اقتفاء أثر أي اتصال قد أجريه معها. هل يمكنك الاتصال بها من هاتف عمومي؟ لا تعرّف عن نفسك ولا تكلّمها لأكثر من بضع ثوان، وإلا فسوف يتمكّنون من رصد مصدر الاتصال، ولو أنّهم، حتّى لو فعلوا، فلن يصلوا إلى هنا. قل لها فقط إنّني بخير وبأمّان وإنني سأتصل بها في أقرب وقت ممكن.»

«بالتأكيد»، قال تيم وهو ينهض. ألقى نظرة على الصفحات المفروشة على المكتب ووقف مذهولًا. «أليست هذه نسخة عن يوميّات هيذر لاندي؟»

التفتت لايسي إليه. «بلى، كيف تعرف ذلك تيم؟»

«عشيّة مقتل السيدة وارينغ، صعدت إلى هنا لتغيير مصافي أجهزة تكييف الهواء. تعرفين أننا نغيرها في أوائل أكتوبر عند الانتقال من التبريد إلى التدفئة. كانت تقرأ اليوميّات. أعتقد أنّها كانت عثرت عليها للتوّ يومها، لأنها كانت شديدة الانفعال وفي غاية الاضطراب، وخصوصًا عندما قرأت آخر صفحتين.»

كان حدس لايسي يقول لها إنّه على وشك أن يكشف لها أمرًا مهمًّا. «هل كلّمَتْك في الأمر تيم؟»

«لا، لم تقل لي شيئًا محدّدًا. ذهبَتْ مباشرة إلى الهاتف، لكنّ الرقم الذي حاولت الاتصال به كان مشطوبًا من دليل الهاتف.»

«ألا تعرف من كان ذلك الشخص؟»

«لا، لكن أظنّ أنّني رأيتها تحيط اسمه بدائرة بقلمها عندما قرأته. أذكر أنّه ورد قرابة نهاية اليوميّات. لايسي، عليّ أن أذهب الآن. أعطني رقم والدتك. سوف أتصل بك من الهاتف الداخلي وأعطيك رقم لاندي.»

بعدما خرج تيم، عادت لايسي إلى المكتب، تناولت أولى الصفحات المسطّرة وحملتها إلى النافذة. بالرغم من البقع التي كانت تكسوها، تراءى لها خطّ بالكاد يمكن تمييزه حول اسم هافنر.

من يكون ذلك الرجل؟ كيف يمكنها معرفة ذلك؟

سوف أتكلّم إلى جيمي لاندي، قالت. إنّه الحل الوحيد.

اتّصل تيم باورز عبر الهاتف الداخلي من ردهة المبنى وأعطى لايسي رقم لاندي، ثمّ خرج في جولة بحثًا عن هاتف عمومي، حاملًا معه مخزونًا من القطع النقديّة.

عثر على حجرة هاتف كان يعمل بعد خمسة مفارق على جادة ماديسون.

على مسافة أربعين كلم من هناك في ويكوف ب نيو جيرسي، انتفضت منى فاريل عند سماع رنين الهاتف. أرجو أن تكون لايسي، قالت لنفسها راجية.

سمعت صوتًا حارًّا مطَمْئنًا يقول لها «سيدة فاريل، أتصل بك من قبل لايسي. لا يمكنها مكالمتك، لكنّها تود إبلاغك بأنّها بخير وبأنّها ستتّصل بك بنفسها حالما تستطيع».

«أين هي؟» سألت منى. «لماذا لا يمكنها الاتّصال بي بنفسها؟»

كان تيم على يقين بأنّ عليه إنهاء المكالمة، لكن والدة لايسي بدت يائسة إلى حدّ لم يتمكّن من إغلاق الخطّ بوجهها. انتظر عاجزًا فيما راحت تعبّر عن فائض قلقها، مكتفيًا بمقاطعتها مرددًا «إنّها بخير سيدة فاريل، إنّها بخير».

حذّرته لايسي من البقاء طويلًا على الهاتف. وضع السماعة رغمًا عنه وهو لا يزال يسمع صوت منى فاريل تناشده أن يخبرها المزيد. انطلق عائدًا، وقرّر أن يسلك الجادة الخامسة، فلم ير بالتالي سيّارة شرطة لا تحمل إشارة رسمية تصل كالبرق وتتوقف أمام كشك الهاتف الذي خرج منه للتو. كما لم يعلم أنّه تم رفع بصماته فورًا عن الهاتف.

كلّ ساعة أقضيها هنا متخاذلة متريّثة تقرّب كالدويل من العثور عليّ، أو بولدوين من توقيفي، فكّرت لايسي. أحسّت وكأنها عالقة في خيوط شبكة عنكبوت.

لو كان بوسعها فقط مناقشة الأمر مع كيت. فشقيقتها منطقية وعملية. اقتربت لايسي من النافذة وشقّت الستائر قليلًا لتسترق النظر إلى الشارع.

حديقة سنترال بارك تغصّ بالمهرولين والمتزلّجين والمتنزّهين ونساء يدفعن أمامهن عربات أطفال.

طبعًا، كيف لم يخطر لي ذلك؟ إنّه يوم الأحد، تذكّرت. صباح الأحد، الساعة العاشرة تقريبًا. لا بدّ أن كيت وجاي في الكنيسة الآن. فهما يحضران دائمًا قدّاس الساعة العاشرة يوم الأحد.

إنهما يحضران دائما قدّاس الساعة العاشرة، رددت لنفسها.

«في مقدوري أن أكلّمها!» صاحت لايسي بصوت عال. كيت وجاي من أتباع رعيّة سانت إليزابيث منذ سنوات، والجميع هناك

يعرفهما. اتصلَتْ بقسم إستعلامات نيو جيرسي وقد ارتفعت معنوياتها فجأة، وحصلت على رقم بيت الأبرشية.

أرجو أن يكون أحد هناك، قالت راجية فيما الهاتف يرنّ، غير أنّها سمعت طقّة تشير إلى انطلاق المجيب الآلي. الحل الوحيد أمّامها كان أن تترك رسالة على أمل ان تتلقاها كيت قبل أن تغادر الكنيسة مع جاي. في المقابل، لم يكن بوسعها المجازفة وترك رقم هاتفها، حتّى في بيت أبرشيّة.

تكلّمت ببطء ووضوح. «إنّني بحاجة للتكلّم إلى كيت تايلور بشكل عاجل. أعتقد أنّها تشارك في قداس الساعة العاشرة. سوف أعاود الاتصال بهذا الرقم في الساعة الحادية عشرة والربع. أرجو أن تحاولوا العثور عليها.»

أقفلت لايسي الخطّ وهي تشعر بنفسها عاجزة تمامًا ومحاصرة. أمّامها ساعة أخرى عليها أن تقضيها في الانتظار.

اتّصلت برقم جيمي لاندي الذي حصلت عليه من تيم. لم يرد عليها أحد، وحين سمعت المجيب الآلي، فضلت ألّا تترك رسالة.

لم تكن لايسي تعلم أنّها تركت رسالة رغمًا عنها. فهاتف جيمي لاندي يدوّن الأرقام التي يتمّ تلقّي اتصالات منها، فضلًا عن اسم وعنوان الشخص صاحب الرقم.

الرسالة على شاشة الهاتف كانت تشير إلى تلقي اتصال من الرقم 555-8093 المسجل باسم هيذر لاندي، الرقم الثالث شرق الشارع السبعين.

56

لم يكن المفتّش سلون يتوقّع الذهاب إلى العمل يوم الأحد. كان في إجازة. كما أن زوجته بيتي طلبت منه تنظيف المرآب. لكن حين اتصل الرقيب المداوم في مركز الشرطة ليبلغه أن أحد أصدقاء لايسي فاريل اتصل بوالدتها من هاتف عمومي عند التقاطع بين الشارع الرابع والسبعين وجادة ماديسون، لم يكن هناك ما يمكن أن يستبقيه في المنزل.

دخل مركز الشرطة، فأومأ له الرقيب برأسه مشيرًا إلى مكتب المفوض وقال «الرئيس يودّ التحدّث معك».

وجد المفوّض فرانك ديليو جالسًا، وجهه قرمزي، ما يشير عادة إلى نوبة غضب شديدة ضد أحد ما أو أمر ما. إلّا أنّه، هذه المرّة، لاحظ على الفور الارتباك والإحباط في عينيه.

خمّن ما كان يعنيه ذلك التعبير على وجه ديليو. فقد أتى الفخّ بنتيجة وأوقعوا بالشرطي الفاسد.

«أرسل المختبر الشريط في وقت متأخّر من الليلة الماضية»، قال ديليو. «ما ستراه لن يسرّك.»

من يكون؟ تساءل إيد مستعرضًا في ذهنه وجوه زملائه في الشرطة الذين قضى معهم سنوات طويلة. توني... ليو... آدم... جاك... جيم في... جيم إم...

حدّق في شاشة التلفزيون فيما ضغط ديليو على زرّ الكهرباء ثمّ زرّ تشغيل الجهاز.

انحنى إيد سلون إلى الأمام. كان يرى مكتبه بسطحه الذي يحمل خدوشًا وتعلوه فوضى عارمة. سترته معلّقة على ظهر الكرسي حيث تركها، والمفاتيح تتدلى عمدًا من جيبه، سعيًا لاجتذاب السارق الذي سلب أدلة من داخل خزانته المغلقة.

في الطرف الأعلى عند يسار الشاشة، ميّز رأسه هو نفسه من الخلف، جالسًا في غرفة الاستجواب. «هذا الشريط صوّر الليلة الماضية!» قال متعّجبًا.

«أعرف ذلك. والآن راقب ما سيحصل.»

حدّق سلون في الشاشة بانتباه. رأى نيك مارس يخرج مسرعًا من غرفة الاستجواب ويتلفّت من حوله. لم يكن هناك سوى مفتّشين آخرين في قاعة الشرطيّين، أحدهما يتكلّم على الهاتف وهو يدير ظهره لنيك، والثاني يغطّ في النوم.

دسّ مارس يده في جيب سترة سلون، سحب منها حمّالة المفاتيح وأخفاها في قبضة يده. ذهب في اتجاه خزائن رجال الشرطة الخاصة المغلقة، ثمّ استدار وعاد أدراجه بدون إبطاء ليعيد المفاتيح إلى مكانها. وبعد ذلك، أخرج علبة سجائر من جيب سترة سلون الأمامي.

«هنا تحديدًا وصلتُ على حين غفلة»، قال ديليو بنبرة جافّة، «فعاد إلى غرفة الاستجواب».

تسمّر إيد سلون في ذهول تام. «والده كان شرطيًا. جدّه كان شرطيًا. حظي بجميع الفرص الممكنة. لماذا؟»

«لماذا يصبح أيّ شرطي على الإطلاق فاسدًا؟»، سأل ديليو. «إيد، يجب أن يبقى هذا الأمر سرًّا بيننا في الوقت الحاضر. هذا الشريط غير كاف وحده لإدانته. إنّه شريكك وقد يشرح أنّه كان يتفقّد جيوبك لأنك مهمل ولأنه كان يخشى أن يشتدّ عليك اللوم إن فُقد منك أي شيء آخر، وقد يدعم كلامه بحجج مقنعة. وسوف يصدّقون روايته على الأرجح حين يسردها وهو ينظر بعينيه الزرقاوين كعيني طفل.»

«لا بدّ أن نفعل شيئًا. لا يمكنني الجلوس أمّامه خلف طاولة واحدة ومواصلة العمل معه على قضية ما»، تابع سلون بحزم.

«بل هذا ما ستفعله. بولدوين في طريقه إلى هنا. يعتقد أن لايسي فاريل في الجوار. كم أتمنى أن نكشف هذه القضية ونفاجئ بها بولدوين. مهمتك كما تعرف جيّدًا، تقضي بالتثبت من أنّ نيك لن يتمكن الآن من سلب أي دليل جديد أو تدميره.»

«أوافق إن وعدتني بتركي عشر دقائق وحيدًا مع هذا النذل بعدما نضبطه.»

وقف المفوّض. «هيّا إيد، بولدوين سيصل في أي لحظة.»

هذا هو اليوم الذي توضع فيه الأوراق على الطاولة، فكّر إيد سلون بمرارة فيما كان أحد مساعدي المدعي العام الفدرالي يستعد لتشغيل شريط المكالمة المسجّلة بين والدة لايسي فاريل والرجل المجهول الذي اتّصل بها.

حين بدأ الشريط، رفع سلون حاجبيه لشدّة الصدمة التي أصيب بها. فهو يعرف هذا الصوت عن ظهر قلب من كثرة ما تردّد على شقّة

الرقم الثالث شرق الشارع السبعين. إنّه صوت تيم باورز، مسؤول الصيانة في المبنى. هو الذي أجرى الاتصال.

وهو يخفي فاريل في ذلك المبنى! خطر لسلون.

بقي الآخرون جالسين بصمت ينصتون للمكالمة. وجه بولدوين ذكّره بسحنة هرّ التهم فأرًا للتوّ. يعتقد أنّه يجري لنا استعراضًا لما يكون عليه عمل الشرطة الناجح، قال سلون لنفسه حانقًا. كان نيك مارس جالسًا، شابكًا يديه فوق ركبتيه، مقطّبًا من شدّة التركيز. التجسيد الحيّ لديك ترايسي، فكّر سلون. إلى من سيشي هذا القذر بالأمر إن علم بأنّ باورز هو الملاك الحارس الذي يخبئ لايسي فاريل؟

قرر إيد سلون أن شخصًا واحدًا غير تيم باورز سيكون في الوقت الحاضر على علم بمكان وجود لايسي فاريل.

وهذا الشخص هو إيد نفسه.

57

دقّ تيم باورز بخفّة على باب الشقّة في العاشرة والنصف، ثمّ فتح بمفتاحه ودخل معلنًا للايسي وهو يبتسم «المهمّة أنجزت». لكنّها فهمت على الفور أن أمرًا ما كان يشغل باله.

«ما الأمر، تيم؟»

«تلقّيت اتصالًا من وكيلة عقارية تعمل في وكالة دوغلاستون أند ماينور. جيمي عرض الشقّة لديهم، وكلفها التخلص في أسرع وقت ممكن من جميع الأثاث والمقتنيات الشخصية. ستحضر في الساعة الحادية عشرة والنصف وتصطحب معها أحدًا ما للكشف على الشقّة.»

«هذا يترك لي ساعة واحدة!»

«لايسي، لم أكن أودّ...»

«لا يمكنك إبقائي هنا، كلانا يعرف ذلك. أحضر علبة وأفرغ البرّاد. سوف أضع المناشف التي استخدمتها في غطاء وسادة تحمله معك إلى منزلك. هل ينبغي إزاحة الستائر أم إسدالها؟»

«إزاحتها.»

«سوف أهتمّ بذلك. تيم، كيف بدت لك والدتي؟»

«مضطربة. حاولت قدر المستطاع أن أطمئنها بأنك بخير.»

راود لايسي من جديد الإحساس الذي انتابها حين كشفت لوالدتها أنّها تقيم في مينيابوليس. قالت «آمل ألّا تكون بقيت طويلًا على الهاتف؟»

كانت واثقة رغم تأكيداته أنّ الشرطة تقوم في هذه اللحظة بتمشيط الحي بحثًا عنها.

بعدما خرج طوم حاملًا معه كلّ ما يمكن أن يكشف أن الشقّة كانت مأهولة، جمعت لايسي صفحات يوميّات هيذر ووضعتها في حقيبتها. قرّرت القيام بمحاولة أخيرة للاتصال بكيت في دار أبرشية سانت إليزابيث، وبعد ذلك يتحتم عليها الخروج من هناك. نظرت إلى ساعتها: ما زال لديها بعض الوقت لمحاولة الاتصال برقم جيمي لاندي مجدّدًا.

هذه المرة ردّ بعد الرنّة الرابعة. كانت لايسي على يقين بأنّه لا يمكنها إهدار دقيقة واحدة. «سيد لاندي، معك لايسي فاريل. إنّني سعيدة جدًّا بوصولي إليك. حاولت الاتصال قبل بعض الوقت.»

«كنت في الأسفل»، أوضح لها.

«أعلم أن ثمّة مسائل كثيرة ينبغي توضيحها سيد لاندي، لكن ليس لدينا الوقت الكافي لذلك. أرجو منك إذًا أن تدعني أتكلّم. أعرف لماذا أردت التكلّم معي. والجواب هو نعم، كانت هناك ثلاث صفحات غير مسطّرة في آخر يوميّات هيذر. تلك الصفحات عبّرت فيها عن مخاوفها من أن تجرح مشاعرك. كتبت مرارًا أنّها واقعة «بين السندان والمطرقة». والملاحظة الوحيدة الفرحة فيها كانت في مطلعها، حين

كتبت أنّها ستتناول الغداء مع رجل تصفه وكأنه صديق قديم لها. كتبت هيذر أنّه قال لها إنّها شبّت فيما هو هرم.»

«ما اسمه؟» سأل جيمي.

«يتهيّأ لي أنّه ماك أو ماكس هافنر.»

«لا أعرف أحدًا بهذا الاسم. قد يكون من معارف والدتها. زوج إيزابيل الثاني كان متقدّمًا في السنّ.» توقّف قليلًا ثمّ أضاف «أنت في ورطة شديدة، أليس كذلك آنسة فاريل؟»

«نعم، فعلًا.»

«ماذا ستفعلين؟»

«لست أدري.»

«أين أنت الآن؟»

«لا يمكنني أن أقول لك ذلك.»

«وأنت واثقة من وجود ثلاث صفحات غير مسطّرة في آخر اليوميّات؟ كنت متأكّدًا من أنّني لمحتها في النسخة التي سلّمتني إياها، لكن لم يكن بوسعي أن أجزم.»

«بلى، كانت في تلك النسخة، إنّني واثقة من ذلك. طبعت نسخة لنفسي أيضا، وهي تحوي تلك الصفحات. سيد لاندي، إنّني على قناعة بأنّ إيزابيل كانت على وشك اكتشاف أمر ما، لذلك قتلت. إنّني آسفة، عليّ أن أغادر.»

سمع جيمي لاندي لايسي تغلق الخطّ. وضع السماعة في اللحظة التي دخل فيها ستيف أبوت مكتبه. «ماذا يجري؟ هل أغلقوا أتلانتيك سيتي؟ عدتَ باكرًا الليلة.»

«عدتُ للتوّ»، قال أبوت. «كانت الأمور هادئة هناك. من كان ذلك على الهاتف؟»

«لايسي فاريل. أعتقد أنّ والدتها نقلت إليها رسالتي.»

«لايسي فاريل! ظننت أنّها في برنامج حماية الشهود.»

«صحيح، لكنّها الآن خرجت منه على ما يبدو.»

«أين هي حاليًّا؟»

نظر جيمي إلى شاشة رقم المتّصل على الهاتف. «لم تقل لي أين هي، وأظن أنّني لم أشغّل الجهاز. ستيف، هل كان لدينا في وقت من الأوقات موظف اسمه هافنر أو ما يشابهه؟»

فكّر أبوت لبرهة، ثمّ هزّ رأسه. «لا أعتقد ذلك جيمي، إلّا إن كان مساعد طبّاخ. تعرف كم يتبدّلون بسرعة.»

«أجل، أعرف.» القى نظرة من الباب المفتوح. لمح شخصًا في الخارج يذرع غرفة الانتظار الصغيرة ذهابًا وإيابًا. «من هو هذا الشخص في الخارج؟» سأل.

«كارلوس. يريد العودة. يقول إن العمل لدى أليكس يفتقر إلى الحركة ولا يناسبه.»

«أَخرِج هذا المتسكّع من هنا. لا أريد متطفّلين ومتلصّصين من حولي.»

نهض جيمي ومشى إلى النافذة، وقف هناك محدّقًا في الأفق وكأن أبوت غير موجود في الغرفة. «بين السندان والمطرقة تقولين؟ ولم يكن بوسعك اللجوء إلى بابي، أليس كذلك؟»

كان أبوت يعلم أن جيمي يخاطب نفسه.

58

في تمام الحادية عشرة وعشر دقائق، اتّصلت لايسي ببيت أبرشية سانت إليزابيث في ويكوف ب نيو جيرسي. هذه المرة رُفعت السمّاعة منذ الرنّة الأولى. قال صوت «الأب إدواردز».

«صباح الخير أبت»، بادرته لايسي. «اتّصلت في وقت سابق وتركت رسالة أطلب فيها أن تقوم كيت تايلور...»

قاطعها قائلًا «إنّها هنا بجانبي. ثانية واحدة.»

مضى أسبوعان منذ أن تكلّمت لايسي مع كيت آخر مرة، ولم ترها منذ خمسة أشهر. «كيت». لم تستطع أن تلفظ كلمة أخرى. شعرت بغصّة في صدرها من شدّة التأثّر.

«لايسي، اشتقنا إليك كثيرًا. إنّنا قلقون عليك. أين أنت؟»

ضحكت لايسي ضحكة متهدّجة. «صدّقيني، من الأفضل ألّا تعرفي. لكن ما يمكنني أن أقوله لك هو أنّ عليّ الخروج من حيث أنا بعد خمس دقائق. كيت، هل جاي معك؟»

«نعم بالطبع.»

«دعيه يكلّمني أرجوك.»

بادرها جاي بحزم. «لايسي، لا يمكن لهذا الوضع أن يستمرّ. سوف أجنّد حارسًا شخصيًّا على مدار الساعة لحمايتك، لكن يجب أن تتوقّفي عن الهروب وتدعينا نساعدك.»

في ظروف أخرى، كانت لتقول لنفسها إن جاي في مزاج عكر، لكنّها هذا الصباح لمست حرصًا واضحًا عليها في صوته. بدت نبرته شبيهة بنبرة طوم لينش حين كلمها في مرآب المبنى. هل كان ذلك فعلًا بالأمس؟ بدا لها وكأنه حصل قبل وقت طويل.

«جاي، عليّ أن أخرج من هنا، ولا يمكنني الاتصال بكم في المنزل. إنّني متأكّدة من أنّهم يتنصتون على الخطّ. لا يمكنني الاستمرار في العيش مثلما كنت أعيش. لن أبقى في برنامج حماية الشهود، وأعرف أن المدّعي العام الفدرالي يريد اعتقالي بصفتي شاهدة أساسية. باتت لديّ قناعة الآن بأنّ المفتاح لفك لغز هذه القضية الفظيعة برمّتها يكمن في كشف المسؤول عن قتل هيذر لاندي. إنّني واثقة مثل والدتها من أنّه تم قتلها، ولا بد أن الخيوط التي تقود إلى الفاعل موجودة في يومياتها. من حسن حظي أنّني احتفظت بنسخة، وكنت أراجعها وأدقق فيها. علي أن أعرف بالضبط ما الذي جعل هيذر لاندي قلقة إلى هذا الحد في آخر أيام حياتها. والأدلة لذلك موجودة في صفحات اليوميّات، إن أمكنني فقط تبيانها. أعتقد أنّ إيزابيل وارينغ اكتشفت ما حصل، وهذا ما دفعهم لقتلها.»

«لايسي...»

«دعني أكمل راي. هناك اسم أعتقد أنّه مهم. قبل أسبوع من مقتلها، تناولت هيذر الغداء مع رجل مسنّ كانت تعرفه منذ زمن بعيد على ما يبدو. أملي هو أن يكون على صلة ما بقطاع المطاعم، وأن تكون تعرفه أو بوسعك أن تسأل عنه.»

«ما اسمه؟»

«الكتابة مبهمة إلى حدّ يصعب قراءتها. يبدو أشبه بماك او ماكس هافنر.»

سمعت جرس باب بيت الأبرشيّة يرنّ عاليًا فيما كانت تلفظ اسم «هافنر».

«هل سمعتني جاي؟ ماك أو ماكس هاف...»

«ماكس هوفمان؟»، سألها جاي. «بالطبع كنت أعرفه. عمل لحساب جيمي لاندي لسنوات».

«لم أقل هوفمان»، أجابت لايسي. «لكن أجل، يا إلهي، هذا هو الاسم...»

كلمات إيزابيل الأخيرة... «اقرئيها... أرجوك...»، ثمّ ذلك اللهاث المتقطّع الطويل «... مان».

أدركت لايسي فجأة أن إيزابيل لفظت أنفاسها الأخيرة وهي تحاول أن تقول لها اسمه. كانت تحاول فصل هذه الصفحات عن باقي اليوميّات. أرادت أن يقرأها جيمي لاندي.

ثمّ تنبهت لايسي لما قاله جاي للتو، وانتابتها قشعريرة. «جاي، لماذا قلت إنك كنت تعرفه في الماضي؟»

«لايسي، ماكس توفّي قبل أكثر من سنة في حادث، صدمته سيّارة ولاذت بالفرار قرب منزله في غريت نيك. ذهبت إلى دفنه.»

«أكثر من سنة بكم؟»، سألت لايسي. «هذا التفصيل قد يكون في غاية الأهميّة.»

«حسنًا، دعيني أتذكّر. كان ذلك قرابة الفترة التي قدّمت فيها عرضًا لمشروع فندق ريد روف إين في ساوثامبتون. ما يعني قبل أربعة عشر شهرًا تقريبًا. كان ذلك في الأسبوع الأوّل من ديسمبر.»

«الأسبوع الأوّل من ديسمبر، قبل أربعة عشر شهرًا! إنّها الفترة ذاتها التي قُتلت فيها هيذر لاندي»، صاحت لايسي. «حادثا سيّارة بفارق أيّام قليلة...» غصّ صوتها.

«لايسي، هل تعتقدين فعلًا...» باشر جاي.

راح جرس الهاتف الداخلي يرنّ بشكل متقطع سريع. إنّه تيم باروز ينبّهها. عليها أن تخرج. «جاي، يجب أن أرحل. ابق حيث أنت. سوف أتصل بك لاحقًا. سؤال واحد آخر: هل كان ماكس هوفمان متزوّجًا؟»

«لخمسة وأربعين عامًا.»

«جاي، يجب أن تعثر لي على عنوان زوجته. لا بدّ أن أحصل عليه.»

حملت لايسي حقيبة يدها والمعطف الأسود بغطاء الرأس الذي كانت أخذته من خزانة إيزابيل، وخرجت من الشقّة وهي تعرج. عبرت الرواق متوجّهة إلى المصعد. كانت الأضواء تشير إلى أنّه في الطابق التاسع ويواصل صعوده. حثّت الخطى وبلغت سلالم النجاة في اللحظة التي وصل فيه، متجنبة بفارق ثانية أن يلمحها أحد.

لاقاها تيم باورز على الأدراج بمستوى الردهة فناولها رزمة من الأوراق المالية المطوية ودسّ في جيبها هاتفًا جوّالًا. «سوف يستغرق بهم الأمر بعض الوقت قبل أن يرصدوا أي اتصالات تجرينها بواسطة هذا الهاتف.»

«تيم، لا يمكنني أن أعبّر لك عن امتناني.» أحسّت لايسي بقلبها يخفق بجنون في صدرها. الشباك تطبق شيئًا فشيئًا، تعرف ذلك.

«هناك سيّارة أجرة في انتظارك أمام المبنى وبابها مفتوح»، قال تيم. «أبقي غطاء المعطف فوق رأسك.» ضغط على يدها. «الشقّة

6 جي تقيم فطورًا عائليًا. هناك الكثير من المدعوين يصلون دفعة واحدة. لن يلاحظك أحد. هيّا، اذهبي الآن».

بدا سائق السيّارة مستاء من اضطراره إلى الانتظار. أقلع بشكل مفاجئ منطلقًا بسرعة، دافعًا لايسي إلى الخلف في مقعدها. «إلى أين آنستي؟» سألها.

«غريت نيك، لونغ آيلند»، أجابت.

59

«آمـل أن تصل والـدتـي قبل أن تتّصل لايسـي مـن جـديـد»، قالت كيت بعصبية.

كانا يتناولان القهوة مع القسّ في مكتب دار الأبرشيّة. وكانت كيت تحتفظ بالهاتف قربها.

«من المفترض أن تصل بعد عشر دقائق أو ما يقارب»، قال جاي محاولًا طمأنتها. «كانت على موعد مع أليكس في نيويورك لتناول الفطور معه، وكانت على وشك الخروج.»

«والدتي في غاية القلق وسط كلّ ما يحصل»، شرحت كيت للكاهن. «تعلم أنّ مكتب المدعي العام الفدرالي يلقي اللوم عليها في مسألة تسريب موقع لايسي، وهو أمر سخيف فعلًا. لم تقل لي أنا نفسي شيئًا عن مكان وجود لايسي. سوف تفقد صوابها إن لم تتمكن من التحدث إلى لايسي الآن».

«هـذا إذا ما اتّصلت»، صحّح جـاي بحذر. «قـد لا تسنح لها الفرصة لذلك، كيت.»

هل يتبعها أحد؟ لا يمكنها التأكّد من ذلك. هناك سيّارة تويوتا سيدان سوداء بدا لها أنّها تبقى على المسافة ذاتها خلف سيّارة الأجرة.

قد أكون مخطئة، فكّرت لايسي وهي تتنفّس الصعداء إذ رأت السيّارة تنعطف عن الطريق السريع عند أوّل مفرق بعد الخروج من نفق ميدتاون.

ألصق تيم خلف الهاتف النقال الذي أعارها إياه الرمز المناسب لفكّ قفله. كانت لايسي على يقين بأنّ كيت وجاي ينتظران اتّصالها في دار الأبرشية، لكن إن كان بوسعها الحصول على المعلومات التي تحتاج إليها بوسيلة أخرى، فهذا يكون أفضل. إنّها بحاجة إلى اسم الشارع الذي كان ماكس هوفمان يقيم فيه وحيث تأمل أن تكون زوجته لا تزال تعيش. عليها أن تقصدها وتحصل منها على كلّ ما قد تعرفه عن الحديث الذي دار بين زوجها وهيذر لاندي.

قرّرت لايسي أن تحاول أوّلًا الحصول على عنوان السيدة هوفمان من مركز استعلامات الهاتف. اتّصلت وحين سئلت عن اسم المشترك أجابت «ماكس هوفمان، غريت نيك. لا أدري العنوان».

انتظرت قليلًا وبعد لحظة قيل لها «لا يمكننا إعطاء الرقم بطلب من المشترك».

كانت حركة السير خفيفة ولاحظت لايسي أنّهم يقتربون من ليتل نيك. البلدة التالية هي غريت نيك. ماذا تفعل إن وصلت هناك بدون أن يكون لديها عنوان تعطيه للسائق؟ هي تدرك أنّه لم يكن يشاء منذ البداية أن يقود كلّ هذه المسافة خارج مانهاتن. ماذا لو وصلت إلى عنوان السيدة هوفمان ولم تكن في منزلها أو لم تفتح لها الباب؟ ماذا تفعل في هذه الحالة؟

وهل يعقل أن يكون أحد ما يتعقّبها؟

اتّصلت ببيت الأبرشية مرة جديدة، فأجابت كيت على الفور.

«لايسي، أمّي وصلت للتو وهي متلهفة للتكلّم معك.»

«كيت، أرجوك...»

تناولت أمّها السماعة. «لايسي، لم أقل لأحد أين تقيمين!»

كانت مضطربة للغاية. هذا الوضع صعب جدًّا بالنسبة إليها، فكّرت لايسي، لكن لا يمكنني أن أشرح لها الأمر الآن.

لحسن حظها، قالت والدتها «جاي يريد التكلّم معك».

كانت السيّارة تدخل غريت نيك. «ما هو العنوان؟»، سأل السائق.

«توقّف لحظة»، أجابت.

«سيدتي، لا أودّ قضاء يوم الأحد هنا.»

اعترت لايسي ارتعاشة فزع إذ رأت سيّارة تويوتا سيدان سوداء تتمهل وتدخل موقفًا. هذه المرّة باتت واثقة من أنّ أحدًا ما يطاردها. راح جسدها يتصبّب عرقًا. لكن أعصابها بردت حين رأت رجلًا شابًّا يخرج من السيّارة ومعه طفل.

«لايسي؟» ناداها جاي.

«جاي، هل حصلت لي على عنوان السيّدة هوفمان في غريت نيك؟»

«ليس لديّ مطلق فكرة أين يمكنني العثور عليه، لايسي. عليّ من أجل ذلك أن أذهب إلى المكتب وأجري بعض الاتصالات لأرى إن كان بحوزة أحد ما. لكنّني اتّصلت بأليكس. كان يعرف ماكس معرفة وثيقة. قال إن لديه العنوان في ملفّ يحوي بطاقات المعايدة موجود في مكان ما. إنّه يبحث عنه الآن.»

لأوّل مرة منذ بدء محنتها قبل عدّة أشهر، استسلمت لايسي ليأس تام. فبعدما باتت على وشك الحصول على المعلومات التي تحتاج إليها لفك خيوط قضيتها، ها هي الآن تراوح مكانها. ثمّ سمعت جاي يسأل «ما الذي يمكنك القيام به أبت؟ لا، لا أدري في أي دار عزاء».

تولّى الأب إدواردز المسألة بنفسه. وفيما كانت لايسي تتكلّم مع والدتها من جديد، اتّصل القس بداري عزاء في غريت نيك. استخدم حيلة طفيفة للحصول على مبتغاه، فعرّف عن نفسه وقال إن أحد أبناء رعيّته يود إرسال بطاقة لإقامة قداس عن نفس السيد ماكس هوفمان الذي توفّي قبل حوالى عام في شهر ديسمبر.

أكّدت له دار العزاء الثانية التي اتصل بها أنّها تولت ترتيبات دفن السيد هوفمان وزوّدت الأب إدواردز بدون أي اعتراض بعنوان السيدة هوفمان.

نقله جاي للايسي فقالت «سوف أكلمكم جميعا لاحقًا. بالله عليكم، لا تقولوا لأحد أين أنا ذاهبة».

60

اقشعرّ المفتّش إيد سلون اشمئزازًا لاضطراره إلى الجلوس بجانب نيك مارس والتصرّف معه وكأن الأمور على خير ما يرام. «جميعنا أشقّاء» كان يقول النشيد، فكّر بمرارة.

كان سلون يعلم أنّ عليه الاحتراس حتّى لا تبدر عنه أي إشارة عداء يمكن أن تثير ريبة نيك، لكنّه وعد نفسه بأنّ يفصح له عن كلّ ما يجول بباله حين تُكشَف كلّ الأوراق أخيرًا.

باشرا مراقبة الشقّة في الرقم الثالث شرق الشارع السبعين قرابة الساعة الحادية عشرة والربع، مباشرة بعد انتهاء الاجتماع مع بولدوين.

بالطبع، لم يفهم نيك شيئًا ممّا يجري. راح يتذمر وهو يركن السيّارة على مسافة بضعة مبان. «إيد، إنّنا نضيّع وقتنا. هل تعتقد حقًا أن لايسي فاريل استعادت وظيفتها السابقة وتقوم ببيع شقق في المنطقة؟»

ملاحظة طريفة جدًّا جونيور، فكّر سلون. «اعتبر الأمر مجرّد حدس شرطي قديم، موافق نيك؟» قال له، آملًا أن يخاله نيك يمازحه.

لم تمض عليهما بضع دقائق حتّى خرجت من المبنى امرأة ترتدي معطفًا طويلًا ردّت غطاءه على رأسها، ودخلت سيّارة أجرة كانت تنتظرها. لم يلمح سلون وجه المرأة. معطفها كان أشبه بدثار فضفاض يغلّفها بالكامل، بحيث لم يتمكّن من تمييز قامتها، لكنّه شعر وهو يراقبها بإحساس أليف لفت انتباهه.

لاحظ أنّها كانت تتجنّب إسناد ثقلها على ساقها اليمنى، ما يتقاطع مع تقرير مينيسوتا الذي أفاد أنّها لوت كاحلها على ما يبدو في النادي الرياضي بالأمس.

«هيّا ننطلق، قال سلون لمارس. إنّها في سيّارة الأجرة هذه.»

«لا بدّ أنّك تمزح! هل أنت تقرأ الغيب؟ أم أنّك تخفي عنّي معلومات؟»

«مجرّد حدس. الاتصال بوالدتها تمّ عن مسافة بضعة مبان من هنا. ربّما لديها صديق في هذا المبنى. كثيرًا ما كانت تأتي إلى هنا.»

«إنّني أتخلّى عن المهمّة»، قال نيك.

«لا، لن تفعل، غير وارد الآن.»

تبعا سيّارة الأجرة عبر نفق ميدتاون تانل وسلكا خلفها طريق لونغ آيلند السريع. ودّ سلون لو يقول لنيك إنّه منافق، غير أنّه تمالك نفسه وقال له «نيك، أنت أفضل من يتعقّب سيارات».

سأله نيك «أين تعتقد أنّها ذاهبة؟»

«إنّني مثلك تمامًا، لست أدري»، ردّ سلون. لكنّه عاد وقرر كشف بعض أوراقه. «أتعلم، لطالما فكّرت أن لايسي فاريل قد تكون طبعت نسخة عن يوميّات هيذر لاندي واحتفظت بها لنفسها. إن صح ذلك، فقد تكون هذه النسخة الوحيدة الكاملة لليوميات، بجميع

صفحاتها. ربّما تتضمن تلك الصفحات الثلاث التي يقول جيمي لاندي إنّها ناقصة معلومات مهمّة. ما رأيك نيك؟»

رأى نيك يرمقه بنظرة ارتياب. توقَّفْ عن هذه اللعبة، حذّر سلون نفسه. لا توتّره.

ردّ نيك بدوره «إنّني مثلك تمامًا، لست أدري.»

لدى الوصول إلى غريت نيك، توقّفت سيّارة الأجرة عند حافة الطريق. هل ستخرج فاريل منها؟ تساءل سلون. كان متأهّبًا لتعقّبها سيرًا على الأقدام إن تطلّب الأمر ذلك.

لكنّها بقيت في السيّارة. وبعد بضع دقائق، انطلقت السيّارة مجدّدًا لتتوقّف على مسافة مفرقين عند محطّة للوقود حيث سأل السائق عن طريقه.

تبعا السيّارة عبر البلدة، عبرا خلفها أمام بعض المنازل الفخمة. «أيّ منزل تختار؟» سأله نيك.

هذا ما تريده إذًا؟ سأل سلون في قرارة نفسه. راتب الشرطة لا يكفيك، أليس كذلك؟ كان يكفي أن تنصرف من السلك. أن تبدّل وظيفتك. لا حاجة لتغيير ولائك.

راحت الأحياء التي يعبرونها تتغيّر تدريجيًا. المنازل باتت أصغر حجمًا، متراصّة أكثر، لكنّها مرتبة. نوع الأحياء التي يرتاح إليها إيد سلون. «تمهّل»، قال لنيك. «السائق يبحث عن رقم منزل.»

وصلا الآن إلى ساحة آدامز. توقّفت السيّارة أمام الرقم العاشر. كان هناك موقف فارغ على مسافة خمس سيارات، خلف سيّارة مقطورة. ممتاز، فكّر سلون.

راقب لايسي فاريل وهي تخرج من السيّارة. بدا له أنّها تجادل

السائق، ثمّ مدّت يدها من النافذة عارضة عليه نقودًا، لكنّه راح يهزّ رأسه متعنّتًا. ثمّ أغلق زجاج النافذة وانطلق.

وقفت لايسي فاريل تتأمّل السيّارة إلى أن توارت. تمكن لأوّل مرة من تمييز وجهها بوضوح تام. بدت له شابة جدًّا وهشّة ومذعورة. استدارت وسلكت الممرّ إلى المنزل وهي تعرج، ثمّ رنّت جرس الباب.

فُتح الباب. لم يبد لسلون أنّ المرأة التي بالكاد شقّت الباب كانت على استعداد للسماح لها بالدخول. كانت لايسي فاريل تشير لها إلى كاحلها.

«رجلي تؤلمني، أرجوك سيدتي اللطيفة، دعيني أدخل. وبعدها يمكنني سرقة منزلك»، قال نيك وهو يبتسم ببلاهة.

نظر سلون إلى شريكه. هل يُعقل أن يكون في فترة ما اعتبره طريفًا؟ حان الوقت للتحرّك الآن. هو من سيقبض على لايسي فاريل. هذه الفكرة كانت تبعث فيه شعورًا عظيمًا بالارتياح، ولو أنّها تعني تسليمها لبولدوين.

لم يكن يدري أن ساندي سافارانو يراقبه من غرفة نوم في الطابق الثاني من الرقم العاشر، ساحة آدامز، حيث كان ينتظر بصبر، منذ وقت، وصول لايسي فاريل. ولم يكن يقلّ عنه سرورًا وارتياحًا.

61

عادت منى فاريل إلى المنزل مع كيت وجاي. «لا يمكنني الذهاب إلى الفطور في نيويورك وأنا قلقة إلى هذا الحد»، قالت. «سوف أتصل بأليكس وأطلب منه أن يلاقيني هنا بنفسه.»

كان ابنا كيت، تود وآندي، يقضيان النهار مع أصدقائهما في هانتر ماونتن للتزلج. وكانت حاضنة تعتني ببوني التي أصيبت بالانفلونزا من جديد.

هرعت بوني إلى الباب ما إن سمعتهم يصلون.

بادرتهم الحاضنة «روت لي مطوّلًا كيف أنّها ستزور منتزه ديزني وورلد في عيد ميلادها مع خالتها لايسي.»

«عيد ميلادي بات قريبًا جدًّا»، قالت بوني بثقة. «إنّه الشهر المقبل.»

«وقلت لها إن فبراير هو أقصر شهر في السنة»، تابعت الحاضنة وهي ترتدي معطفها وتستعد للخروج. «بدت في غاية السرور حين قلت لها ذلك.»

«تعالي معي لأجري اتصالًا هاتفيًا»، قالت منى لبوني. «يمكنك إلقاء التحية على العم أليكس.»

حملت حفيدتها وضمّتها إليها. «هل تعلمين أنّك تشبهين خالتك لايسي تمامًا حين كان عمرها تقريبًا خمس سنوات؟»

«أحب العم أليكس كثيرًا»، قالت بوني. «أنت أيضًا تحبّينه، صحّ نانا؟»

«لا أدري كيف كنتُ سأقضي الأشهر الماضية بدونه»، أجابت منى. «هيّا حبيبتي، لنصعد.»

تبادل جاي وكيت النظرات. «خطرت لك الفكرة ذاتها، أليس كذلك؟» سألها جاي بعد دقيقة صمت. «منى اعترفت بأنّ أليكس شجّعها على أن تطلب من لايسي أن تقول لها أين تعيش. قد لا تكون أسرّت إليه فعليًا بمكان وجودها، لكن ثمّة سبل كثيرة لكشف الأمر. عندما قالت منى مثلًا خلال العشاء الليلة الماضية أن لايسي اشتركت في ناد رياضي جديد يملك ملعب سكواش رائعًا. بعد أقل من اثنتي عشرة ساعة، تعقّب أحدهم لايسي لدى خروجها من ذلك النادي بنيّة قتلها على الأرجح. لا يمكنني أن أصدّق أن هذه مجرد صدفة.»

«لكن جاي، من الصعب أيضًا أن نشكّ بضلوع أليكس في هذه القضيّة»، أجابت كيت.

«آمل أن يكون بريئًا، لكنّني قلت له أين تنوي لايسي الذهاب. والآن سوف أتّصل بالمدّعي العام الفدرالي على رقم الطوارئ وأعطيه العنوان هو أيضًا. قد تكرهني على ذلك، لكنّني أفضّل أن أراها موقوفة بصفة شاهدة أساسية على أن أراها مقتولة.»

62

«ما الذي جاء بك إلى هنا؟» سألت لوتي هوفمان بعدما سمحت على مضض للايسي بالدخول. «لا يمكنك البقاء هنا. سوف أطلب لك سيّارة أجرة أخرى. أين تودّين الذهاب؟»

شعرت لايسي، وهي واقفة الآن وجهًا لوجه أمام الشخص الوحيد الذي يمكنه مساعدتها، أنّها على شفير الانهيار. لم تكن واثقة ممّا إذا كان أحدهم تبعها إلى هنا. وفي تلك اللحظة، لم تعد تكترث لذلك. كلّ ما كانت تعرفه هو أنّه لم يعد بوسعها الاستمرار في الهروب.

«سيدة هوفمان، ليس لديّ أي مكان على الإطلاق أذهب إليه»، قالت بانفعال شديد. «ثمّة من يحاول قتلي، وأعتقد أنّ من أرسله هو نفسه الذي أمر بقتل زوجك وإيزابيل وارينغ وهيذر لاندي. يجب وقف ذلك، وأعتقد أنّك أنت وحدك قادرة على وقفه. أرجوك سيدة هوفمان، ساعديني.»

لانت نظرة لوتي هوفمان قليلًا وهي تنظر إليها. لاحظت وقفة لايسي غير المرتاحة وهي تحاول عدم الدوس على إحدى قدميها. «إنّك تتألّمين. ادخلي واجلسي.»

كانت غرفة الجلوس ضيّقة، لكنّها موضّبة بكثير من الترتيب والذوق. جلست لايسي على الأريكة ونزعت عنها المعطف الثقيل. «هذا ليس لي»، قالت. «لا يمكنني الذهاب إلى شقّتي أو الوصول إلى خزانتي. لا يمكنني رؤية عائلتي. ابنة شقيقتي الصغيرة أصيبت بالرصاص وكادت تقضي بسببي. سوف أعيش هكذا طوال حياتي إن لم يتمّ التعرّف إلى الشخص الذي يمسك بخيوط هذه القضية برمّتها واعتقاله. أرجوك سيدة هوفمان، قولي لي، هل كان زوجك يعرف من يقف خلف كلّ ذلك؟»

«أخشى ألّا يكون بوسعي الكلام في المسألة.» كانت لوتي هوفمان تتكلّم همسًا، حانية رأسها وعيناها محدقتين أرضًا. «لو أبقى ماكس فمه مغلقًا، لكان على قيد الحياة الآن. وكذلك هيذر. ووالدتها أيضًا.» رفعت رأسها أخيرًا ونظرت مباشرة إلى لايسي. «هل تستحقّ الحقيقة كلّ هؤلاء القتلى؟ لا أعتقد ذلك.»

«لا بدّ أنّك تستيقظين كلّ صباح خائفة، أليس كذلك؟» سألتها لايسي. مدّت يدها وأمسكت بيد المرأة المسنة. كانت يدها هزيلة، نافرة العروق. «قولي لي ما تعرفين سيدة هوفمان أرجوك. من يقف خلف كلّ ذلك؟»

«الحقيقة أنّني لا أعرف. لا أعرف حتّى اسمه. ماكس كان يعرفه. هو الذي كان يعمل في مطعم جيمي لاندي، وهو الذي كان يعرف هيذر. لو انني فقط لم أصادفها في ذلك اليوم في موهونك. أخبرْتُ ماكس ووصفت له الرجل الذي كانت برفقته. غضب غضبًا شديدًا. قال إن هذا الرجل يتعاطى تهريب المخدرات والابتزاز وأن أحدًا لا يعلم به، بل يظنه الجميع محترمًا، وحتّى رجلا طيبًا. بعد ذلك

رتّب ماكس ذلك الغداء مع هيذر ليحذّرها، وبعد يومين قُتل.»

ملأت الدموع عيني لوتي هوفمان. «إنّني مشتاقة لماكس أكثر ممّا يمكنني قوله، وأشعر بخوف شديد.»

«خوفك مبرّر تمامًا»، قالت لها لايسي برفق. «لكن إبقاء بابك مغلقًا ليس الحل. سيأتي يوم يقرّر فيه ذلك الشخص أيًّا كان أنّك قد تشكلين خطرًا عليه أنت أيضًا.»

ثبّت ساندي سارافانو كاتم الصوت على مسدسه. التسلّل إلى المنزل كان في غاية السهولة. بوسعه لاحقًا الخروج بالطريقة ذاتها، من خلال النافذة الخلفية لغرفة النوم هذه. فالشجرة في الخارج أشبه بسلالم مؤدية إليها. ترك سيّارته مركونة في الشارع التالي، بوسعه الوصول إليها مباشرة من خلال حديقة المنزل المجاور. سوف يكون على مسافة كيلومترات قبل أن يشتبه الشرطيان الجالسان في الخارج بحصول شيء ما. نظر إلى ساعته. حان الوقت.

سوف يردي المرأة المسنّة أوّلًا. مسألتها بسيطة. الأهمّ في الأمر، ما كان يترقّبه بفارغ الصبر، كان التعبير في عينَي لايسي فاريل حين يصوّب مسدّسه إليها. لن يتسنّى لها إطلاق أيّ صرخة. لا، سيترك لها فقط ما يكفي من الوقت لإصدار ذلك النشيج الواهن الذي يجعله يرتعش ابتهاجًا عند سماعه ، تلك الشكوى حين تدرك أنّها على وشك أن تُقتل.

الآن.

وضع ساندي قدمه اليمنى على الدرجة الأولى من السلالم، وبكثير من التأنّي والحذر، باشر النزول.

63

اتّصل أليكس كاربين بمطعم لاندي وطلب أن يتحدّث مع جيمي. انتظر، ثمّ سمع صوت ستيف أبوت. «أليكس، كيف يمكنني مساعدتك؟ لا أوّد إزعاج جيمي. إنّه محبط تمامًا اليوم.»

«آسف بشأن ذلك، لكن عليّ أن أتكلّم معه»، ردّ كاربين. «على فكرة ستيف، هل جاءكم كارلوس طالبًا وظيفة؟»

«أجل، إنّه هنا. لماذا؟»

«لأنه إن كان لا يزال عندكم، يمكنك أن تقول له إنّه لم يعد واردًا أن يطأ مطعمي بعد الآن. والآن حوّلني إلى جيمي.»

انتظر مرة جديدة، وعندما رفع جيمي السماعة، بدا واضحًا من صوته أنّه مرهق تمامًا.

«جيمي، تبدو وكأنّ شيئًا فظيعًا حصل لك. هل يمكنني تقديم المساعدة؟»

«لا، لكنّني أشكرك على ذلك.»

«حسنًا اسمع، آسف لإزعاجك، لكن تبيّن لي أمر أريد إبلاغك به. فهمت أن كارلوس يسعى للعودة إلى العمل لديك. اسمع ما سأقوله لك: إيّاك أن تأخذه من جديد في خدمتك.»

«لا أنوي ذلك إطلاقًا، لكن لماذا؟» سأل جيمي.

«أعتقد أنّه يقوم بنشاطات مريبة. كدت أفقد صوابي حين تعقّب ذلك القاتل لايسي فاريل إلى حيث كانوا يخبّئونها في مينيابوليس.»

«آه! كانت هناك إذًا؟»، علّق جيمي لاندي. «لم أعرف بذلك!»

«أجل، لكن والدتها وحدها كانت على علم بمكانها. وبما أنّني أنا من نصحها بأنّ تطلب من لايسي أن تقول لها أين تعيش، أشعر بأنني أتحمّل المسؤوليّة.»

«لم يكن ذلك ضرب ذكاء من جانبك»، قال جيمي لاندي.

«لم أدَّعِ يومًا الذكاء. لكنّني كنت أرى منى محطّمة. في مطلق الأحوال، الليلة التي علِمَت فيها بأنّ لايسي في مينيابوليس، اشترت عددًا من صحيفة مينيابوليس ستار تريبيون وكانت تحملها معها حين قدمت لتناول العشاء. رأيتها تعيدها إلى الكيس البلاستيكي حين جئت للجلوس إلى الطاولة، لكنّني لم أطرح عليها أي سؤال، وما عدت رأيت الصحيفة بعدها. لكن ما أريد أن أقوله لك هو التالي: لاحظْتُ في وقت ما، فيما كانت منى في حجرة التواليت وذهبت أنا لاستقبال أحد الزبائن، أن كارلوس كان يحوم حول طاولتنا، متظاهرًا بأنّه يطوي محارمنا ويسوّيها. رأيته يبدّل مكان الكيس، ومن المحتمل تمامًا أن يكون استرق النظر إلى محتواه.»

«هذا من أطباع كارلوس تمامًا»، ردّ لاندي. «ذلك الرجل لم يعجبني يوما بالأساس.»

«وكان يخدم طاولتنا مرّة ثانية ليلة الجمعة عندما أخبرتنا منى أن لايسي اشتركت في ناد رياضي جديد. ناد يملك ملعب سكواش. لا

أعتقد أنّها مجرّد صدفة أن يكون أحد ما قصد ذلك النادي تحديدًا بعد ساعات قليلة بحثًا عنها. مجرّد استنتاج بسيط، أليس كذلك؟»

«همممم»، فكّر جيمي. «يبدو لي أن كارلوس ربّما كان يعمل لكسب أكثر من بقشيش بسيط ليلة الجمعة. عليّ أن أذهب الآن أليكس، سوف أكلّمك قريبًا.»

64

بدا واضحًا لإيد سلون أن شيئًا ما كان يشغل بال شريكه. كانت تفوح منه رائحة عرق حادّة رغم الجو البارد المخيم داخل السيّارة. وكانت قطرات من العرق تتصبّب من جبينه على وجهه الأشبه بوجه طفل.

كان حدس سلون الذي لم يخنه يومًا، يقول له إن أمرًا ما فظيعًا يجري. «أعتقد أنّ الوقت حان للقبض على الآنسة فاريل»، قال.

«لماذا تريد القيام بذلك إيد؟»، سأل سلون متفاجئًا. «سوف نوقفها عند خروجها.»

فتح سلون باب السيّارة واستلّ مسدّسه. «هيّا، لنذهب.»

لم تكن لايسي واثقة من أنّها سمعت فعلًا صوتًا ما على السلالم. تلك البيوت القديمة تكون لها أحيانًا حياة خفية خاصّة بها. لكنّها أحسّت بأنّ الجوّ في الغرفة تبدّل، وكأن برودةً ما انتشرت فيها فجأة. أحسّت لوتي هوفمان بالشيء نفسه، كان بوسع لايسي أن ترى ذلك في عينيها.

أدركت لاحقًا أنّه وجود الشر، شرٌّ ماكر يزحف وينتشر من حولها كالشؤم ليغلّفها ويغدر بها. كان حضوره حقيقيًا تكاد تلمسه في الجوّ.

ثمّ سمعت الصوت من جديد. طقطقة خافتة بالكاد تسمع، غير أنّها فعلية. لم تكن من نسج مخيّلتها! باتت واثقة من الأمر الآن، وراح قلبها يطرق بقوّة في صدرها. ثمّة أحد على الأدراج! سوف يقتلني، فكّرت.

رأت الرعب يملأ عيني السيدة هوفمان، فوضعت إصبعها أمام شفتيها، مشيرة إليها بلزوم الصمت. كان ينزل السلالم ببطء درجة درجة، مثل قطّ يطارد فأرَين. نظرت لايسي من حولها في الغرفة، لم يكن هناك سوى باب واحد، وكان يؤدّي إلى السلالم مباشرة. لا مخرج من هذه الغرفة. لقد علقتا في الفخّ!

رأت ثقالة ورق زجاجية موضوعة على طاولة القهوة الصغيرة. كانت بحجم كرة بيسبول، وبدت لها ثقيلة. لم يكن بوسعها الوصول إليها بدون أن تنهض من مقعدها، غير أنّ ذلك ينطوي على مجازفة لم تشأ القيام بها. لمست يد السيدة هوفمان وأشارت لها إلى ثقّالة الورق.

بوسع لايسي أن ترى من الأريكة حيث هي جالسة النصف السفلي من السلالم. وصل الآن إلى هذا القسم من الأدراج. ظهر لها من خلال الدرابزون الخشبيّ حذاؤه اللمّاع النظيف.

أمسكت يد هزيلة ترتجف ثقّالة الأوراق ووضعتها في يد لايسي. نهضت لايسي دفعة واحدة، ردّت ذراعها إلى الخلف وما أن أصبح القاتل الذي تعرفه باسم كالدويل في مرآها حتّى قذفت ثقّالة الأوراق بكلّ قوتها في اتّجاه صدره.

أصابته الكرة الزجاجيّة بكلّ ثقلها فوق معدته تمامًا فيما كان يتحفّز لنزول الأدراج المتبقّية بسرعة خاطفة لمباغتتهما. تعثّر تحت

وطأة الصدمة وأفلت المسدّس. وثبت لايسي على الفور، محاولة دفع المسدّس برجلها بعيدًا عن متناوله، فيما أسرعت السيدة هوفمان بخطى مترنّحة إلى باب المدخل، فتحته على مصراعيه وراحت تصرخ.

اندفع المفتّش سلون إلى الردهة. وفي اللحظة التي كان سافارانو يطبق يده على المسدّس، رفع سلون ساقه وسحق برجله معصمه. دخل نيك في أعقابه فصوّب مسدّسه إلى رأس سافارانو وضغط على الزناد.

«لا!» صرخت لايسي.

استدار سلون وصفع بقوّة يد شريكه، فانحرفت الرصاصة عن هدفها وأصابت سافارانو في ساقه. أطلق عويل ألم.

وقفت لايسي مذهولة تراقب سلون وهو يغلّل يدَي قاتل إيزابيل وارينغ. في الخارج اقترب دويّ صفّارات إنذار. استجمعت قواها وتجرّأت أخيرًا على النظر في العينَين اللتين تلاحقانها منذ أشهر. عينان زرقاوان باردتان كالجليد، وفي وسطهما حدقتان سوداوان كالليل. عينا قاتل. لكنّها أدركت أنّها لمحت فيهما تعبيرًا جديدًا.

إنّه الخوف.

أطلّ فجأة من الباب المدعي العام الفدرالي غاري بولدوين، محاطًا بعملائه. نظر إلى سلون، ثمّ إلى لايسي، وأخيرًا إلى سافارانو.

«حسنًا، سبقتنا إلى القبض عليه»، قال بصوت يفضح احترامه ولو بامتعاض. «كنت آمل في الوصول إليه قبلك، لكن لا فرق. لقد أنجزتَ المهمّة على أتمّ وجه. أهنّئك.»

انحنى فوق سافارانو. «مرحبًا ساندي»، قال بصوت عذب. «كنت أبحث عنك. أعدّ لك قفصًا خاصًّا يحمل اسمك. الزنزانة الأكثر ظلمة والأضيق حجمًا في ماريون، أشدّ السجون الفدرالية قسوة في

البلد. سوف تُحتجز فيه ثلاثًا وعشرين ساعة في اليوم. إنفراديًّا، بالطبع. أراهن بأنّه لن يعجبك، لكن من يدري؟ فالبعض يفقد صوابه سريعًا في السجن الانفرادي، ولا يعود الأمر يهمّهم. في مطلق الأحوال، تصوّر الوضع، ساندي. قفص. لك وحدك. قفص صغير ضيّق. خاص بك، طوال ما تبقى من حياتك.»

انتصب والتفت إلى لايسي. «هل أنت بخير آنسة فاريل؟»

هزّت رأسها.

«أحدنا هنا ليس بخير.» اقترب سلون من نيك مارس. كان وجهه شاحبًا كدِرًا. انتزع منه مسدّسه، ثمّ فكّ أزرار سترة شريكه وأخرج أصفاده قائلًا «سرقة الأدلّة جرم خطير بما يكفي. لكن محاولة القتل أخطر بكثير. تعرف ما يتوجّب عليك أن تفعل، نيك».

وضع نيك يديه خلف ظهره واستدار. غلّل سلون يديه مستخدمًا الأصفاد التي أخذها منه. «الآن نيك، يمكننا القول إنّها فعلًا أصفادك»، قال له وهو يبتسم بسخرية.

65

لم يخرج جيمي لاندي من مكتبه طوال ما بعد الظهيرة. جاء ستيف أبوت مرارًا ليتفقّده سائلًا «جيمي، أنت بخير؟».

«بأفضل ما يكون ستيف»، كان يجيب باختصار.

«لا تبدو لي بخير. أتمنّى لو تتوقف عن قراءة يوميّات هيذر. فهذا يبعث فيك الإحباط.»

«أتمنّى لو تتوقّف عن القول لي بأنّ أتوقّف عن قراءتها.»

«أصبتني في الصميم. أعدك بأنني لن أزعجك بعد الآن. لكن تذكّر جيمي، يمكنك الاعتماد عليّ إن احتجت إلى أيّ شيء.»

«بالتأكيد ستيف. أعلم ذلك.»

في الساعة الخامسة، تلقّى لاندي اتصالًا من المفتّش سلون. «سيد لاندي، أنا في مركز الشرطة. عليّ أن أعلمك بالتطورات. قبضنا على قاتل زوجتك السابقة. الآنسة فاريل تعرّفت إليه بشكل مؤكّد. وهو متّهم أيضًا بقتل ماكس هوفمان. وقد نتمكّن من الإثبات بأنّه هو الذي تسبّب أيضًا بحادث السيّارة الذي قتلت فيه ابنتك.»

«من هو؟» سأل جيمي. لم يكن في هذه اللحظة يشعر بمطلق إحساس. لا المفاجأة، ولا الغضب، ولا حتّى الأسى.

«اسمه ساندي سافارانو. إنّه قاتل مأجور. نتوقع أن يتعاون بالكامل مع التحقيق. لا يريد الذهاب إلى السجن.»

«بالطبع، مثل جميع المجرمين»، علّق جيمي. «كان يعمل لحساب من؟»

«نتوقّع أن نعرف ذلك قريبًا جدًّا. ننتظر فقط أن يصبح ساندي جاهزًا للكلام، نعمل عليه حاليًا. أمر آخر، ولو أنّه أقلّ أهمية بالنسبة للقضية. لدينا مشتبه به في سرقة يوميّات ابنتك.»

«مشتبه به؟»

«نعم، بالمعنى القانوني، ولو أنّه اعترف بالأمر. لكنّه يقسم بأنّه لم يسرق الصفحات الثلاث غير المسطّرة التي كنتَ تعتقد أنّنا أضعناها. أظنّ أن شريكك على حق. هذه الصفحات لم تصلنا بالأساس.»

«لم تكن يومًا بحوزتكم»، وافقه جيمي. «لقد أدركت ذلك مؤخّرًا. يبدو أنّ شريكي لديه الكثير من الأجوبة.»

«الآنسة فاريل هنا سيدي، إنّها تدلي بإفادتها. تودّ التحدّث إليك.»

«مرّرها لي.»

«سيد لاندي، لا يمكن أن تتصوّر كم أنني سعيدة لانتهاء هذه المسألة»، قالت لايسي. «كانت محنة صعبة بالنسبة لي، وأنا متأكّدة من أنّها كانت كابوسًا فظيعًا بالنسبة لك. السيدة هوفمان، زوجة ماكس هوفمان، معي هنا. تريد أن تقول لك شيئًا.»

«مرّريها لي.»

«صادفت هيذر في موهونك»، بادرته لوتي هوفمان. «كانت برفقة رجل، وحين وصفته لماكس، صُدم واضطرب اضطرابًا شديدًا.

قال إنّ الرجل يتعاطى تهريب المخدّرات والابتزاز، وأنّ لا أحد يشكّ في أمره، وأقلّهم هيذر. لم يكن لديها أيّ فكرة...»

كانت لايسي سمعت القصّة من قبل، لكنّها رغم ذلك أحسّت بقشعريرة إزاء هول الجرائم التي ارتُكبَت بعدما حذّر ماكس هوفمان هيذر من الرجل الذي كانت تواعده.

أنصتت للسيدة هوفمان فيما راحت تصف الرجل الذي لمحته في ذلك اليوم. من الواضح أنّه لم يكن أحدًا تعرفه. هذه الفكرة بعثت فيها الارتياح.

أخذ سلون السمّاعة من السيدة هوفمان. «هل تعرّفت إلى أحد سيدي من خلال وصفها للرجل؟»

أنصت لبرهة، ثمّ التفت إلى لايسي والسيدة هوفمان. «السيد لاندي يرجو منكما أن تتفضّلا إلى مكتبه الآن.»

كلّ ما كانت لايسي تريده هو أن تذهب إلى شقّتها، تغلّ في مياه الجاكوزي، ترتدي ملابسها، وتذهب إلى منزل كيت لملاقاة الجميع. إنهم يقيمون عشاء في وقت متأخّر الليلة، وسيُسمَح لبوني بالسهر معهم. «طالما أنّ الأمر لن يستغرق أكثر من بضع دقائق»، أجابت.

«لن يطول أكثر من ذلك»، وعدها سلون. وبعدها اصطحب السيدة هوفمان إلى منزلها. تلقّى سلون اتّصالًا هاتفيًا في اللحظة التي كانوا يغادرون فيها المركز، وحين عاد قال «لن نكون وحدنا في مكتب لاندي. سينضمّ إلينا بولدوين».

صعدت بهم موظفة الاستقبال إلى المكتب حيث كان جيمي في انتظارهم. وحين أبدت لوتي هوفمان إعجابها بقطع الأثاث الأنيقة،

أوضح جيمي «كان المطعم في الماضي بنصف هذه المساحة. حين كانت هيذر طفلة، كانت هذه غرفة نومها».

كان لاندي يتكلّم بنبرة هادئة تكاد تكون غير مبالية. فكّرت لايسي أنّه أشبه بمياه محيط هادئة إلى حدّ مقلق، مياه راكدة فوق تيار جوفي يهدّد بالثوران.

«أرجو منك سيدة هوفمان أن تصفي لي من جديد وبشكل دقيق الرجل الذي رأيته برفقة ابنتي.»

«كان رجلًا فاتنًا، و...»

«انتظري قليلًا. أودّ أن يستمع إليك شريكي.» ضغط على زرّ الهاتف الداخلي. «ستيف، هل لديك دقيقة؟»

دخل ستيف أبوت المكتب مبتسمًا. «إذًا جيمي، قرّرت أخيرًا الخروج من القمقم. آه عفوًا، لم أدرك أن لديك زوّارًا.»

«زوّار مثيرون للاهتمام، ستيف. سيّدة هوفمان، ما بك؟»

كانت لوتي هوفمان تشير بإصبعها إلى أبوت، وقد شحب وجهها فجأة. «أنت الرجل الذي رأيته برفقة هيذر. أنت من قال ماكس عنه إنّه مهرب مخدّرات ولص ومبتز. بسببك أنت صرت الآن وحيدة...»

«ما الذي تتكلّمين عنه؟»، سأل أبوت مقطّبًا بشراسة، وقد سقط عن وجهه قناع اللطف والدماثة. خطر فجأة للايسي أنّه من الممكن تصوّر ذلك الرجل الوسيم البشوش في شخصية قاتل.

ثمّ دخل المدعي العام الفدرالي غاري بولدوين الغرفة، محاطًا بستة عملاء.

«ما تقوله سيّد أبوت، هو إنّك قاتل، إنّك أمرت بقتل زوجها لأنه كان يعرف أكثر ممّا ينبغي. تخلى عن وظيفته هنا لأنه علم بممارساتك

وعرف أنّ حياته لن تكون ذات قيمة إن عرفْتَ بذلك. تخلّيت تدريجيًا عن المزوّدين القدامى مثل جاي تايلور وصرت تشتري بضائعك لدى تجار من المافيا، ومعظمها بضائع مسروقة. فعلت الأمر نفسه في الكازينو أيضًا. وهذا ليس سوى واحد من نشاطاتك.

«اضطرّ ماكس أن يكشف لهيذر عن طبيعتك الحقيقية. ووجدت نفسها أمام خيار، إمّا أن تدعك تواصل خداع والدها، أو أن تقول له كيف علِمَت بأمرك.»

«لم تشأ المجازفة. قال لنا سافارانو إنك اتّصلت بهيذر وقلت لها إن جيمي أصيب بنوبة قلبية وإن عليها العودة حالًا. كان سافارانو في انتظارها. وحين واصلت إيزابيل وارينغ بلا هوادة البحث عن مبرّرات تثبت أنّ هيذر لم تُقتل في حادث، باتت خطيرة جدًّا عليك.»

«هذا كذب»، صرخ أبوت. «جيمي، لم أفعل يومًا...»

«بل فعلت»، ردّ جيمي بهدوء. «قتلت ماكس هوفمان، وفعلت الأمر نفسه بوالدة ابنتي. وكذلك هيذر. قتلتها. هل كنت بحاجة فعلًا إلى إغوائها؟ كان بوسعك الحصول على أي امرأة تشتهيها». اتقدت عينا جيمي وراحتا تومضان غضبًا كالجمر. يداه باتتا قبضتين ضخمتين. أطلق عويل ألم دوّى في أرجاء الغرفة. «تركت صغيرتي تحترق وتموت»، صرخ. «أنت... أنت...»

اندفع منحنيًا من فوق مكتبه وأطبق يديه بقوة على عنق أبوت. اضطرّ سلون وفريق من رجال الشرطة الحاضرين إلى التعاون لفكّ أصابعه.

كان نشيج جيمي الأليم لا يزال يتردّد في أرجاء المبنى حين اقتاد بولدوين ستيف أبوت قيد الاعتقال.

أتمّ ساندي سافارانو مساوماته من سرير المستشفى.

في الساعة الثامنة، اتصل السائق الذي أرسله جاي بشقة لايسي لإبلاغها بأنّه ينتظرها أمام المبنى. كانت لايسي متلهّفة لرؤية عائلتها، لكن كان عليها قبل ذلك أن تجري اتصالًا هاتفيًا. كانت لديها أمور كثيرة تود أن تخبرها لطوم، أن تشرحها له. قال لها بولدوين الذي تحوّل فجأة إلى صديق وحليف لها «خرجْتِ من ورطتك الآن. توصّلنا إلى اتّفاق مع سافارانو، ولم نعد بحاجة إلى شهادتك لإدانة أبوت. سوف تكونين إذًا بأمان. لكن في مطلق الأحوال، تجنّبي أيّ شيء قد يلفت الانتباه إليك لفترة من الوقت. لم لا تأخذين إجازة إلى أن تهدأ الأوضاع قليلا؟»

ردّت بين المزاح والجدّ «أتعلم، لدي فعلًا شقّة ووظيفة في مينيسوتا. ربّما يجدر بي العودة إلى هناك بكلّ بساطة.»

اتّصلت برقم طوم. ردّ عليها صوت أليف بدا لها قلقًا متعبًا. «آلو؟»

«طوم؟»

سمعت صرخة فرح. «أليس؟ أين أنت؟ هل أنت بخير؟»

«بأفضل حال. وأنت؟»

«أكاد أموت من القلق! فقدت صوابي منذ أن اختفيت.»

«إنّها قصّة طويلة. سوف أخبرك كلّ شيء منذ البداية.» صمتت للحظة. «هناك أمر واحد أودّ أن أقوله لك. أليس لم تعد موجودة. هل تعتقد أنّ بوسعك أن تعتاد على اسم لايسي؟ اسمي لايسي فاريل.»

ماري هيغينز كلارك – ملكة التشويق وواحدةٌ من أعزّ الكتّاب الأميركيّين إنتاجًا. أصدرَت حتّى الآن 43 رواية من أكثر الكتب رواجًا، وبيع منها في الولايات المتّحدة وحدها أكثرُ من 100 مليون نسخة. تتّسم كتاباتها، التي اقتُبِست للعديد من الأفلام السينمائيّة والتلفزيونيّة، بأسلوبٍ مميّز يذكّر بكتابات أغاثا كريستي التي تتقن التشويق من دون الإنزلاق في الإبتذال.

تحذير: إذا بدأت قراءة هذه الرواية في المساء،
فلن تترك الكتاب من يدك حتّى الفجر... «كأنّك لا تراها»
تستحقّ النومَ الضائع – يو.أس.أي. توداي

كأنّك لا تراها – لايسي فاريل هي النجم الصاعد في عالم العقارات في مانهاتن. عملها هو مفتاحها إلى شقق الآخرين... وحياتهم. في إحدى تلك الشقق، تشهد جريمة قتل. وقبل أن تلفظ المرأة المحتضرة أنفاسها، تسلّمها دفتر يوميّات ابنتها المتوفّاة، مقتنعةً بأنّه ما كان يسعى وراءه القاتل. كان من الممكن أن تقفل الباب على تلك القصّة وتمضي، إلّا أنّ فضولها يورّطها، فتحتفظ بنسخة من اليوميّات ثمّ تسلّم الأصل إلى الشرطة. وكأنّ الأحداث الغريبة تتعاقب لتثبت لها بأنّها، بخطوتها المتهوّرة هذه، أصبحت الاسم التالي على قائمة القاتل.

ISBN 978-9953-26-460-8



نوفل هي دمغة الناشر
هاشيت أنطوان